بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمـان الإسلامـــية

كـلية الـدراســات العـليـا

كليـــة اللغـــة العـربـيـة

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الهجـــاء في العصر العباسي الثاني

"دراسة تطبيقية تحليلية في شعر البحتري وابن الرومي وابن المعتز"

((.. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد ..))

إعداد الطالب :

عبد المنعم إبراهيم الحاج محمد

إشراف الدكتور :

عبد الرحمن عطا المنان

٢٠٠٨م

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الرقم
١.	آية	أ
٢.	إهداء	ب
٣.	شكر وتقدير	ج
٤.	فهرس الموضوعات	د
٥.	مستخلص الدراسة عربي	هـ
٦.	Abstract	و
٧.	المقدمة	١
٨.	تمهيد	٢
٩.	الفصل الأول :" تطور هجاء العصر العباسي الثاني	١٠-٤٢
١٠.	الفصل الثاني :هجاء البحتري "حده، فنه،غرضه،نمطه، شكله، تطوره"	٤٤-٩٥
١١.	الفصل الثالث: هجاء ابن الرومي "حده، فنه،غرضه،نمطه، شكله، تطوره"	٩٦-١٤٤
١٢.	الفصل الرابع : هجاء ابن المعتز "حده، فنه،غرضه،نمطه، شكله، تطوره"	١٤٥-١٦٦
١٣.	الفصل الخامس: التقنيات والخصائص الفنية	١٦٧
١٤.	(أ) الصورة والخيال:	١٦٧-١٧٩
١٥.	(ب) الرمز والدلالة	١٨٠-١٨٧
١٦.	الخاتمة	١٨٨-١٨٩
١٧.	المصادر والمراجع	١٩٠-١٩٣

المقدمـــــة :

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وجعله يعبر بالقلم عن ما في نفسه ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد ،وملك زمام اللغة والمعنى والبيان ، فلم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ وهو القائل :" أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا "وعلى آله ينابيع المعاني وغاياتها، وأصحابه نجوم الهدى ،ودلائل الارتقاء للمعاني الساميةوعلى آله وصحبه الذين سارت بينهم العبارة البليغة، والكلمات الفصيحة، حتى تنزلالقرآن بذلك استجابة لدواعي فهمهم ،وتلبية لحوائج عقولهم.

أما بعد:

فإن اللغة العربية هي أفصح اللسان،وهي التي يتكلم بها أهل الجنة في الجنة ، فالمحافظة عليها مراعاة للمدارك السليمة ، وأن من ضلع فيها أُوتي فهماً ثاقباً.فهي لغة تمتاز بالتوازن والانسجام والتوافق بين مبناها وسعة مدرجها الصوتي ، وتفُوق غيرها بكثرة المعاني الكامنة في أصولها التي تمكنها من استمرارية النمو والحركة والحياة .وهي لغة ظهرت كاملة قوية الألفاظ، واسعة الأصوات، عميقة المعاني. وسر جمالها في عمق معانيها التي تعبر عن جرس الألفاظ لتصل إلى أهدافها، غير إن المعنى غاية كل كلام ومقصده.

أحدد بها المنهج الذي هو دراسة وصفية تطبيقية أسلوبية ، وصف ظاهرة الهجاء من حيث التعريف والمفهوم والأنماط والأشكال والخصوصية ، ثم الدراسة الاستقرائية التي يستقري بها الباحث ظاهرة الهجاء وتطوره من العصر الجاهلي والإسلامي والأموي ثم العصر العباسي .

ثم يستقرئ الباحث فن الهجاء عند ابن الرومي والبحتري وابن المعتز فيذكر حده وفنه وغرضه ونمطه وشكله وتطوره عند كل منهم .ويدعم الباحث ذلك بالدراسة الأسلوبية الذي يدرس بها الباحث تسلسل المحددات، والأغراض والأنماط والشعراء وتطور القصيدة الهجائية عند كل منهم.

يقوم البحث على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة، أما التمهيد فيشمل معنى الهجاء وحدود العصر العباسي الثاني و الهجاء بين الفنون " الهجاء غرض أم فن " .

أما الفصل الأول سيكون بعنوان الهجاء وتطوره إلى العصر العباسي ويندرج تحته الهجاء في العصر الجاهلي ، الهجاء في العصر صدر الإسلام ، الهجاء في العصر الأموي ، الهجاء في العصر العباسي .

ويدرس الباحث في كل منها المحددات الزمنية والتاريخية والثقافية والفكرية والدينية والقبلية والاجتماعية، والأغراض والدوافع السياسية والقبلية والاجتماعية والفردية والفلسفية والأنماط والشعراء الكبار وشكل القصيدة الهجائية وأقسام الهجاء " الفردي والمجتمعي والسياسي والفكري والديني .

أما الفصل الثاني سيكون هجاء البحتري من خلال دراسة حده ، فنه ، غرضه، نمطه ، شكه ، وتطوره ، أما الفصل الثالث فدراسة هجاء الرومي من خلال بسط حده ، فنه ، غرضه، نمطه ، شكه ، وتطوره ، أما الفصل الرابع فسيدرس هجاء ابن المعتز حده ، فنه ، غرضه، نمطه ، شكه ، وتطوره ، أما الفصل الخامس فسيتناول التقنيات والخصائص الفنية عند شعراء الهجاء ويشمل : الصورة والخيال ، والرمز والدلالة ، والتناص . وفي النهاية الخاتمة ثم المصادر والمراجع

تمهيد :

الهجاء هو فن من الفنون الأدبية الغنائية التي وُجدت في الآداب العالمية ، ووجدت في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وهذا الوجود أمر طبيعي، فحينما وُجد أُناس يستحقون المديح وُجد آخرون يستحقون الهجاء .وهذا الفن ذو مجريين : شعري ونثري.[١]

إذا كانت الآثار الفنية ومنها الهجاء إفراغ طاقة عاطفية[٢]،فإن الشاعر يلجأ إليه ليعبر عما يجول بنفسه نحو شخص من الأشخاص ،أو جماعة من الجماعات، وقفوا معه موقف لا يرضاه فيجد نفسه غاضباً ثائراً فيضطر أن يخفف عن طريقة ما يحسه في أعماقه ، من ألم مبرح يشعر به نحو من آذاه. فيحاول إيذاءه وإيلامه بكل ما يتنافى مع الفضائل المعنوية التي تعارف عليها العرب منذ أمد بعيد ، وامتدحوا بها كالكرم والوفاء والشجاعة ، وغير ذلك من القيم الفاضلة التي كانوا يقيمون لها وزناً كبيراً في حياتهم ، لأنها كانت تدل على مكارم أخلاقهم.

الهجاء وسيلة فنية يتوسل بها الشاعر لنفس ما تضيق به نفسه من معاناة ، تثير فيه الغضب على المصاعب والعراقيل التي تحول دون نيل الأهداف والغايات المرغوب فيها[٣] ويرى " كولد زيهر" – وهو أول مستشرق قام ببحث جاد عن أهمية الهجاء الجاهلي وقيمته الاجتماعية ،ووصفه في أصله عبارة عن تعويذة أو لعنة ،وان أصوله ربما تتصل باعتقادات قديمة تذهب إلى أن الجن تلهم الشاعر الهجاء ، فيكون كلامه ذا قوة سحرية ذات تأثير لا يمكن تجنبه على الأشخاص والأشياء التي يوجه إليها الهجاء. فكأن في يد الشاعر سحراً يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري [٤]

وللهجاء في اللغة معانٍ كثيرة ويعود أصله اللغوي إلى الفعل الثلاثي " هجـــا "

ويكون المصدر منه هَجْواً وهِجَاءً ، والمعنى الذي يدل عليه الهجاء كما جاء في المعاجم العربية[٥]

---

(١) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري قحطان رشيد التميمي ص ١١

(٢) علم النفس والأدب للدكتور سامي الدروبي ط .دار المعارف ١٩٧١م .

(٣) علم النفس في الحياة العملية للدكتور برنهارت ، ترجمة الدكتور إبراهيم عبد الله ط . الرابطة ١٩٥٥م

(٤) تاريخ الأدب العربي . بروكلمان ٤٦/١ ط. دار المعارف .

(٥) والقاموس المحيط للفيروز أبادي : المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة : تاج العروس للزبيدي . منشورات مكتبة دار الحياة ببيروت . البستان : لعبد الله البستاني : المطبعة الأمريكية بيروت ١٩٣٠

و لسان العرب [١] وهو الشتم بالشعر خلاف المدح، قال الليث: وهو الوقيعة في الأنساب والسباب وذكر المثالب وتعداد المعايب ، ويكون بالشعر غالباً. ففي لسان العرب : هجاهُ يَهْجُوهُ هَجْواً وهِجَاءً وتَهْجَاه بمعنى شتمه بالشعر وهو خلاف المدح ، والمرأة تهجو زوجها أي تَذُمُ صُحْبَتَهُ . فالمرأة حين تقف على ما خَفِي عليها من عيوب زوجها ، فتكشف عن مساوئه ، وتعدد عيوبه ، وتشكوه وتذم عِشْرته ، فهي بذلك تهجوه . فالهجاءُ والهاجةُ الضِّفْدع ، والضِّفْدع كما هو معروف قبيح الشكل بشع الصوت .

بالإضافة إلى ما تقدم ، فإن هذه المعاجم قد أمدَّتنا بمادة جديدة للهجاء ، فقد ورد فيها[٢]:هَجُوَ يَوْمُنا هَجَاوَةً : اشتدَّ حَرُّه ، لذلك يجوز أن يكون معنى الهجاء متصلا بمعنى الشِدَّة والحرارة التي يحسها المهجو حين يسمع كلام الهاجي . والإنسان عادة يتضايق من اشتداد الحر، ويتأذى من قسوته ففيه معنى التعذيب والتنكيل . وكذلك الهجاء لفظاظته ، وشدة وقعه ، وقسوة تنكيله ، فإنه يجرح الشعور ويحطم النفس ويزري بقدر الإنسان وقيمته. ويجوز أن يكون اشتقاقها بمعنى الانكشاف من قولهم:[٣] هُجِي البيتُ هجياً بمعنى انكشف. لان الهجاء يجرد المهجو من الفضائل ويجعله يبدو للرائي أو السامع مسلوباً من المحاسن ، فتبدو للناس عيوبه ونقائصه ويظهر بمظهر قبيح مما يجعل الناس يهزأون به ويسخرون منه .

جاء فيها قولهم: هُجيَتْ عَيْنُ البعير بمعنى غارت . والهجاء : القراءة ، وتقطيع اللفظة إلى حروفها فالذي يُعَدّدُ حروف الكلمة يكشف عنها، والمعروف عن شاعر الهجاء أنه يكشف عن عيوب المهجوين، فيذكر مخازيهم ، ويتناول نقائصهم الاجتماعية وعيوبهم الخُلُقية والخِلْقية فيكشفها ويعريها للحط من أقدارهم واحتقارهم أمام خصومهم وأعدائهم.

فإذا كانت معاني هذه المادة تدور في المعاجم العربية حول البشاعة والشدة والنكال والكشف ، فهي تعنى ذم الإنسان وكشف مساوئه وتعداد عيوبه ، التي يحرص أشد الحرص على سترها وكتمانها ، ويحاول أن يخفيها عن الناس حتى لا تتكشف ويُفضح أمره .

لذلك يصعب تحديد معنى من هذه المعاني على أنه أصل للمادة ، فقد يكون الهجاء بمعناه الأدبي مأخوذاً من الضَّفْدع ، فهو قبيح الشكل ، بشع الصوت وقد يكون مأخوذاً من

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٠/ ٢٨٨ ط . أولى . المطبعة الميرية ببولاق مصر ١٣٠٧هـ .

(٢) أنظر مادة "هجا " في محيط المحيط : بطرس البستاني لبنان بيروت ١٨٧٠ . ولسان العرب :ابن منظور

(٣)أنظر مادة " هجا " في لسان العرب لابن منظور . وتدور مادة هجا حول عدة معانٍ أخرى لا نستطيع استقصاءها .

اشتداد الحر ، ففيه معنى التنكيل والتعذيب، وقد يكون مأخوذاً من الأصل اليائي ، فهو يكشف عن سيئات المهجو، ويُعدد مثالبه ، ويُحيط بما خفي ودقَّ منها ، ثم تتطور الهجاء وارتقى تبعاً لتطور الفنون الشعرية ، وارتفع عن الأحقاد الخاصة ، فكان منه الهجاء الشخصي والهجاء السياسي والاجتماعي.

إذا كانت معاني هذه المادة تدور حول البشاعة والشدة والنكال والكشف ، فإن الهجاء نشأ عند العرب كما نشأ عند غيرهم من الأمم تنديداً بالمعايب الشخصية أول الأمر ، ثم تقدم عندهم كما تقدم عند غيرهم ، وارتفع عند الأحقاد الخاصة إلى عنصر الحياة العامة ، فكان منه السياسي والأخلاقي والديني(١)

أبلغ أنواع الهجاء ما يمس المزايا النفسية كأن يصف الشاعر خصمه بالجبن والبخل والكذب وغيره ...

أساليب الهجاء :

الهجاء الواقعي :الذي يصور فيه الشاعر الشخص المهجو على حقيقته دون زيادة.(٢)

الأسلوب الساخرالكاريكاتوري: وهو الذي يتفنن فيه الشاعر بإلصاق الصفات المثيرة للسخرية بالشخص المهجو .

الأسلوب الصريح : الذي لا يتورع فيه الشاعر عن ذكر اسم المهجو والإشارة بشكل مباشر.

- أسلوب الهجاء التعريضي : فيه يشير الشاعر إلى المهجو من بعيد إشارة خفية ويترك الناس يفهمون إلى من يوجه هجاءه .

أنواع الهجاء:

الهجاء الفردي : الذي يتوجه فيه الشاعر إلى شخص معين .

الهجاء الجماعي : يتوجه فيه الشاعر إلى جماعة معيـــنـــة .

الهجاء الخُلُقي : يتناول فيه الشاعر العيوب الأخلاقية للمهجو كالجبن والكذب ..

الهجاء الخَلَقي : يتناول فيه الشاعر عيوب الجسد مثل أنفه طويلة أو قامته قصيرة..

ومن الباحثين من يذهب إلى أن في الهجاء "إصلاحاً للأخلاق لما تحمل عليه من تجنب الرذائل الموجبة للهجو"(١). فالهجاء يسهم في كشف العيوب التي يذم الأفراد بسببها ، وهو

---

(١) الهجاء والهجاءون في الجاهلية .محمد محمد حسين . مطبعة أحمد مخيمر ١٩٤٧ م .

(٢)الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين محمد دار الراتب الجامعية ص ٦

بذلك ينبه هؤلاء الأفراد بشكل غير مباشر،إلى تجنب هذه العيوب ليكونوا في مأمن من رمي الهجّائيين وطعنهم .ففي فن الهجاء إحصاء للعيوب والمثالب ،وهي في حقيقتها مثالب المجتمع وعيوبه ، فهو في الظاهر هجاء ، وفي الحقيقة إصلاح وتهذيب وتقويم لكل اعوجاج في المجتمع سواء ما اتصل بالفرد أو بالجماعة (٢) ولا يعني ما تقدم أن الهجاء العربي عامة ، كان في غايته نشدانا للإصلاح والتهذيب والتقويم ، فليس من شك في أن جانبا من هذا الهجاء صدر عن نفوس حاقدة لئيمة تتميز بالأنانية المظلمة ، وأكثر ما تتجلى هذه الأنانية في الهجاء ذي الدوافع الفردية البحتة ، على أن جانب من هذا الهجاء ذو هدف غايته التنبيه والتوجيه والبناء الاجتماعي الصالح ، "وبذلك يصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح " فالمديح يرسم المثالية الحلقية لهذه التربية ، والهجاء يرسم المساوئ الفردية الاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع الرشيد (٣) فللهجاء في الحياة رسالة تهدف إلى خلق مجتمع فاضل من خلال فضيلة الحاكم والمحكوم ؛ متمثلة في حياة تتكامل فيها صور المحبة والتسامح والكمال والعدل الإنساني ، فهو" قوة بنائية إلى جانب هذا المظهر الهدّام ، الذي هو أول ما يطالع المتصفح له ، فهو حين يهاجم شخصاً من الأشخاص أو نظاماً من النظم أو نزعة من النزعات ، يتصور في حقيقة الأمر حياة أخرى بأشخاصها ونظامها وأسلوبها ،هي مثله الأعلى الذي يطمح إليه ويدعو له ، فالهجاء له فلسفة في الحياة ،يريد أن يؤديها إلينا(٤).

فالهجاء البّناء يهدف إلى خلق مجتمع فاضل يسوده العدل والمساواة وحياة تتكامل فيها صور المحبة والتسامح.لذلك ليس الهجاء في هذه الحالة كما تصوره رؤية العجّاج عندما سئل أنك لا تُحسن الهجاء فقال (٥) : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِم وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَم.ولذلك فليس صحيحاً أن الهجاء مطلق "يُعبّر عن وجوه القبح واليأس ، وأنه تجسيد

---

(١)عنوان الأريب – محمد النيفر ط ١ المطبعة التونسية ١٣٥١ هـ .

(٢) فصول في الشعر ونقده . شوقي ضيف ٢ط . دار المعارف ١٩٧١ .

(٣) العصر العباسي الأول . شوقي ضيف ط . ثانية دار المعارف ١٩٦٩م .

(٤) الهجاء والهجاءون في الجاهلية : د . محمد محمد حسين دار النهضة العربية ط ٣ ١٩٧٠ ص ٢٣

(٥) الشعر والشعراء : ابن قتيبه : تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٣ ١٩٧٧ : ١/ ١٠٠ . والعمدة : ابن رشيق : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : دار الجيل ط ٤ بيروت ١٩٧٢ م : ١/ ١١٢ .

لملامح الشر والاختلال والشعور بالنقص والاختلاف "[١] فقد تكون السمة الإصلاحية هدفاً من أهداف الهجاء .

لا يعد الهجاء شعراً ذا غاية تهذيبية تربوية خالصة ، إلاّ إذا تأثر بعاطفتين اثنتين: الحب و الحقد ، ولن نجد في تاريخ الآداب العربية كاتباً مجيداً أو شاعراً بليغاً أو خطيباً منطقياً خلت نفسه من رقة الحبّ أو قسوة البغض ، فالسر في عبقرية البحتري يرجع إلى قوة شغفه بمعالم الجمال ، كما أن السر في عبقرية ابن الرومي يرجع إلى تطيّره وحقده على من عرف وما لم يعرف من سعداءالناس" [٢] فالشاعر حين يمدح ويفخر ويرثي ويتغزل بالمرأة أو بالطبيعة يصدر في ذلك كله عن عاطفة الحب والرضا ، ولكنه حين يهجو ويعتب ويؤنب وينذر ويتوعد ، يصدر عن عاطفة السخط والبغض وعدم الارتياح ، فمع الغضب يكون الهجاء والتوجع والعتاب الموجع [٣] كل هذه الفنون الشعرية إلى هاتين العاطفتين المتناقضتين ، ولعل الإحساس بأثرهما في قول الشعر هو الذي أدى إلى جعله نوعين : مدح وهجاء.

الهجاء بين الفنون الشعرية[٤] :

يحتل الهجاء مكان واسع في ديوان الشعر العربي ، فقد لا نجد شاعر إلا تناول هذا الفن في شعره ، وكذلك لا نجد باحث قديم تحدث في فنون الشعر إلا جعل الهجاء في أبرز مكان فيها. وأبو تمام أقدم من تعرض لتبويب الشعر العربي ورتبه في عشرة أبواب وهي الحماسة والحالة.والأدب والنسيب والهجاء والأضياف والمديح والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة النساء [٥] ومن بعده مجموعة من الشعراء مثل قدامة بن جعفر فجعل أبواب الشعر ستة المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه.[٦] وهذه الأبواب في كتاب " نقد النثر " المنسوب لقدامة أربعة هي : المديح والهجاء والحكمة واللهو[٧] . ويقسم أبو هلال العسكري الشعر العربي إلى اثني عشر باباً يقع الهجاء في الباب الثالث منها [٨]

---

(١) فن الهجاء وتطوره عند العرب . إيليا حاوي – المقدمة ٧ – ط . دار الثقافة بيروت .

(٢) النثر الفني في القرن الرابع .د زكي مبارك ٢/ ١٣٣ ط . ثانية السعادة ١٩٣٤م .

(٣) العمدة . ابن رشيد القيرواني ١/ ١٢٠ - ١٢١

(٤) لخصت المعلومات من اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري قحطان رشيد التميمي ص ١٥

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام ط . ثانية لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٨ م (التقديم ٧)

(٦) نقد الشعر . قدامة بن جعفر ٥١ ط . الخانجي ١٩٤٨م

(٦) نقد النثر قدامة بن جعفر ٨١ مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٩٣٩م .

(٨) ديوان المعاني . أبو هلال العسكري ١/ ٩١ طبعة مصر ١٣٥٢هـ .

وغيرهم مثل ابن رشيق القيرواني بعد هؤلاء فيورد في عمدته مجموعة آراء في تقسيم الشعر فيجعل الهجاء الثالث[١] ، ويجعلها أستاذه عبد الكريم أربعة ويجعل الهجاء الثاني[٢]، ويرى آخرون الشعر كله نوعان : مدح وهجاء[٣] وواضح أن الهجاء في كل هذه التقسيمات يكون قسما رئيساً من أقسام الشعر .

الأدب بفنونه وموضوعاته ، صورة للحياة وتعبير عن أفكار يحس بها الأديب من خلال تفاعله مع هذه الحياة.والشعر أداة فنية جميلة يستخدمها الشعراء للكشف عن أحاسيسهم وأحاسيس غيرهم في كل حالة . وحتى هذه المشاهد المؤذية المزعومة التي يتناولها الهجاء إنما هي جزء من هذه الحياة.

إن الهجاء إذا صدر عن عاطفة صادقة وعبّر عما يحسه الشاعر من صراع نفسي وألم ذاتي، لا يمكن عده قبيحاً، أو رديئاً أو عملا شريراً. إن إحساسنا بقبح الهجاء في بعض الأحيان لا ينبغي أن يدفعنا إلى الحكم عليه بالقبح والرداءة " ما دام يثير الإعجاب بالشاعر الذي استطاع أن يرسم بقلمه النقائض التي يراها فيمن يهجوه، وبهذه المهارة التي رسمها بها. ويعتبر الهجاء من ألصق الفنون الشعرية بحياتنا اليومية لأنه يوضح لنا الوجه السيئ الذي يحرص الكثيرون أشد الحرص على إخفائه وستر عيوبه ومخادعة النفس بإبراز الوجه الحسن من حياة الفرد والمجتمع. ولكن ذلك لا يقف حائلاً أمام الهجاء الذي يكشف لنا عن كثيراً من حقائق الحياة والواقع كشفاً أدبياً يثير في نفوس الكثيرين الألم والغضب . " فهو فن من فنون الأدب الرفيعة في الأدب العربي قد يعين على تصور الحياة عند الأفراد وفي المجتمع ، وقد يساعد على تاريخ الحياة العربية حين يصدق الشاعر ويحذر المؤرخ في بحثه حين يريد أن يعلم ما كان للعربي يستحسن ويستقبح ، وما كان يذم ويقدح ، وأن نتبين ما كان العرب والمسلمون يجدونه من مثالب ومآخذ عند الشعب والحكام " [٤] .فمن خلال الهجاء نستطيع أن نحكم على كثير من الحقائق التي أغفلها تاريخنا فيما يتصل بالمجتمع والأخلاق والمذاهب .

---

(١) العمدة ابن رشيق القيرواني ١ / ١٢١م

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٢٢

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٢٢

(٤)الهجاء " الهجاء سلسلة فنون الأدب العربي " ١١ط . سامي الدهان ط . دار المعارف ١٩٥٨م

تطور الهجاء :

الهجاء فن ذائع مارسه معظم الشعراء على امتداد العصور العربية والإسلامية ، مدفوعين إليه بدوافع كثيرة : سياسية و اجتماعية وخلقية . ولذلك كان الهجاء وثيق الصلة بالحياة العامة شديد الارتباط بها . يقول الأستاذ طه أحمد إبراهيم : " أما الأغراض التي كان الذوق العام يفضلها على غيرها فأربعة : النسيب والفخر والمديح والهجاء ، يؤثرونها لأن لها صلة وثيقة بحياة الشعور والاجتماع ، فالنسيب لشيوع الغناء وكثرة المغنين وانتقائهم أحسن الشعر تصويراً للجوانح وإبانة عن نوازع الفؤاد .. والأغراض الثلاثة الأخرى هي صور الحياة الاجتماعية عند العرب بما فيها من عصبية ونضال واكتساب معايش " [١]، فصلة الهجاء بالحياة تتجلى من خلال كشفه عن الأوجه السلبية الرديئة في الحياة .فعلى النطاق السياسي والإداري تبدو لنا في مرآة هذا الفن مظاهر التفسخ والانحلال والاستغلال في نظام الحكم والإدارة ،وتتكشف لنا حقيقة المتسلطين الذين استغلوا سلطانهم لأنفسهم وللمقربين منهم ،غير ناظرين إلى رعيتهم البائسة الفقيرة . وحين ننظر إلى المجتمع من خلال صفحة الهجاء يتبين لنا هذا المجتمع بزيفه وكذبه وملقه وريائه وفساده وانحرافه عن الفضائل الحميدة[٢].

كثيراً ما كشف لنا شعراء الهجاء عن النفاق الديني والرياء والمذهبي لدى الكثيرين ممن يتخذون من الدين والمذاهب ستاراً لتحقيق أحلامهم وآمالهم الشخصية ، دون تعمق في هذا الدين وهذه المذاهب.هذا لجانب تصوير الهجاء لمظاهر القبح والنقص في الأشخاص : خَلْقهم وأخلاقهم.

---

(١) تاريخ النقد العربي عند العرب . طه أحمد إبراهيم ٦٢ط . دار الحكمة .

[٢] اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري قحطان رشيد التميمي دار المسيرة بيروت ص ٢٠

الفصـــــــل الأول

تطور تاريخ الهجاء في الشعر العربي القديم

الفصل الأول

تطور تاريخ الهجاء في الشعر العربي القديم

الهجاء في العصر الجاهلي :

العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة ، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده [1]. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا ينظروإنما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية،بل يكتفون بالحقبة التي تكاملت فيها اللغة العربية منذ أوائل خصائصها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي. ولا حظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال : " أما عام، (العربي) فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس حُجر ومهلهل بن ربيعة .. إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام " [2] ويقول أبوهلال العسكري :" وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيه والمراثي ، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً فأحسن فيه [3]

حدّه الزمني والتاريخي :

من أجل هذا كله نقف بالعصر الجاهلي عند هذه والحمق.التي سبقت الإسلام بحوالي مئة وخمسين عام ، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى ، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية.

ينبغي أن نعرف أن كلمة جاهلية مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق ، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جل ٍّوعزَّ وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم .ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب ففي سورة البقرة :﴿ قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ وفي سورة الفرقان :﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ وفي الحديث النبوي الشريف أن الرسول ﷺ

---

(١) د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي ط ١٠ ، دار المعارف ص ٣٨

(٢)الحيوان للجاحظ (طبعة الحلبي) ٧٤/١

(٣) ديوان المعاني ١/ ٩١

قال لأبي ذر وقد عيَّره رجلاً بأمه : " إنك امرؤ فيك جاهلية ". وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

ألا لا يجهلنْ أَحدٌ علينا *** فنجهلَ فوق جَهْل الجاهلينا

وواضح في هذه النصوص جميعاً أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق .وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة.، وألف فيها ديواناً نظمه في بعض موضوعات في الشعر الجاهلي هي : الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء والأضياف ،والمديح والصفات والسير والنعاس ، ومذمة النساء . وهي موضوعات يتداخل بعضها مع بعض . ووزع قدامه في كتابه نقد الشعر الجاهلي على ستة موضوعات هي المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه، وحاول أن يرد الشعر إلى موضوعين هما المدح والهجاء. وجعل ابن رشيق موضوعات الشعرالجاهلية فنجده العمدة تسعة وهي النسيب ، والمديح ، والافتخار ، والرثاء والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب،والوعيد ، والإنذار والهجاء ، والاعتذار ، ولا نستطيع أن نرتب هذه الموضوعات في الشعر الجاهلي ترتيباً تاريخياً ، و لا نعرف كيف نشأت وتطورت ؛ لأن الأصول الأولى لهذا الشعر انطمرت في ثنايا الزمن ، كما يظن البعض أنها تطورت من أناشيد دينية كانوا يتجهون بها إلى آلهتهم ؛ يستعينون بها على حياتهم فتارة يطلبون منها القضاء على خصومهم ، وتارة يطلبون منها نصرتهم ونصرة أبطالهم ، ومن ثم نشأ هجاء أعدائهم ومدح فرسانهم وسادتهم .

أما إذا نظرنا إلى الهجاء في الجاهلية فنجده مرتبطاً بروح الصحراء العربية التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل. وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تذم الضعف والبخل واختلاط النسب.وأصبح الهجاءغرضاً شعرياً يرهبه الأفراد والقبائل على حد سواء." ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء، وهذا من أول كرمها "[1] فهم يخافونه ويخشون سلطانه ويحاولون ما استطاعوا أن يتخلصوا ممن يتهددهم به.

حدّه الثقافي والفكري :

كثيراً ما يُلاحظ أن الشاعر يتخطى هجاء خصمه لينال من قبيلته أو من حزبه، ويقارن بين المهجو وقومه ، فتتناوب أبيات الهجاء مع أبيات الفخر ، فإذا تأملنا قصيدة نفهم منها دُروساً

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ١/ ٣٦٤ط. البابي الحلبي ١٣٥٧هـ.

أخلاقية تشجعنا على العمل بعكس هذه الصفات التي استدعت الهجاء ، والشاعر الجاهلي بقوة ألفاظه الهجائية يصور لنا وجهين للحقيقة وجه للخير ووجه للشر ، فهو إذاً يرسم لنا مثالاً أعلى يدعونا للتطلع إليه .

الأعشى يعير قبيلة إيادٍ بأنهم أهل زرع وليسوا أصحاب حرب: [1]

لسنا كمن جعلتْ إيادٌ دارها تكريت تنظُرُ حَبَّها أن يُحصدا

قوماً يعالجُ قُمَّلا أبناؤهم وسلاسلا أُجُـداً وبـابـــاً مُؤصدا

كذلك كان الهجاء الجاهلي يدور على كل ما يناقض مُثل الجاهليين وفضائلهم في حياتهم ، وما يعتزون به ويفتخرون من شجاعة وكرم دافق ووفاء ، وقد يتعدى الهجاء ذلك إلى حد طعن الأعراض وقذف النساء [2]،فهو لا يزال يُقْرن بما كانت تقرن به لعناتهم الدينية الأُولى من شعائر ، ولعلهم من اجل ذلك كانوا يتطيرون منه ويتشاءمون ويحاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .ومما يعرف عندهم أن الغزو والنهب كان دائراً بينهم ، مثال لذلك إذا أغارت جماعة ونهبت إبلاً بينها إبل لشاعر ، تعرّض لهم بالهجاء والشتم، يُروى الرواة أن الحارث بن ورقاء الأسدي أغار على عشيرة زهير ، واستاق فيما استاق إبلاً له وغلاماً فنظم زهير يتوعده بالهجاء المقذع ، يقول [3]

ليأتينَّك مني منطقٌ قذعٌ *** باقٍ كما دنَّس القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ

ففزع الحارث ورد عليه ما سلبه منه . واضح أن زهيراً يستخدم في وصف هجائه المنتظر كل) وبمقدار فهو سيلحق به عن طريق هجائه الرَّجْس والإثم .

أصبح الشعراء يصبُّون أهاجيهم على خصومهم وعشائرهم ، فلم يسلم منها أحد من أشرافهم ، يقول الجاحظ : " وإذا بلغ السيد في السؤدد الكمال حسده من الأشراف من يظن أنه الأحق به ، وفخرت به عشيرته فلا يزال سفيه من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيد عشيرته فهجاه ، ومن طلب عيباً وجده فإن لم يجد عيباً وجد بعض ما إذا ذكره وجد من يغلط فيه ويحمله عنه . ولذلك هُجي حصن بن حذيفة ،و زُرارة بن عُدسَ ، وعبدالله بن جُدْعان وحاجب بن زرارة وهؤلاء هم الذين يمثلون سادات قبائلهم ولم يذهبوا فيما تحت أيديهم من قومهم ومن حلفائهم وجيرانهم مذهب كليب بن ربيعة ولا مذهب حذيفة

---

(١) الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين محمد دار الراتب الجامعية ص ٩

(٢) العصر الجاهلي . شوقي ضيف ٢٠١ ط . دار المعارف

(٣) مختار الشعر الجاهلي للسقا ، ص ٢٥٥، وديوان زهير (طبعة دار الكتب المصرية) ص ١٨٣ . القذع : القبيح . القبطية : كل ثوب أبيض . الودك : الدسم .

بن بدر ولا مذهب عيينة بن حصن ولا مذهب لقيط بن زرارة ... فإن هؤلاء وإن كانوا سادة فقد كانوا يظلمون"[1]وبمقدار ما كان في القبيلة من شرف وأشراف كان هجاؤهم عندهم ، إذ كانوا لا يزالون يتعرضون لها ولأشرافها بأقبح الهجاء وأقذعه.

أغراض الهجاء في العصر الجاهلي ودوافعه :

عرف الجاهليون ألوان أخرى من الهجاء ، هي الهجاء الشخصي والهجاء السياسي ، ثم عرفوا بعد ذلك لوناً آخر ظهر بظهور الإسلام ، وما صحبه من حركة فكرية ، وهو الهجاء الديني ، يُعرف الهجاء القبلي بالهجاء الشخصي الذي يخرج به الشاعر من دائرة التحديد إلى دائرة العموم ، ومن الجزء إلى الكل ، فكأنه أراد أن يوسع من دائرة الألم ، ويصيب بسهمه غير المهجو ، فمن الممكن أن نرجعهما إلى شيء واحد وهو الهجاء الشخصي ، سواء اتخذ صيغة فردية خاصة أم جنح إلى العموم والشمولفقد كان ناتجمن المنازعات الفردية والخلافات التي نشأت من احتكاك الناس وتعارض مصالحهم ، في بيئة تقوم على القتال والنزاع في سبيل الحياة. ويميل الكثير من النُقاد إلى الغض من قيمة هذا الفن في جملته ، واعتبارهأحط أنواع الهجاء[2] .

الهجاء القبلي فهو في الواقع ليس شعر سياسياً بالمعنى الدقيق، ولكنه يصور الشعر السياسي في طوره البدائي عند العرب. فالعرب في جاهليتهم لم يعرفوا نظام الدولة ومن ثم لم تكن لهم أحزاب منظمة تتقيد ببرامج خاصة. ولكن العربي مع ذلك كان يحمل لقبيلته من القداسة والإجلال، مثل ما يحمل المواطن لوطنه بل أشد. وكان للفرد من قبيلته من الحقوق، ما يشبه حق المواطن على وطنه. فهي مكلفة بحمايته أمامها، وهو مسئول أمامها ، مرتبط بها ، وهو يضع سيفه ولسانه في خدمتها .وما تقدم لا يعنى أن كل الهجّائيين كانواوثيقاً،في أهاجيهم عن حس نقي وانفعال صادق ، فبينهم من يكثر من الكذب والافتراء في هجائه، ونقرأ فيه ما تمتحن به النفس الإنسانية من مثالب وسيئات صورها الهّجاءون من خلال احتكاكهم بمجتمعاتهم ونقدهم لحكامهم . ولأن الهجاء يتصل بالحياة العامة اتصالا وثيقاً ، فإننا نجد معالم التطور فيه أعمق وأوسع منها في المديح الخالص [3] . فالهجاء فن متطور يستمد معانيه مما تواضع الناس على أنه من الرذائل.

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ٢/ ٩٣

(٢) الهجاء والهجاءؤن في الجاهلية ، تأليف محمد محمد حسين ، ط ٢ ص ١١٥

(٣) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، سنة ٢٠٠٤م ، ط ١٦ ، ص ١٦٧.

وارتد إلى ما ألف الناس من الهجاء وهذا ما يمثله هجاء حسان لقريش وغيرها .

أما الهجاء القبلي فهو الذي يدور بين شعراء القبائل ،ونقرأ فيه صوراً من منازعات القبائل ومنافساتها ، وهذا اللون من الشعر مزيج من الحماسة والهجاء فحين يتحدث الشاعر عن قبيلته،يفخر بمآثرها ويعدد فضائلها ،وإذا تحول إلى القبيلة المعادية انقلب عليها غاضباً يذكر مثالبها ورذائلها . وهذا الجانب من الهجاء يؤرخ للحياة العربية في الصحراء ، وهو يعتمد على التاريخ والأنساب فنجد الشاعر هنا أشبه بالمؤرخ ، إذ أنه يصور مجد قبيلته مُعدداً أيامها ،سارداً لتاريخها الحميد ،مثير في نفوس أبنائها الزهو والحماس والفخار ، هو بعد هذا يؤرخ ضعف أعدائهم ، معيراً بهزائمهم بما يوقع في نفوسهم الخزي والصغار[١]. وفي معلقة الحارث بن حلزة صورة واضحة لهذا الضرب من الهجاء ، كما أن في شعر حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم أمثلة كثيرة للهجاء القبلي ، ومن ذلك قول حسان يخاطب ابن الخطيم [٢]

فلا تعجلَنْ يا قيس وأربـــعْ فإنما قصاراك أن تلــقى بكل مــهنـــــــــدِ
حسام وأرمـــاح بأيـــدي أعــزة متى تَرَهم يا ابن الخطـيـــــــم تبلـــــدِ
لقد لاقت الأوس الهوان وطُــرّدت وأنت لــدى الكُنّــات فــي كــل مَطْـــردِ
نفتــكم عــن العلياء أمّ لئيمـــة وزند متى تــقدح به النـــــــار يصلـَدِ

واضح هذا الجمع بين الفخر والهجاء في سياق واحد ، لان العاطفة الكامنة وراءهما واحدة هي حب القبيلة والدفاع عنها ،والهجاء الذي يعبر فيه الشاعر بلسان جماعة هو أحدها ، فهو هجاء قبلي و يظل محدود المنطق والأهداف .وتسميته بالهجاء السياسي[٣] يبعده عن المفاهيم التي انطلق منها ، والمضامين التي عبر عنها ، فالقبيلة وحدة بناء كبيرة في المجتمع العربي الكبير في الجاهلية ، ولكنها لم تكن دولة لها كيانها ونظامها ، فالقبائل العربية التي تعيش متفرقة متنافرة لا تربطها وحدة تؤلف بينها وتُكون منها شعباً متحداً منظماً تقوم به دولة عربية واضحة السمات كدولتي الفرس والروم اللتين عاصرتا العرب في ذلك العهد القديم [٤] وهذا الهجاء يصور نزاعاً من القبائل هو قريب من النزاع الفردي ،

---

(١) محمد محمد حسين الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ١١٧

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٣٣ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م

(٣) محمد محمد حسين الهجاء والهجّاءون في الجاهلية ص ١١٤

(٤) تاريخ الشعر السياسي حتى منتصف القرن الثاني . أحمد شايب ص ٢٤

وهو شعر يقوم على منفعة الفرد ، كان النعمان كثير الوقائع في قبائل العرب وخاصة عبدالقيس فتعرض له شاعرها يزيد بن الحذاق يتهدد النعمان بن المنذر ويتهمه بالخيانة والخداع وبأنه يضمر لهم الشر ،فيقول من قصيدة له : [1]

نعمانُ إنك خائنٌ خَدِعٌ *** يُخْفِي ضميرُك غير ما تُبْدِي

ربما لم يكن ذلك صحيحاً على إطلاقه فقد استطاع كثيراً من الهجائيين المتأخرين في الأدب العربي ، أن يفتنوا في الهجاء الشخصي ، ويبلغوا به درجة ممتازة . يلاحظ أن هذا الفن في معظمه كان متخلفاً عند الجاهليين ، على كثرة ما أنتج الشعراء فيه . فقد غلب عليه العجلة التي أبعدته عن الرُّوية والجهد الذي يبذله الفنان في فنه ، فكان تصويراً سريعاً حاراً لعاطفة الغضب ، التي تنحرف بطبعها عما ينبغي للفن من أناة ، وكان لذلك صورة خشنة مهوشه للتجربة ، لم يختزنها الحس الفني ، ليعيد عرضها بعد أن يستثيرها من مكمنها ، وقد أضفى عليها من خياله وسحره ، فالهجاء سجل لمعركة بين فردين يتشاتمان ، يُرى فيه كل ألوان العنف الذي يصحب هذه الظاهرة ، فيه الاستعلاء على الخصم بكل شيء ، بالمال وبالحسب والأهل،وفيه السباب المقذع الذي يتعرض لأغلظ العورات دون احتشام ، وفيه التعبير والتهديد . وأكثر ما نجد فيه فخر كثير ، وتهويل بالقدرة على البطش بالسيف ، وبالشعر الذي يبقى ميسمه ، ويجري على كل لسان . ويقول مُزرِّدبن ضرار الذبياني : [2]

يهزون عرضي بالمغيب ودونه لقَرمِهم مندوحة ومآكل
على حين أن جُرِّبتُ واشتد جانبي وأنبحَ مني رهبة من أناضل
وجاوزت رأس الأربعين فأصبحت قناتي لا يُلْفى لها الدهرَ عادل

يقول قد كان لهم مندوحة ومنصرف عن أكل عرضي في غيابي ، وأنبح منه الذين يناضلونه صيرهم إلى أن ينبحوا كالكلاب ، ويصف نفسه باللدود في الخصومة ، والحذق بإصابة الخصم ، و نعثر في بعض الأحيان بشعر من هذا الباب ، لا يخلو من المتعة الفنية ، مثل قول ذي الأصبع العدواني في هجاء ابن عم له :[3]

(١) تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون : المفضليات : للضبي : دار المعارف : ط ٥ ص ٢٩٦
(٢) محمد محمد حسين الهجاء والهجاءؤن سبق ذكره ص ١١٦
(٣) مرجع سبق ذكره ص ١١٧

لِيَ ابنُ عم على ما كــان منُ خُلُق مختــلفــان فــأقــليــه وَيقْلِينــي
أَزْرَي بنــا أنــنا شالــت نعامتُنــا فخالني دونــه بــل خِلتــُــه دوني
يا عمرُو إن لا تَدَعْ شتمي ومَنْقَصتَي أضربك حتى تقولَ الهامةُ اسقوني
إني لعمرك ما بــابي بذي غلق عن الصــديق ولا خيــري بمنونِ
ولا لــســـانــي الأدنــى بمنطلق بالفاحشات ولا فتكي بمأمــونِ
عني إلــيـــك ، فــمــا أمي براعية تراعى المخاض وما رأيي بمغبونِ

أقليه أي أكرهه ، وتفرق أمرنا و اختلفنا ، والهامة طائر كانت تزعم العرب في أساطيرها أنه لا يزال يصيح على قبر المقتول قائلاً (اسقوني اسقوني) حتى يؤخذ بثأره . يهدده بأن يضربه حتى يقتله ،يعتمد على مهاجمة الأفراد.وهو أقدم أنواع الشعر الهجائي وهو في معظم الأحيان متأثر بالأهواء الشخصية ، بعيد عن العدل والإنصاف ، لأنه لا يرتقي إلى عناصر الحياة العامة إلا في القليل من نواحيه ، فهو أقرب للسباب ، وأدنى إلى أن يتورط في الفحش ،ومثل هذا الشعر قد يعجب المعاصرين ويستدعي انتباههم ، فيرددونه شامتين أو ساخطين ، ولكنه يفقد جزء كبيراً من قيمته بتداول العصور فلا يتحمس له الإنسان ولا يجدون فيه مضحكة . وأكثر ما يكون الهجاء الشخصي ناجحاً إذا استطاع فيه الشاعر أن يخفي حقده نحو الأفراد ، فيبدو غضبه منصباً على رذائل سائدة وحماقات منتشرة ، لا تعرض فيها أسماء الأشخاص إلا على سبيل التوضيح والمثال ، كالذي نجده عند الجاحظ في البخلاء .

يتصل بعض الهجاء الشخصي بالقبائل وما بينها من خصومات ، فيكون الهجاء في ظاهره موجهاً لشخص،وفي حقيقته موجه للقبيلة ممثلة في هذا الفرد الذي يمثل زعيمها أو شاعرها . وهنا يختلط الشتم والسباب بالتلميح إلى أسباب الخصومة بين القبيلتين، فيجد الهّجاء بين يديه مادة خصبة تعينه على المضي في قصيدته حتى تبلغ عشرات الأبيات.

أنماط الهجاء :

نما الهجاء الشخصي الذي هو أصل الهجاء ،وتطرق إلى موضوعات أخرى ، فإذا نظرنا إلى العلاقة بين العرب نجدها غير حميمة لأنها يقوم نسيجها على التنافس والقتال . وهذا من شأنه أن يخلق النفور .ويُؤرث العداوة كل ذلك من دوافع شعر الهجاء وهو الذي

يدور حول شخص معين لأنه ارتكب جريرة ، أو أتى ما يغضب الشاعر وإن كان محقاً أو محسناً عند نفسه ، وقد بدأ من هذه الدراسة الموضوعية لهذا النمط من الهجاء أنه يدور حول محورين :

الأول : ذكر العيوب الخلقية وما يتصل بها.

الثاني : التركيز على تقليل الشأن ، أو التهوين من القدر وما يترتب على ذلك من وسائل .فأما العيوب الخلقية ما يتصل بالشكل العام للإنسان من قصر وطول ولون وعيب في الأنف أو دناءة الأصل ورقة النسب ، ويرميه بأبيه ، أو يقذف أمه ..... وغيرها

وخير مثال لذلك ما قاله الشاعر عن قيس بن عاصم ،وهو سيد أهل الوبر يذكر مثالب أبيه وأمه ، ولم يتعرض فيه لقيس مباشرة ، ولكنه أتى عليه بهذا البيت إذ يقول

لحا الله أعلى تلعة حفشت به وقلتا أقرت ماء قيس بن عاصم [1]

فالشاعر يتناول في هذا البيت أصول هذا السيد فأير أبيه مصاب . وفرج أمه مذموم ، ولا ينظر إلى هذا البيت على أنه تناول الأعراض ، ولكنه يسلبأصل الرجل وفي هذا إيلام وايجاع ويقول طرفة في زوج أخته وابن عمه عبد عمرو ، يصفه بصفرة من الخيرات ، فليس له من الخير غير غناه ، وهذا أمر لم يأته عن كرامة وهو يقترب في تكوينه الجسدي من النساء إذ يقول : [2]

فيا عجباً من عبد عمــرو وغيــه لقــد ســام ظلمــي عبــد عمــرو فأنعمــا

ولا خير فيه غير أن لـــه غنـــى وأن له كشحاء إذا قـــــام أهضـــمـــا

هذا الهجاء يقوم على التناقض من شأنه أن يثير الضحك وهو يدل على نفاذ الشاعر وبصره بما يبغى ، فعبد عمرو يروم البغي ، وهو يطلب الشدة والرجولة ، لكي يؤثر في نفس المتلقي يأتي بالشطر الثاني الذي يدل على كلف الرجل بالظلم وابتغائه ، ومن كان على هذه الصورة فهو ذو هيئة مهيبة وطلعة مخيفة ، وهنا يأتي دور البيت التالي حين يعكس الانفعال ، وينتقل بالإحساس والتصوير من النقيض إلى النقيض ،وذلك من شأنه أن يحدث المفارقة التي توجد السخرية ، ويصدر البيت بالنفي العام(و لا خير فيه) ، ثم يرتد فيتراجع

(١) كتاب المعاني لابن قتيبة ج١ ، ص ٥٠٧

(٢) الحيوان للجاحظ ص ١١٣

ذاكراً مناقبه ، ومعدداً أفضاله ، ويحددها في شيئين : الغنى ومشابهة المرأة ، ومن كان كذلك فالأولى به أن ينأى عن روم البغي ، وطلب الظلم [١]

النمط الثاني من الهجاء هو تقليل شأن المهجو مثال لذلك يتعلق بهجاء رجل شريف هو " عبد الله بن جدعان " ذلك الرجلالذي كان يؤم الناس بيته ، وتعقد فيه الندوات والأحلاف ، ولكن الشاعر " خداش بن زهير " هجاه ، فبكى من أثر هجائه . وقد ذكر الجاحظ خبر بكائه ولم يذكر الشعر فقال " بكى عبد الله بن جدعان من بيت لخداش بن زهير"[٢].نقل هذا الخبر مصطفى صادق الرافعي في تاريخ آداب العرب ، وذكر انه لم يهتد إلى هذا البيت ، أما عبد الله بن جدعان فقد قال الجاحظ في الحيوان : أنه بكى من بيت خداش بن زهير ولم يذكره ولم نقف عليه" [٣]ولكني وقفت على أبيات خداش التي هجا بها عبدالله بن جدعان هي [٤]

وأنبئتْ ذا الضرعِ ابن جَدْعَان سبَنْي فإنِّي بِذِي الضَرعِ ابن جدعانَ عَالِــمُ
أغــرِك أن كانْتَ ببَطــنــْك عكنِــة وأنَّكَ مُكَــفِــي بمَــكَــــة طَــلْــعَمُ
ترضَى بأنْ يَهْدِي لكَ العفْلَ مُصلِحاً وتَخنْقَ أنْ تَجنِي عَلــيــْكَ العَظْائـــمُ
أبــِي لكــُمُ أنْ النَّفوس أذلـــــــةً وأن القُرْىَ عَنْ واجِبُ الضَــيْفَ عَاتِمُ
وأنْ الحَلومَ لا حـــَــلْــومُ وأنْتـــَم مِنَ الْجَهِل طَــيْــر تِحْتَها الْمَــاءِ دَائِمُ
ولــولا رِجْــالٌ مَــنْ عَلْى أَعِــزةً سَرْقتم ثِيابٌ الْبيَتَ، والْبَــيــتُ قَــائِمُ

فنحن أمام هجاء رجل له مكانته ، ويبدو أن عبد الله بن جدعان قد نال خداشاً بسوء ، وهو من أهل بيت ، فجده عمرو بن عامر فارس الضحياء وهو شاعر كبير أشعر من لبيد .

الشاعر الهجّاء يجب أن يعرف من أمور المهجو ما يجهله أكثر الناس فيبدأ الشاعر أبياته بذكر سب عبد الله له ، ولم يشأ أن يسبه ، وإنما سلب من شأنه ، أن يأتي عنه السب ، فمن البين أن الساب تتوفر فيه عناصر القوة والمواجهة والجرأة ما أمكن ، وقد سلب هذا من ابن جدعان ،ووصمه بالتضرع وهو غاية الذل والانكسار.

وأنبئتْ ذا الضرعِ ابن جَدْعَان سبَنــْي فإنِّي بِذِي الضَرعِ ابن جدعانَ عَالِــمُ

---

(١) د عباس بيومي عجلان: الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ص ١٦٤

(٢) تحقيق عبد السلام هارون: الحيوان للجاحظ ج٢ ، ص٩٠.

(٣) تحقيق محمد سعيد العريان تاريخ آداب العرب ج٣ ص ٨٠ .

(٤) الشعر والشعراء ج١ ، ص ٦٥٠ ، ورواية خزانة الأدب ج٢ ، ص ٩٥ ، ٩٦

فقد ركز الشاعر على (ذي الضرع) فكأنه الضراعة ملازمة له لا تنفك عنه وحري بمن كان هكذا أن يكف عن السب لأنه لا يقدر على تنفيذ ما يدعى وإبرام ما يزعم .

الشطر الثاني من البيت يقوم بدورين أحدهما إيجابي وهو ما يتهمه به من صفات مدعياً أنه لا يكذب فيها، ولا يجاوز الحق لأنه به عالم، أما السلبي نقي ما يترتب عليه السب، لأنه عالم بقائله ، والعلم يُهون من شأن ما يأتي ، ويقوي من أثر هجائه :

أغَرِك أن كانــتْ ببَطــنــكْ عكنِة وأنَّــكَ مُكَفِــي بِمَكَة طــلَعَــمُ

هذا أسلوب سخرية ، فهو لا يسأل عن شيء ، ولكنه يسخر منه .

فأنت يسعي عليك ، ويقام بأمرك ، ولا تقوم بأمر أحد، وذلك شأن المرأة والعاجز ، وهذا عندهم من قذع الهجاء ، وهو ما قاله الأعشى في(يزيد بن مسهر الشيباني):

وذرنا قوماً أن هموا عمدوا لنا *** أبا ثابت ، وأجلس فإنك ناعم

وهو ما قاله الحطيئة في الزبرقان :

دَعْ المكَارِمَ لا تَرْحَلَ لِبُغَيَتِها *** وأقَعْدَ فَإِنَّكَ أنتَ الطَاعِمَ الكَاسِي

فكأن الذي سول له أن يسب خداشاً أمران كلاهما مخز ، ارتخاء البطن وثني طياتها ، وهذا ما تتيه به المرأة أحياناً ، ولكن ربما كان بن جدعان محامد لم يشأ أن يذكرها خداش ، ومن المعروف أن ابن جدعان كان كريماً ثرياً . فيأتي بالبيتين التاليين لنفي الكرم

ترضَى بأنْ يَهْدِي لكَ العفْلَ مُصلِحــــاً وتَخنْقَ أنْ تَجنَــي عَليــــكَ العَظْائــــمُ

أبــِي لكــُمُ أنْ النــَّفــــوس أذلــــةً وأن القُرْىَ عَنْ واجِبُ الضَــيْفَ عَاتِــمُ

أنني أعلم ما يسرك ، وأعرف ما يسوؤك، فكم أنت بخيل شحيح تروم تنمية المال ، وتنفر من أهانته وبذله عبر الشاعر عن ذلك بالبيتين ، فهو يرضى حين يأتيه شيء يدل على نماء المال وان كان خسيساً،ويصيبه السوء حين يلتزم بأمر عظيم،وليس ذلك من شأن العظماء .

وقد أتى الشاعر بالفعل (ترضى)و(تخنق) ليخلق تناقضاً في العاطفة ، والإحساس ينشأ عنه معرفةوثيقة بشخصية المهجو ، وخليق بالرجل السيد ،أن يرضي بجناية العظائم ، ويخنق حين لا يؤدي من واجبه واجباً.

والرواية الأخرى : تضرك تضفي بعداً جمالياً آخر ، وتعكس ما عليه ابن جدعان عند ابتغاء المعروف منه ، أو طلب النفع لديه ، وقد حال بينه وبين الكرم أمور : ذلة لسان ، وتأخير واجب الضيف ، والحمق ، وإذا كان الإنسان ذليل النفس فقد نأى عنه الخير ،

وربما جمع المرء بين ذلة النفس والبخل ولكنه ذو حلم فيعرف المجتمع له هذا فيعظم عنده لرجاحة عقله ، ولكن خداشاً يسلب هذا أيضاً من ابن جدعان .

ولو كان للإنسان مسكه من عقل فلرب غطى على كثير من عيوبه ، وأخفى شيئاً من عوراته ، وأخرج منكراته مخرجاً حسناً ، فنفي العقل يقضي بنفي الفضائل عامة :

وأنْ الحَـلـومَ لا حـلْومَ وأنْتـَم مِنَ الْجَهِل طَـيْـر تِحْتَها الْمـَـاءِ دَائـِمُ

في إيراد الحلوم (بالجمع ما يوحي بأن الإنسان له حلوم كثيرة ،فقد يكون حلمه في تدبيره ، أو في حديثه ، أو في مظهره ، وقد يكون في سلوكه ، إلى غير ذلك) فحين ينفي الحلوم فكأنه ينفي كل صفة حميدة ، ويثبت كل شيء سيئة ، ويصور خداش صورة جهلهم بذلك الطائر الذي يريد أن يستقر فلا بد فلا يجد غير الماء ، فيظل على طيرانه متخبطاً يتلمس أرضاً ينزل عليها فلا يجد ، وفي هذه إبانة عن صورة مركبة فيها الحركة ، والقلق ،وضياع الأمل .

خليق بمثل هذا الهجاء الذي يحمل طعنات أشد مضاء من وقع السيف ، أن تبكي ابن جدعان ، لأنه سيّد يحرص على كرمه ومنزلته ، فلم يسلك له سبيل الشتم أو ذكر العيوب الخلقية ، وإنما سلبه صفات الحمد ، وذكر له مثالب يندى لها الجبين ، من الضراعة والسمنة ، والخمول، والحرص على إنماء المال وتزكيتها ، والنفور من موجبات السيادة ، وما ذلك إلا عن ذلة في النفس ، والتخلي عن واجب الضيف ، وفقد العقل .

هكذا ينأى هذا النموذج من الهجاء الشخصي عن ذكر المقابح الخلقية ، والقدح في الأعراض والأنساب [1]

أما الهجاء السياسي الذي يقوم على العصبية للوطن ، فيهاجم كل ما يؤذيه أو يهدد كيانه ، فالشاعر هنا يعبر عن جماعة هو أحدها ،ولا يكاد يحس شخصيته إلا في حدود هذه المجموعة التي يرتبط مصيره بها كل الارتباط ، فهو يفني فيها وجوده ، ويتجرد من نزعاته وأهوائه ، ليحس بإحساسهم ، ويرى بأعينهم ، ويسمع بآذانهم .

يتميز عن سابقه بأن صاحبه يرى مثله الأعلى في حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب ، فهو يهاجم كل ما يتعارض مع هذا المثل من نقائض ومعايب تتمثل في أنصار حزب آخر . وهو يزعم في كل هذا – صادقاً أو متصنعاً إنه

(١) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ،د . عباس بيومي عجلان ، ص ١٧٧

يهاجم في سبيل الفضيلة والحق ،فشخصية الفرد ضئيلة نحيلة ، لا يكاد تحس لها أثراً . والدولة أو الوطن شيء حي ، له وجود قوي وكيان ظاهر ملموس .

الوطن عند الجاهليين لا يصور حدود جغرافية معينة ، كما نتصور اليوم من هذه الكلمة. ولكنه يصور جماعة من الناس ، تربطهم أواصر من النسب ، صحيحة أو مزعومة ، التي قامت عليها حياتهم ، فعاشوا في حدود هذا التصور الصحيح أو المزعوم ، وقد ارتبطت مصالحهم ، متضامين في الخير والشر ،وهو قليل في الشعر الجاهلي لأن العرب لم يهتموا به الاهتمام الواجب نظراً لطبيعة حياتهم ووجودهم ، لأن جل الشعراء والشعر كان في نجد والحجاز وهذان لا يرتبطان بأطراف الجزيرة العربية وأهلها لا يعرفون الشعر السياسي عادة إذ لا يعرفه إلا من ارتبط بأمير أو سافر إلى الإمارات.

فهو شعر يصور الحرية ومقاومة الطغيان ويستند إلى عاطفة إنسانية دائمة [1] .ويتجلى في هذه الصور الكثيرة التي هاجم به الشعراء ملوكهم والدول الكبيرة القريبة منهم ، والتي كانت تفرض سلطانها على من جاورها من القبائل العربية . ويبدو لنا ذلك واضحاً من خلال تمرد الشعراء وثورتهم في وجه الفردية المطلقة في الحكم والاستبداد والاستغلال. والعربي بطبعه نفور من هذا كله ، لأنه قيد لحريته وطمس لمعالم شخصيته ،وثورات الشعراء في وجه ملوكهم مظهر لمواقف قبائلهم الساخطة المتمردة في وجه الذين يفرضون عليها ظلمهم وسيطرتهم.

له صور شتى ، منها هجاء يصور ما يقع بين القبائل من منازعات ومنافسات ، إلى هجاء يصور ما بين هذه القبائل، وبين الملوك الذين يحاولون بين الحين والآخر بسط نفوذهم ، مثل بني آكل المرار ، وبني الحارث بن معاوية ، الذين ساد منهم قيس بن معد يكربأبو الأشعث ، ومثل المناذرة والغساسنة ،ولون آخر من هذا الهجاء يصور ما صحب نشأة الدين الجديد الذي ظهر في الجزيرة العربية ، ومن قتال وكفاح في سبيل نشره وإقراره .

على الرغم من اختلافها ، تشترك في معظم مظاهرها ، فالغضب والحماسة يختلطان فيها ويتداخلان ، حتى يصعب تخليص أحدهما من الآخر ، فلا يستطيع قارئ الهجاء أن يميز بينهما ، فالشاعر إذا تعرض لتصوير العداء بين قومه وبين عدوه ، صوره من جانبيه ، القوي والضعيف ، فتطغى عليه الحماسة حين يصور قوة قومه مفتخراً ، ثم يغلبه الغضب

(١) محمد محمد حسين ،الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ١١٤

حين يتجه إلى عدوه ناقماً و مُهدداً .ولكنه في حماسته لا يبرأمن الغضب ، وفي غضبه لا يخلو من حماسة [1].

القارئ لهذه الألوان من الهجاء ، لا يجد فيها الحقد الدفين والغرض الخفي ، ولكنه يجد غضباً صريحاً غير مقنع ، هو صور من صحرائهم السافرة ،ومثلهم الصريحة الواضحة . خير مثال لذلك ما صوره الشاعر الضبي (عبدالله بن عتمة الضبي) [2] كيف صور ما بين قومه بني السيد (وهم من مالك الضبي) وبين أبناء عمومتهم بني زيد (وهم من ذهل بن مالك الضبَّيَّ) يبدأ الشاعر مستخفاً بالقوم ، فيقول :

ما إنْ تَرىَ السِيدُ زيداً في نفوســهم كما يراه بَنُو كُــوزٍ ومَرْهُـــوب
إن تسألوا الحــقَّ نُعْط الحقَ ســائَله والدرعٌ محقَبةُ والســيفُ مقــروبُ
وإن أَبَيْتــُم فإنَّــا مَعــْشــرٌ أُنــفٌ لا نَطْعَمُ الذُّلّ إن السُّــم مشــروبُ
فازُجرْ حمارك أن يَرْتَعْ بَروْضَتــنا إذا يَردُّ وقَيــدُ العَيــرِ مَــكْــُوب

إن بدا زيد في نفوس أبناء عمومته من بني كُوز ومرهوب شيئاً خطيراً ، فما نراه نحن خطيراً . ثم يلتفت إليهم قائلاً : إن تسألوا الحق نعطكم ما تسألون غير مكابرين ، والدرع في حقيبته، والسيف في قرابه . فإن أبيتم ، فإنا لا نقبل الذل ، ولا نرضى الضيم ، فدونه شرب السم. فانتهوا يا بني زيد خيراً لكم ، ولا تخوضوا فينا . ازجروا حماركم أن يرتع بروضتنا، فنحن جديرون أن نرده مضيقاً عليه ، مفتول القيد ، أشد ما يكون الفتل .

أما الهجاء الديني : لم يقف عند الشعر الجاهلي فحسب وإنما له وجود ما قبل البعثة المحمدية، وهو وجود مهتز ، لأنه لا يتعدى الخبر والنقل ، ومن هنا تطور شعر الهجاء الديني، فنجد له أمثلة في ما كان بين شعراء المسلمين وشعراء قريش أول ظهور الإسلام أما الهجاء الأخلاقي: فموضوعه الجرائم الأخلاقية أو الدينية ، والمفاسد الاجتماعية ، والعادات القبيحة ، والعيوب الإنسانية على وجه العموم . وقد يعم به الهجاء جنساً من الأجناس لا يعين منه أفراداً ، كالذي نجده في شعر المعري من السخط على المرأة أو رجال الدين، فهو لا يعنى فيه امرأة مقصودة أو رجلاً يعينه من رجال الدين ، ولكنه يرى رذائل في بعض من عرف من أولئك وهؤلاء، فيدفعه السخط والاشمئزاز إلى التعميم .

---

(١) محمد محمد حسين الهجاء والهجاءؤن سبق ذكره ص ١٣٩

(٢) عبد الله بن عتمة الضبي (من ضبة بن أد طانجة بن اليأس بن مضر)شهد القادسية

وبعض شعر المعري يبدو مظلماً مملاً لا يروق المتفائلين، لأنه يبدو كأنه لا يصدر عن دافع أخلاقي، ولكن عن كراهية ونفور من الجنس البشري.

أدّت الدوافع الفردية والقبلية والسياسية إلى تعدد أضرب الهجاء الجاهلي . ويعتبر الهجاء الشخصي أقدم هذه الضروب إلى الظهور. فالمنازعات الفردية التي تثيرها العواطف والأهواء وتضارب المصالح بكل أشكالها، تسبق زمنياً الخصومات القبلية والخلافات الجماعية والاضطرابات السياسية وتعارض المعتقدات الدينية. ولذلك فمن الطبيعي أن يتقدم الهجاء الشخصي في ظهوره ونشأته على ألوان الهجاء الأخرى ، مثل الهجاء السياسي والاجتماعي والديني، فالهجاء انتقل من الفردية إلى الجماعية [١] ،والألوان الهجائية المتقدمة كلها ذات اتجاه جماعي، يدور الهجاء فيها من خلال نقده وثورته على نظام حكم ما ، أو مجتمع إنساني أو دين من الأديان . ولا يتناول الهجاء الأشخاص هنا لذاتهم ، وإنما لأنهم رجال دولة أو دين أو قبيلة وهكذا، أما في الهجاء الشخصي فالفرد وحده موضوع الطعن والذم ، ولذلك فليس صحيحاً أن الهجاء كان في الأصل جماعياً ثم تحول فردياً ، بل أن الهجاء الشخصي أقدم أنواع الشعر الهجائي[٢] .

شعراؤه وأعلامه :

يمكن القول: إن أبرز شعراء الهجاء الشخصي في هذا العصر : الأعشى[٣] والمزرد بن ضرار[٤] الغطفاني[٥] والحطيئة [١] واحترف الهجاء واتخذه معاشاً ، إذ عدا على الناس بالشتم ينال منهم قبل أن ينالوا منه.

---

(١) تيارات أدبية . إبراهيم سلامة ٣٣٥.

(٢) محمد محمد حسين ، الهجاء والهجّاءون في الجاهلية ١٩ .

(٣) الأعشىشاعر جاهلي المواليد٦٢٨ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة ، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير .من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات .كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كلّ مسلك، وليس أحدٌ ممن عرف قبله أكثر شعراً منه .وكان يُغنّي بشعره فسمّي (صناجة العرب .(قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس فكثرت الألفاظ الفارسية في شعره .عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره .مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره

(٤) ترجمته: (مزرد) لقب له لبيت قاله. واسمه: يزيد بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إلياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، الذبياني الغطفاني، شاعر فارس مشهور، أدرك الإسلام فأسلم، وله صحبة. وكان هجاءه خبيث اللسان، حلف لاينزل به ضيف إلا هجاه، ولا ينكب بيته إلا هجاه. ويظهر أنه أقلع عن الهجاء أخيرا، لقوله فيما نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ، وصاحب اللسان

(٥) ترجمته: (مزرد) لقب له لبيت قاله. واسمه: يزيد بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إلياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، الذبياني الغطفاني، شاعر فارس مشهور، أدرك الإسلام فأسلم، وله صحبة. وكان هجاءه خبيث اللسان، حلف لاينزل به ضيف إلا هجاه، ولا ينكب بيته إلا هجاه. ويظهر أنه أقلع عن الهجاء أخيرا، لقوله فيما نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ، وصاحب اللسان

شكله وسماته :

لم يكن الشعراء الجاهليون يفردون له قصائد مستقلة، بل كانوا يسوقونه في ثنايا فخرهم وحماستهم وإشادتهم بأمجادهم .وقد يتصل الهجاء الشخصي بالقبائل وما بينها من خصومات، فيكون هذا الهجاء في ظاهره موجهاً لشخص، حقيقته موجه للقبيلة [٢] .والكثير من هذا اللون الهجائي قليل الحظ من الصورة والخيال، وكان يجمع مع أغراض أخرى مثل الفخر والحماسة والعتاب وغيرها .....

اتفق الجاهليون على أن الهجاء الشخصي ذو معانٍ محدودة بصور منتزعة من ذلك قول الحطيئة يسخر من بخيل [٣]

كَـــدْحتِ بأظَفْـــارِي وأعَمْلـــتَ مَعِـــوْلِي فَصْادَفتَ جَلمُـــــوداً مِن الصخرِ أمَلسا
تَشْاغَل لمَا جِئْـــتَ فِـــي وَجْـــه حَـــاجَتِي وأطرقُ حَتَى قُلْتُ : قَد مَاتَ أوعَـــسَى
وأَجْمَعـــتُ أنَ أنَعَـــاهُ حَتـــــى رأيَتـــــَه يَفُوق فَـــواقُ الـــمَوْتَ حتـــَى تنفّـــسَا
فَقُلتُ لـــهُ : لا بَـــــأس لســـتُ بَعَـــــائد فَأفـــَرْخ تَعلُوه السَـــمْـــادير مَلبْـــسـَـا

خلاصة القول أن الهجاء الجاهلي كان سجلاً لحياة الأفراد والجماعة في هذا العصر،وهو يميل نحو بساطة العبارة وعفة اللفظ ولكنه يعبر عن عواطف ثائرة وانفعالات متصارعة .

الهجاء في العصر الإسلامي والأموي :

تغيرت مع الإسلام بعض القيم الجاهلية التي كانت سائدة بين العرب وتتنافي مع تعاليم الإسلام وانهارت لتحل محلها القيم الإسلامية التي نشرها الرسولﷺوعززها الخلفاء الراشدون من بعده .ويسمى عصر المخضرمين [٤]ويشمل عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين وسمي أدباءه مخضرمين لأنهم عاصروا الجاهلية والإسلام .لكن في بداية الدعوة الإسلامية لاقى الرسولﷺ كل أنواع المعارضة وخاصة بسلاح الشعر ، إلا أن الإسلام لم يحرم الشعر كله ،بل حرم فقط ما يتنافى مع الروح الإسلامية وما يدعو إلى المعصية . فالرسولﷺ كان يستمع إلى الشعر ويتذوقه . وكان الشعراء الذين أسلموا يردون على

---

(١) الحُطيئةجرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية.شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءاً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣

(٣) ديوان الحطيئة ص ٢٨٢ ط . البابي الحلبي تحقيق نعمان أمين طه ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

(٤) تاريخ الأدب العربي تأليف أحمد حسن الزيات ص ٨ وما بعدها

القرشيين بالشعر فيهجونهم ويزودون عن الإسلام بالشعر ويمدحون الرسول والرسالة المحمدية ومن أشهر هؤلاء الشعراء شاعر الرسول حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعباس بن مرداس السلمي وعدي بن حاتم الطائي .

بدا واضحًا أن الإسلام قد أرسى من الفضائل مايجعل الهجاء إثمًا، ومع هذا فقد ظل الحطيئة سادرًا في غوايته وهوايته فعاقبه عمر بنالخطاب، رضي اللهعنه بالحبس كما أحدث الإسلام تحولاً مهمًا في الهجاء، فاتجه شعراء النبي إلى هجاء المشركين وبخاصة أولئك الذين هجوا النبي وأصحابه، من شعراء المشركين، واضطر حسّان ابن ثابت إلى أن يمطرهم بوابل من الهجاء المقذع معاملةً لهم بالمثل، وهكذا وظف الهجاء في خدمة الدعوة ،طلب الرسولﷺ من شعراء المدينة أن يعينوه بأهاجيهم في قريش ، ويُروى أنه قال لحسان بن ثابت ، وقد أخذ في هجاء القرشيين : " لشعرك أشد من وقع النَّبل " [1] وفي ذلك ما يصور مدى اثر الهجاء في نفوس العرب ، فقد كان سلاحاً لا يقل عن أسلحتهم في القتال ،ولذلك قرنه عبد قيس ابن خفاف البرجمي إلى ما يلقى به أعداءه من سيف ورمح ودرع ، يقول[2]

فأصبحتُ أعددتُ للنائبات عِرْضاً برئياً وعَضْباً صَقيلاً
ووَقْعَ لسانٍ كحدِّ السِّنانِ ورُمحاً طويل القناة عَسُولا
وسابغةً من جيادِ الدُّروعِ تسمع للسيف فيها صَليلا
كماء الغديرِ زَفَتْه الدَّبُورُ يَجُرُّ المدجَّجُ منه فُضولا

فاللسان كان ينكأ بهجائه في الأعداء نكأ السيوف والرماح ، ويخيل إلى الإنسان كأنما تراصّ شعراء القبائل بجانب فرسانها وشجعانها في صفوف ، وقد أخذ كل منهم يريش سهام هجائه ويرمي بها أعداءه من الأشراف والقبائل ، وكل يحاول أن يكون سهمه أن يكون أنفذ السهام وأصماها .حتى لا تقوم للشريف وقبيلته قائمة . وكانوا ينتهزون فرصة تلاقيهم في الأسواق وخاصة سوق عُكاظ ، فينشدون أهاجيهم لتذيع ، وليلحقوا بخصومهم

(١) تاريخ الأدب العربي ١ العصر الجاهلي ، تأليف د .شوقي ضيف دار المعارف ، ط١٠ ، ص ٢٠٠

(٢) المفضليات ص ٣٨٦

كل ما يريدون من خزي وعار ، وفي ذلك يقول راشد بن شهاب اليشكري لقيس بن مسعود الشيباني [1]

ولا تُواعِــدنِّي إِنني إن تـــــُلاقني معي مَشْرفِيٌّ فـــي مضـــــاربه قَضَـــم

وذمٌّ يُغَشِّي المرءَ خِزْياً ورهطـــــه لدى السَّرْحة العَشَّاء فـــي ظلهـــا الأَدَمْ

هو يشير إلى سرحة أو شجرة عظيمة كانت بعكاظ ، حيث تقام السوق الكبيرة هناك ويضرب العرب قباب الأدم ، وتجتمع العشائر من أنحاء الجزيرة ومعها شعراؤها وما يحملون في حجورهم من حجارة الهجاء .

(١) المفضليات ص ٣٠٨

حدّه الزمني السياسي والاجتماعي الديني :

كان الإسلام بمثابة ثورة فكرية إنسانية ،عصفت بمظاهر التخلف الديني والانقسام القبلي والظلم الاجتماعي ، وتنبت مبادئ المساواة والإخاء والعدل ، وانتشلت العرب من وهدة الفرقة والصراع القبلي ، ليعشوا أمة عربية واحدة لها أهدافها في الحياة ومشاركتها في سبيل التقدم الإنساني .

كان طبيعيا أن يصاحب الشعر هذه الثورة ويكون سلاحاً ماضياً من أسلحتها في وجه أعدائها والواقفين في طريقها الإصلاحي . ويعتبر الهجاء من أوسع الأبواب الشعرية التي وأكبت الإسلام في مسيرته ....إذ كانت له رسالة خلقية ، فكان حسان بن ثابت يهجو في سبيل الدعوة وتأييد الفضيلة الجديدة ، فضيلة المعتقد " وروح القدس تؤيده[1] ومن أجل هذا فقد كان الهجاء الديني من أبرز أقسامه في هذا العصر..

ثم امتد قيام الدولة الأموية من سنة ٤٠هـ إلى سقوطها ١٣٢هـ (حوالي اثنين وتسعين عام) تألق الشعر في العصر الأموي وأصبح الأداة الفعالة للدفاع عن الأحزاب التي نشأت في هذا العصر وقويت وأهمها الحزب الأموي والحزب العلوي وحزب الخوارج . كان لكل حزب سياسته الخاصة فانبرى الشعراء يدافعون عنه ويهجون أعداءه . بالإضافة إلى هذه الأحزاب ، عادت العصبيات القبلية ونمت الصراعات بين القبائل اليمنية والقبائل الشمالية .كذلك ظهرت عصبيات جديدة أطلق عليها الشعوبية ،أي الصراع بين العرب والعجم الذين كثروا وارتفع شأنهم.

شعراؤه وأعلامه:

كان حسان وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة أشهر من وقفوا يدافعون عن العقيدة الجديدة رامين المشركين وأعداء هذه الدعوة بسهام قاتلة . وكان لمناهضي الدين الجديد شعراؤهم وفي طليعتهم عبد الله بن الزبعري وضرار بت الخطاب وأمية بن أبي الصلت. وقد أدرك النبي ﷺ قيمة هذا الهجاء في وجه أعدائه ، فكان الهجاء والقتال متلازمين في نشر الدعوة[2]

(١) تيارات أدبية .إبراهيم سلامة ص ٣٤٥ .

(٢) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ١٧٥

لـــــــنَا فِي كلُ يَوْمٍ مِنَ مَعْـدٍ قتال أو سِـباب أو هِجَـــــــاء
فَـنْحَكُمِ بـــالقْوافِي مِـنْ هَجْانَـــا ونَضرِبْ حِـينَ تَخْـتَلطَ الـدِمَاء

وظهر في العصر الأموي فن هجائي جديد عرف بالنقائض اشترك فيه الأخطل والفرزدق وجرير والراعي النميري والبُعيث و دعبل الخزاعي .يلتزم فيها الشعراء أصولاً شكلية . اشتعل فن النقائض ناراً متأججة في العصر الأموي كرجعة جاهلية عنيفة وغلب عليها تقابل المعاني وقلبها وشيوع الهجاء الصريح والهجاء المقذع وعاد التفاخر بالأنساب وذكر الحروب القديمة والحوادث التاريخية. ومثلاً لذلك ما قاله الفرزدق في هجاء قوم جرير[١]

يـــا ابِـــنَ المُرْاوَغَـــة كَيْـــفَ تَطْلَـــبَ دارمـــاً وأَبُـــوكَ بَـــيْنَ حِمَـــارِة وحِمَـــارْ
قَبـــــحَّ الإلـــــهُ بنـــــي كُـــلَيـــــبْ إنِّـــــهُمُ لا يَغْـــدُرِوَن ولا يَفُـــون لجـــارْ
يَسْـــــتيقُظَوَنُ إلـــــى نِهَـــــاقَ حـــمْـــــارَهم وتنـــام أعيـــنهم عَـــنْ الأوتـــــَارْ

شكله وأنماطه وسماته:

كان انتشار التعاليم الإسلامية سبباً في قوة الهجاء ونموه،وظهر الأثر الإسلامي واضحاً في أسلوب الهجاء من حيث بساطته ووضوحه واقتباسه لبعض المعاني القرآنية .ولم يستمر لهذا اللون من الهجاء حدّته وعنفه بعد انتصار الإسلام وكبته لأعدائه .

ظهر الهجاء الديني بظهور الإسلام ،واختلف عن الهجاء السياسي أو القبلي في أغراضه وأهدافه وأسلوبه، مثل ما قاله كعب بن زهير في هجاء أخاه بجير لأنه أسلم وأتبع دين محمد [٢]

ففارقتَ أسباب الهدى واتبعتَهُ على أي شيء ويب غيرك دَلَّكا
على مذهب لم تلفَ أماً وأبـــاً عليه ولم تعرف عليه أخاً لكـــا

لما بلغت أبياته هذه رسول اللهﷺ ، أهدر دمه ، وقال : " من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله " فكتب إليه أخوه بجير يخبره ، وقال له : " أنجه وما أراك بمفلت " وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يُسلم ويُقبل إلى رسول الله ﷺ ، ويقول له : إن من شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسوله ،قبل ﷺ منه ، وأسقط ما كان قبل ذلك .

(١) سراج الدين محمد : الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب، ص ٢٨
(٢) ديوان كعب بن زهير ص ١٢

حميد بن ثور يهجو قاتلي عثمان بن عفان:[1]

إن الخلافة لما أظعنت ظعنت *** عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا

كانت العرب في جاهليتها وإسلامها تتقي الهجاء أشد من اتقائها السلاح ، حيث كانت تحامي عن أحسابها ،وترغب في اقتناء المحامد الباقي ذكرها على أعقابها ، لذلك قال رسول الله وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما من الصحابة يهجون مشركي قريش : لهو أشد عليهم من وقع النبل "[2]

النابغة الجعدي يهجو الأمويين:[3]

قَــد عَلِــمَ المُصَــرانَ والعَــرْاقُ أنَّ عليــاً فــحَلَّهَا العِتــاَقُ

إنَّ الأُلــى جَــاوركَ لا أفــاَقَــواَ لَهْــمَ سِــيَاقَ ولَكُــمُ سِيَــاقُ

سَقِتُمُ إلــى نَهْــجَ الهُــدْىَ وسَــاْقُوا إلى التَّــي لــيَس لهَــا عِــرْاقُ

حسان بن ثابت يهجو أبا جهل :[4]

مَشْؤُمٌ لَعِيْنٌ كان قِدْماً مبغضاً تَبَّينَ فيه اللُؤْمَ من كان يهتدي

يتبين لنا مما تقدم أن الهجاء في هذا العصر الممتد بين ظهور الإسلام ونهاية عصر بني أمية ، إذ كان ذا تيارين : جديد يتمثل في الهجاء الديني والسياسي الذي قيل في ظل دولة ذات نظام إداري وكيان سياسي ، وقديم يتمثل في الهجاء الشخصي والقبلي . وهو في كلا تياريه جاري عصوره ، وكان صورة للحياة العربية والإسلامية في أيام تمزيقها وفرقتها وفي عهود دولتها الكبيرة .

وازدهر الهجاء في العصر الأمويّ بسبب عوامل عدة منها : تأثير العصبيات القبلية التي اشتعلت نيرانها ، وكثرة الفرق والأحزاب الإسلامي.

كان الشاعر يُنظم قصيدته الهجائية ، فيلجأ الآخر إلى الرد عليها ملتزماً نفس البحر والقافية والروِي والموضوع ، وكل شاعر يلصق بالآخر وبقبيلته معاني الضعة والهوان. كل ذلك في سبيل العصبيات السياسية والمنفعة الفردية خاصة وإن الشعر أصبح باب رزق يتكسب فيه الشاعر لدرجة أن بعض الشعراء بلغوا درجة كبيرة من الثراء .

---

(١) محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ٢٢

(٢) ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي: التذكرة الحمدانية ، ج٥ ، ط ١ ، ص ٩٥

(٣) ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي: التذكرة الحمدانية ، ج٥ ، ط ١، ص ٢٣

(٤) سراج الدين محمد: الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب ، ص ٢٣

نموذج آخر لدعبل الخزاعي يذم بخيلاً :[1]

أتُقْفِلُ مطبخــاً لا شــيء فيــه من الدنيا تخــاف عليــــــه أكــلُ
فهذا المطــبخُ اســتوثقتَ منــهُ فما بالُ الكنيـــفِ عليــه قــفـــــلُ
ولكن قد بخِلــتَ بكــل شــيءٍ فحتـــى الســلحُ منــك عليــك بخْــلُ

هذا التنافس بين الشعراء دفعهم للغوص عميقاً بحثاً في المعاني لإظهار البراعة الشعرية ،غير أن لونا آخر منه اتسعت دائرته واضطرمت ناره ،هو " الهجاء السياسي" إذا اشتدت الخصومات بين الجماعات والأحزاب حول الخلافة ، ومن أهم أحق بها. وكان ظهور الشيعة والخوارج والزبيريين وتصارعهم السياسي الدامي مع الحكم الأموي طوال عصره ، عاملاً خطيراً في نمو هذا اللون من الهجاء . إذ انبرى شعراء كل حزب من هذه الأحزاب يتبنى فكرة معينة ، يفخر بها ويدعو لها ويرد على خصومها والطاعنين عليها. كان الاحتكام إلى المنطق ودفع الحاجة بالحجة أبرز ما يميز هذا الهجاء وخاصة في العصر الأموي عصر الأحزاب والثورات والمعارك الدموية .

قد بدأ واضحاً في صفحة الهجاء السياسي السخط على الخلفاء والحاكمين والنظام والاجتماعي الذي بدت فيه مظاهر الطبقية المقيتة . فقد انقسم الناس إلى مترفين ومعوزين ، ومتسلطين ومغلوبين يقول عقيبة الأسدي مخاطباً معاوية بن أبي سفيان [2]

مَعْاوِي إنَّـــا بَشر فأسَــجــعُ فلسنا بالجِبَالِ ولا الحَــديـــــــدْ
أَكَلْتُـــمَ أرَضْنَــا وَجَرْدَتُــمــوَنَا فهل مِنَ قَائِم أو منَ حَصِيْدْ
ذَرَوْا جُوْرَ الخَلافَةَ واسْتَقِيمُوا وتأمِيـــــرَ الأرَاذلَ والعَبِـــيـــــدْ

يعرض الهجّاءون على لوحة الهجاء السياسي مشاهد من ظلم الولاة وانحراف العمال ، ولعل قصيدة الراعي النميري اللامية من أبرز المثل في هذا الهجاء ، إذ قال يخاطب عبد الملك بن مروان [3]

إنّ السَّعاةَ عَصَوكَ يَــوْم أمـــرتَهُم وأتُوا دَواهِي لَــو عَلْمَــتَ وَغُــولا

(١) سراج الدين محمد: الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب ، ص ٢٨
(٢) العقد الفريد ص ٥ / ٣١٩
(٣) جمهرة أشعار العرب . أبو زيد القرشي ٣٥٨ط . الرحمانية ١٩٢٦

إنّ الذَّينَ أَمَــرْتَهُمَ أنْ يَعْــدِلُـــوا لم يفعلوا مما أَمَـــرت فَتـِيـــلَا
أخَذُوا العِشَار مِنَ الكِــرامِ ظَلامَــة مِنَا ويُكَتْــبَ للأميـــرِ أَفْــيـــلَا

في ظل هذه الصراعات تألق فن الهجاء وأصبح فناً مستقلاً يحترفه الشعراء الذين اشتركوا في المناظرات الدينية والفكرية .

أبرز ما يميز الهجاء السياسي لهذا العصر قوة الأسلوب وجزالته ووضوح عبارته . وغالباً ما يجيء هذا الهجاء في قصيدة متعددة الأغراض وربما لونته العصبية القبلية وأشعلت نيرانه، وقد يمتزج بالدين إذا ما أتهم الهجّاءون الولاة والحاكمين بالخروج عن الدين ومبادئه.واتسعت دائرة الهجاء الشخصي الذي ظل يجري في تياره القديم ، فكان طعناً في الأنساب والأعراض، وظل قوياً لاذعاً ، وربما مال إلى الإفحاش في القول مثل تهاجي الثلاثي الكبير : جرير والفرزدق والأخطل كما كانت في أسلوبه نزعة ساخرة مثيرة ترمي إلى تمزيق المهجو وإضحاك الناس منه ، وجرير أبرز شعراء هذه النزعة وهو صاحب القولة المشهورة " إذا هجوت فأضحك " .

اتخذ الهجاء الشخصي لهذا العصر من النقيضة شكلاً تعبيرياً بارزاً ، وكانت العصبية القبيلة تضفي عليه نزعاتها ومقوماتها " فأساس الهجاء في النقائض كان يقوم على العصبيات القبلية "[1] والنقائض الأموية مظهر من مظاهر تطور الهجاء عما كان عليه في الجاهلية على الرغم من وجود النقيضة في العصر الجاهلي ، ولكنها في عصر بني أمية أصبحت هجاء مستمراً دائماً له أوقاته ومواسمه وأماكن معينة يجتمع فيها الناس ليستمعوا إلى شعر النقائض " فالعرب قبل عصر بني أمية لم يعرفوا هجاء منظماً ،وإنما عرفوا هجاء منقطعاً يظهر من حين لأخر، تبعاً لنشوب حروب وأيام بينهم فلما جاء العصر الأموي واستقرت القبائل في مدينتي البصرة والكوفة وعادت العصبيات جذعة ، رأينا هذه القبائل تجتمع وتحتشد في المربد وفي الكناسة حول الشعراء ، يستمعون منهم إلى ما ينشدونه في الهجاء وكأنهم وجدوا في ذلك لهواً لهم وتسلية ، حينئذ يتحول فن الهجاء من فن وقتي متقطع إلى فن دائم مستمر يحترفه الشاعر" [2].وكثيراً ما كان الشاعر يتحول من المهجو إلى قبيلته طاعناً ذاماً كما هو الحال في تهاجي شعراء النقائض الأمويين

(١)العصر الإسلامي شوقي ضيف ص ٢٤٥

(٢) على قاعور: ديوان الفرزدق ، دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان ط ١، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م ص ٣١٠

المعروفين، وهو بهذا امتداد للهجاء الشخصي في العصر الجاهلي. ونموذج آخر دار بين الفرزدق وجرير والأخطل .

قال الفرزدق [١]

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاءُ

فرد الأخطل[٢]

فإن تَــكُ زُقَّ زافله فإني أنا الطاعونُ ليس له دواءُ

فرد جرير[٣]

أنا الموت الذي آتي عليكم فليس لها ربٍ مني نجاءُ

جرير يهجو الفرزدق[٤]

إنّ الفرزدقَ أخْزَتْهُ مثالُبِهُ عبدُ النهارِ وزاني الليلِ دبّابُ

الهجاء في العصر العباسي الأول:

حده الزمني والتاريخي :

امتدت الدولة العباسية أكثر من خمسمائة عام ، بدأ قيامها سنة (١٣٢هـ - ٧٥٠م) ، وانتهى بسقوط بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م، يعتبر الشعر العباسي من أشهر الفنون الأدبية [٥]وأكثرها انتشاراً على مر التاريخ الأدبي عند العرب ، وخصوصاً في عصوره الأولى فهو يمثل الصورة التعبيرية ، وقد شاركته بعض الفنون الأدبية الأخرى، وبعد تطور الكتابة وانتشارها واتصال العرب بغيرهم ، دخلت بقية الفنون الأخرى ، المتمثلة في النثر بأشكاله المختلفة ليسهم مع الشعر في تكوين تراث الأدب العربي،وكما يعد الشعر وثيقة يمكن الاعتماد عليها في التعرف على أحوال العرب

وبيئاتهم وثقافتهم وتاريخهم ويلخص ذلك قولهم : الشعر ديوان العرب .

---

(١) سراج الدين محمد ، الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب ص ٢٩

(٢)المرجع السابق ص ٢٩

(٣) المرجع السابق ص ٣٠

(٤) المرجع السابق ص ٣١

(٥) د عز الدين إسماعيل :الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط٨ ، ص ٧٤

تعتبر الدولة العباسية مفخرة من مفاخر التاريخ التي يعتز بها العرب والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها منذ أيام الإسلام الأولى ، ولقد برع العلماء العرب والمسلمون في كافة العلوم اللغوية والبلاغية والنقدية والتاريخية والجغرافية [1]

(١) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ص ٩٧

حده الاجتماعي الفكري والسياسي :

شهد مطلع العصر العباسي تطوراً كبيراً في مظاهر الحياة المختلفة ، إذ كانت الحياة العباسية الجديدة ذات متغيرات سياسية واجتماعية وفكرية واسعة ، أثرت في حياة الناس العامة . وانعكس هذا التأثير على الشعر والشعراء لأنهما جزء من هذا الحياة ، فالشعراء أظلتهم حياة حضرية لينة ظهرت آثارها على صفحة شعرهم ، والشعر العباسي عامة استجاب للمؤثرات الجديدة وتطور بتطورها . وهذا التطور يختلف سعة وعمقاً من فن إلى فن ومن شاعر إلى شاعر[١]. والهجاء لشدة ارتباطه بالنفس كان أسرع الأغراض الشعرية استجابة لهذا التطور فقد كثر شعراؤه واتسع نطاقه وتوطدت موضوعاته السياسية والمذهبية والشخصية والاجتماعية فأصاب تحولاً بيناً في الهجاء القديم وخاصة هجاء العصبيات إلى حد كبير متغلغلاً في مطاعن خلقية ونفسية [٢]، ومن جاء تقسيم العصر العباسي إلى عصرين وهما العصر العباسي الأول والثاني .

شعراؤه وأعلامه:

شهد العصر العباسي الأول شعر هجاء منبعث عن العصبيات القبلية خفت حدته في هذا العصر ، حتى كاد يتلاشى ، إلا بقايا قليلة تمثلت في نقائض ابن قنبر ومسلم بن الوليد ، كما تمثلت في نقائض دعبل وأبي سعد المخزومي ، ومرجع ذلك إلى تطور واسع في الحياة ، وكان أبو نواس يفتخر بمواليه القحطانيين افتخاراً حاداً ، ولكن الدولة كانت له بالمرصاد فقد حبس الرشيد أبا نواس بسبب أحيائه لهذه العصبية ، وعلى هذا النحو لم تعد تحتدم العصبيات وبالتالي خبت نار النقائض التي كانت مشتعلة في عصر بني أمية. وليس معنى ذلك أن الهجاء انطفأ لهيبه ، بل لقد تعالت نيرانه واضطراماً، إذ ظل الشعراء يسارعون إليه كلما حجبهم وزير أو والي أو قائد أو قصَّر في عطائهم ، وقد يهجون بعض الخلفاء ، وهو جانب أوسع من أن يستقصى لكثرة ما قيل من أشعار ، مثل تهاجي حماد عجرد وبشار ، كما تبادل حماد الهجاء مع صديقه مطيع بن إياس ، وكان مبعث تنافسهما على بعض القيان ، ولعل شاعراً لم يُهْجَفي هذا العصر كما هُجى أبان بن عبد الحميد ، مثل تبادل هجاء أبو نواس مع المعذل بن غيلان ، وفيه يقول [٣]

---

(١) فصول في الشعر ونقده ،شوقي ضيف ص ٦١

(٢) المرجع السابق ص ٦١

(٣) تاريخ الأدب العربي ،د شوقي ضيف العصر العباسي الأول ط ١٦ ، دار المعارف، ص ٣٦٠

صـــحَّفتْ أُمُّـــك إذ سَـــمَّعتْك بالمَهْـــد أبانـــا
قد علمنا ما أَرادتْ لم تُـــــــرِدْ إلا أَتانـــــا
صيَّرتْ باءٌ مكان التَّـــــــاء واللهِ عِيانـــــا
قطع الله وشيكا مـــن مسميّـــكِ اللِّسانـــــا

كان أبونواس كثير التعايث فأكثر من هجاء زملائه ، وسلقوه بألسنة حداد،وفي مقدمتهم الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ، وكان كثيراً ما يهجوه بأنه ليس عربياً وأنه دعيّ في ولائه لبني سعد العشيرة القحطانيين ، مما جعله يرد عليه بمثل قوله [١]

وجدنا الفضل أبعد مـــن رقـــاشٍ من الأُتُن ادَّعتْ فيها الفيـــولُ
وجدنا الفضل أكرم مـــن رقـــاشٍ لأَن الفضـــل مولاه الرســـول

يشير بذلك إلى قول الرسول : " أنا مولى من لا مولى له " وتهاجى أبي العتاهية ووالیه ، وكيف انتصر عليه أبو العتاهية بسلم الخاسر ، فتبادلا الهجاء ،وكان سلم يرميه بأنه كاذب في زهده ويرميه أبو العتاهية بشح نفسه وما يجره ذلك من الذل ، وممن اصطدم به مروان بن أبي حفصة وأبو الشمقمق وشاعر يسمى الجنَّيَّ وله يقول [٢]

غَـدا اللُّؤْمُ يبـــغى مَطْرحَـــاً لرِحالـــهِ فنقَّب في بَرِّ الـبلاد وفـــي البَحْـــر
فـلما أتـــى مـــــروانَ خـــيَّم عنـــــده وقال رضينا بالمقـــام إلـــى الحَشْـــرِ
وليستْ لمروانٍ علـــى العِـــرْسِ غَيْـــرَةٌ ولكنَّ مروناً يغـــار علـــى القـــــدْرِ

كان دعبل كثير الهجاء لكل من يظن أنه ارتفع على مرتبته من الشعراء حتى أستاذه مسلم بن الوليد لم يسلم منه ، وربما كان أهم شاعر حسده أبا تمام ، حتى كان لا يكتفي بهجائه ، بل يدعى عليه أنه سرق من قصائده برمتها من الشعراء السابقين وفيه يقول [٣]

أدعبلُ إن تطـــــاولتِ الليـــالي عليك فـــإن شـــعري ســـمٌّ ســـــاعة
وما وفد المشيبُ علـــيـــــك إلا بـــــأخلاق الـــــدناءةِ والوضاعـــــــة
ووجهك إن رضيت بـــه نـــديماً فأَنت نســـيجُ وحـــدك فـــي الرَّقاعـــة
ولو بُدِّلتـــه وجـــهاً بـــوجـــــه لما صلِّيت يومـــاً فـــي جمـــاعـــــة

(١) تاريخ الأدب العربي ،د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٠
(٢) تاريخ الأدب العربي ،د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٠
(٣) تاريخ الأدب العربي ،د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦١

كانت صلات أبي تمام في كل بيئة ينزل بها سبباً في كثرة من هجوه ، ونموذج آخر لهجَّاءين كبيرين هما أبوعُيَيْنَة المهلبَّي وعبد الصمد بن المعذَّل ،وكان لأبي عيينة أخوان شاعران هما عبد الله وداود ، ومن الغريب أنهم جميعاً كانوا هجائين ، أما عبد الله فقصد ابن طاهر ومدحه ، ثم هجاه هجاء مرّاً ، وأما داود فتعلق بهجاء آل سليمان بن علي والي البصرة ، وقد تولاها من أبنائه غير واحد ، وفيهم يقول

قومٌ إذا أكــلوا أَخــفــوا كلامهمُ واستوثقوا من رِتــاج البــاب فــي الــدارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارهمُ ولا تكـــفُّ يـــدٌ عن حُــرْمــة الجــارِ

أبوعيينة أشعر الثلاثة ، ويقول ابن المعتز إنه " أحد المطبوعين الذين لم يُرَ في الجاهلية والإسلام أطبع منهم ، وهم بشار وأبو العتاهية والسيد الحميري وأبوعيينة ".

وقد أستغل موهبته في فنين هما الهجاء والغزل ، وأكثر من هجائه في ابن عمه خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب إذ صحبه معه في جنده حين توجَّه إلى جرجان والياً عليها للمهدي وكان خالد أوسع له في الأماني وأنه سيغدق عليه ويوليه بعض الولايات ، ولما نزل جرجان جفاه وتنكَّر له ، فبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته . وعبثاً حاول أبوعيينه أن يتخلص منه ومن الجندية ، فشكاه إلى الهادي وكان قد ولى الخلافة بعد أبيه ، فأمر له بصلة وأقفله من جيش خالد ، فعاد وهو يهتف بهجائه ، وأكثر منه كثرة تدل على قوة طبعه وخصبه ، ومن قوله فيه :

لقد خَزِيَتْ قحطان طُــرّاً بخالــدٍ فهل لكِ فيــه يُخْــزِك الله يــا مُضَــرْ
دنيء به عن كل خيـــر بــلادةٌ لكلِّ قــبـــيــحٍ عن ذراعيه قد حَسَرْ
له منظرٌ يُعْمى العــيونَ ســماجةٌ وإن يُخْتَبَــرْ يوماً فيــا ســوءَ مُخْتَبَــرْ
أبوك لنا غَيــْثٌ نَعيـــشُ بِوَبْلِــه وأنت جَــرادٌ ليــس يبقى ولا يـــذَرْ
له أثرٌ في المكرمــات يســـرُّنا وأنت تعفّــى دائــمـــاً ذلك الأَثَـــرْ
تسيءُ وتمضي في الإساءَة دائبــاً فلا أنت تـــستــحي ولا أنت تعتــذر

يقال إن الرشيد أنشد البيت الأول ، فقال : بل الخزي موفر على قحطان . وقد عرف كيف يخزه وخز الإبر لا بما صور فيه خزيه الذي عم به عشيرته وأخلاقه السيئة وغباوته ، بل أيضاً بموازنته بينه وبين أبيه جامعاً في البيت الواحد بين المديح والهجاء . بل يكثر في

هجائه من الاستخفاف به والسخرية الشديدة ، مع الإقذاع والغمز واللمز ، ومن طريف ماله فيه قوله : [1]

خـــالـــــــدٌ لولا أبـــوهُ كان والكلبَ ســـواءَ

لو كما يـــنقصُ يـــزدادُ إذن نـــال الســـماء

واضح من كل قدمت أنه كان نبعاً غزيراً من ينابيع الشعر العباسي ، ويقول أبو الفرج : " كان أبوعيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً ...وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف "وفي حديث ابن المعتز عنه ما يدل على أنه لحق خلافة المأمون ويظهر أنها لم تظله طويلاً

ونموذج آخر لعبد القيس من البصرة ، وهو من بيت شعر ، كان جده غيلان بن الحكم شاعراً ، ويُرْوَى أن محمد بن سليمان العباسي كان يستخدمه في ولايته البصرة على بعض أعشارها ، فظهرت منه خيانة فعزله وأخذ ما خانه فيه ، فقال حماد عجرد يهجوه بهذين البيتين اللذين أنشدهما في غير هذا الموضع :

ظهرَ الأَميرُ عليـــك يـــا غَـــيْلانُ إذ خُنْتـــــه إن الأَميـــــر مُعـــــانُ

أمع الدَّمامة قـــد جمعـــت خيانـــةٌ قَـــبُحَ الـــدَّميم الفـــاجرُ الخـــوَّانُ

كان ابنه المعذل شاعراً مجيداً، وقد نشب بينه وبين أبان بن عبد الحميد من هجاء كانا يتعابثان به ، ومن طريف ما ينسب إليه من شعر قوله [2] :

وإني لصَبَّارٌ على ما ينوبني *** وحسبك أن الله أَثْنَي على الصَّبْر

أم عبد الصمد أم ولد يقال لها الزرقاء ، وكان له أخ يسمى أحمد كان شاعراً أيضاً ، يقول أبو الفرج :" كان عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة " وفي أشعار عبد الصمد ما يدل على أنه يختلف إلى حلقات الرواة واللغويين إذ يقول :

لن نَلْبسُوا منطقي بمشكة *** إلا عن الأصمعيِّ أو خَلَفِ

يريد خلفاً الأحمر . وكان على عكس أخيه أحمد فيه لهو وبحوث وتعابث ، وكان هجَّاء خبيث اللسان حتى ليصبح الهجاء عنده كأنه غريزة ، فإذا هو يتناول به أخاه ، وكان له جاه

---

(١)تاريخ الأدب العربي ،د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٢

(٢)تاريخ الأدب العربي ،د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٠

واسع في بلدته وعند حكامه لا يقاربه عبد الصمد فيه فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وحدث أن قدم على بعض الخلفاء فأكرمه وخلع عليه ووصله بمال كثير ، ورجع البصرة ، فأستقبله جلتها استقبالا حافلا ، وكان لا يخف على نفسه أحد أبناء أخيه ، يقال إنه كان فيه تيه وعجب فتولاه كما تولى أباهــ بأهاجي كثيرة من مثل قوله :

يا ابَغض الناس في عسر وميسـرة وأقذر النـاس فـي دنيـا وفـي ديـن
لو شَـاءَ رَبِي لأضحي واهباً لأخي بمُـرٍّ ثُكْلك أجـراً غيـر مَـمـنْونِ
إن القلوب لتُطـوَى منك بابن أخي إذا رأتْك على مثـل السَّـكـاكيـن

طبيعي وهذا شأنه في أهله أن يعظم شره على من حوله من الشعراء ، وأن يقود معهم معارك هجاء كثيرة ، وهي معارك كثرت فيها السهام المسمومة ، على نحو ما نجد في أهاجي حمدان بن أبان له ، إذ قذف أمه الزرقاء طويلاً ، وكان كثيراً ما يأتي هو نفسه من هذه الجهة لا يتورَّع ، من مثل قوله أبي رهم :

لـو جـاد بالمـال أبـوهم كـجـوده بالأُخـتت والأُمِّ
أضحى وما يُعْرَفُ مِثْلٌ له وقيل أسْخَى العُرْب والعُجْمِ

اشتبك مع الجمَّاز ابن أخت سلم الخاسر ، وكان لا يقل عنه خبثاً في هجائه ولا شراً .

هكذا تفنن الشعراء الهجّاءون في طريقة عرضهم وصياغة معانيهم إلى جانب السهولة في الأسلوب والبساطة في التعبير والميل إلى نظم المقطوعات القصار طلباً لسرعة إيلام المهجو وسرعة انتشار الهجاء [1]

ونموذج لأبو تمام يقول : [2]

أفـيَّ تنـظـمُ قـول الزُّورِ والفَـنـدِ وأنتَ أَنْزَرُ مـن لا شـيء فـي العَـددِ
أشْرَجْتَ قلبك من بُغْضي علـى حُـرَقٍ كأَنها حركـاتُ الـروح فـي الجَسـدِ

ما زال أبو تمام يصب سياط هجائه على جيرانه ومن يختلط بهم من القيان اللائي يعرضن عنه وأصحابهم من المقينين، وله مرثية كلها هجو في أحد الطفيليين وقد صور فيها نهمه وموته من النهم .

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني . محمد مصطفى هدارة : ط ٤٢١ .دار المعارف ١٩٦٣

(٢) تاريخ الأدب العربي ،د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٨

شكله وسماته:

إنّ شعر العصبيات القبلية في العصر العباسي الأول خبت ناره وخبت معه نار النقائض ، وحل محله شعر شعوبي أحياناً ، ولكن الكثير كان هجاء شخصياً يتعرض للأعراض مزرياً بالمهجوين محقراً لهم ومهوناً . وبذلك كان الهجاء الشخصي هو اللون في العصر[١]مما يلاحظ أن العصر العباسي الأول شعراءه أكثروا في هجائهم من القول الفاحش المقذع في الأمهات والأخوات وظل ذلك في هذا العصر وظل معه ذكر العورات مما ينبو عن الذوق هو وكل ما يتصل به من بذاءة ، فالشعراء يسارعون إليه كلما حجبهم وزير أو قصّر في عطائهم ، وكذلك كلما لقيهم قائد أو والي أو كاتب أو شخص نابه أو عالم لقاء غير حميد . وكثيراً ما كانت تجرُّهم المنافسة إلى الدخول في معارك هجاء حامية الوطيس ، وماقيل عن البحتري أنه هجا كثيراً ممن مدحهم ، منهم خليفتان هما المنتصر والمستعين ، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القواد ومن جرى مجراهم من جلة الكتاب والعمال وجوه القضاة والكبراء[٢] . وكذلك ابن الرومي إكثاره من الهجاء ونفوذه فيه إلى لون من التصوير الهزلي الساخر يكبر فيه عيوب المهجوين الجسدية والمعنوية . ابن الرومي والبحتري أكبر شعراء العصر ، وكثيراً ما كانوا يخصون به الوزراء حين يحرمونهم الجائزة ، ولن ينفع الوزير عندهم أن يكون ممدَّحا ، بل لعل ذلك أدعى إلى أن يسلط عليه الشاعر سهام هجائه، من مثل قول دندن في عبيد الله بن يحي بن خاقان وزير المتوكل وكاتبه ابن يزداد[٣]

وإن ابن يَزْدادٍ لأَحولُ حُوَّلٌ ولكنه يَقْرَا (إذا الشمسُ كُوِّرَتْ)
فقُلْ لعبيد الله أحييتَ دولتْي مكاسير زَمْنَي (عُطِّلت) فتحيَّرتْ
وأنت إذا مُيِّزْت أبلدُا منهمُ فصوتكمُ : حَيِّ المنـــازلَ أقفرتْ

مجيئه بالآية القرآنية وكلمة (عُطلت) الواردتين في سورة التكوير يريد أن يشير بذلك إلى خراب الدولة ، لأن السورة في وصف نهاية العالم وما يكون بعد ذلك من البعث والنشور.وكان الشعراء كثيراً ما يتعرضون لأحمد بن إسرائيل وزير المعتز بالهجاء من مثل قول محمد بن مكرم [٤]

(١)تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، د شوقي ضيف ، ص ٤٢٨

(٢) الموشح للمرزباني ص ٣٣٦

(٣) معجم الشعراء ص ٣٩٦

(٤) معجم الشعراء ص ٣٩٧

إن زماناً أنت مستوزرٌ فيه زمانٌ عَسِرٌ أَنْكَدُ
يذمّك الناس جميعاً فما يلقاك منهم أحدٌ يَحْمَدُ

لما انتكست الوزارة في عصر المقتدر وكثرت الرشوة وعم الفساد وعم الظلم معه كما عمت مصادرة الأموال ،توالى على الوزارة اثنا عشر وزيراً ، ومنهم من تولى الوزارة مرتين وثلاثاً ، وكل وزير يصادر الذي قبله ويعمل كل ما في وسعه لينهب أكثر ما يمكن من أموال الدولة ، لما حدث كل هذا الانتكاس لأداة الحكم كثر هجاء الوزراء من مثل قول بعضهم في هجاء الخاقاني الوزير [1]

للدواوين مذ وليـــــتَ عويــلُ ولمال الخراجِ سقمٌ طويــلُ
يتــلقى الخطوبَ حيـــن ألمَّتْ منك رأيٌ غثٌّ وعقلٌ ضئيلُ
إن سمنتم من الخيانة والجَوْرِ فللارتفــاع جــســـمٌ نحيلُ

كان الخاقاني معروف بسوء السيرة والتدبير ، أخذ الرشوة ممن يوليِّهم الأعمال ، ولذلك كثرت في أيامه الولاية ، وكأن الدولة أصبحت دولة لصوص وقُطَّاع طرق . ومن هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق ابن البريدي الوزير بأخرة من العصر وفيه يقول أبو الفرج الأصبهاني من قصيدة طويلة : [2]

يا سماءُ اسْقُطي ويا أرضُ مِيدي قد توَّلى الوزارةَ ابنُ البَريـــــدي
هُدَّ ركنٌ الإسلام وانتهــك الملك ومَحَّتْ آثــاره فهـــوْ مـــُودي
فاستهلـــِّي يا عينُ بالدمع سَحَّـــا وقليلٌ أن تَــذْوفي وتجــودي

إن المنافسة بين الشعراء كثيراً ما تدفع إلى التهاجي ، وممن تعرضوا له بالهجاء كثيراً مروان بن أبي الجنوب شاعر المتوكل ، إذ كانوا ينفسون عليه الجوائز الطائلة التي كان يخصه بها المتوكل ، وحتى من كانت تصلهم منه جوائز مماثلة ، وكأنه تحاسد أهل الحرفة الواحدة ، على نحو ما حدث بينه وبين على بن الجهم ، وكان أكثر توقراً منه في هجائه ، إذ لم يكن يسف فيه الأعراض ويتهاجى مع أبي نعامة الدقيقي ، ويكويه بمثل قوله في نعت شعره [3]

(١) العصر العباسي الثاني شوقي ضيف سبق ذكره ص ٤٣٠
(٢) تكملة تاريخ الطبري الهمداني ص ١١٣
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٩٢

رأينا البَرْدَ مشتَدّاً فسالــنا عن القصّــَة
فقالوا مُنْشِدٌ يُنــشد شعرَ ابن أَبي حَفْصَة

كان أبو نعامة شيعياً خبيث اللسان ،فقصر شعره هجاء القواد ورؤساء الدولة في أيام المتوكل ورماهم بأشنع القبائل ، وهو هجاء كانت بواعثه سياسية . وكانوا يهجون بالتزندق والانحراف عن الدين والإلحاد من مثل قول الجَمَّاز في الجاحظ [1]

يا فتى نفسُه إلى مِلّـــَة الكُفْــر تــائــِقــَةْ
لك في الفضل والتزهدِ والنُّسْك سابِقة
فدَعِ الكفرَ جانباً يا دَعِيـــــَّا الزنـــــادقــة

هو كذب وبهتان على الجاحظ أحد المحامين عن الإسلام في عصره المدافعين المناضلين، ولكنه الهجاء يصم الناس بوصمات كاذبة افتراء وبهتاناً ، ومن مثل هذا الافتراء والبهتان قول شاعر في محمد بن يزيد المبرد العالم النحوي المشهور [2]

سألنا عن ثُمالةَ كلَّ حَــيٍّ فقــال القــائلون ومَــنْ ثمالَــةْ
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهـــــمُ جَهَــالَةْ

ثمالة هي عشيرة المبرد ، والبيتان يحملان تحقيراً شديداً وتهويناً بعيداً للمبرد وأنه خامل الذكر ،وكان قد طبق آفاق البلاد العربية شهرة في عصره وقصده الطلاب من كل بلد يحلمون عنه علمه . وبلغ من شيوع الهجاء حينئذ وانتشاره في كل الأوساط أن المرأة شاركت فيه ، وكان لها قديماً مشاركة في رثاء أهلها وندبهم والتفجع عليهم والنواح ، وكذلك كان لها مشاركة في الغزل والتعبير عن عواطف الحب ومشاعره ، حتى إذا كان هذا العصر تضيف إلى هذين الموضوعين مشاركة في الهجاء من مثل قول الخنساء جارية هشام المكفوف في أبي الشبل الشاعر الماجن ، تهوّن من رجولته طاعنةً له في الصميم [3]

ما ينقصي عجبــي ولا فكري من نعجـــةٍ تكني أبــا الشِّبـــْلِ
لما اكتنــْيتَ لنا أَبــا الشِّــبْــل ووصفتَ ذا النقصـــان بالفضل

(١) معجم الشعراء ص ٣٧٥
(٢) ديوان المعاني ١/ ١٧٨
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢٥

كادتْ تميد الأَرضُ من جَزَعٍ وترى السماء تذوب كالمُهْلِ

هي تصوره متمرداً على حقيقته ، فهو من النعاج ويزعم أنه من الآساد ، وكأنما الدنيا انقلبت صورها وأوشكت على الزوال ، فالأرض تميد جزعاً ، وكأن يوم القيامة حل موعده ، فالسماء تذوب كالمهل أو الزيت المغلي . ولعل من الخير أن نعرض ثلاثة من كبار الهجائين في العصر هم الصَّيْمري[1] والحمدوني وابن بسَّام[2]

، كما يقال عنه أنه كان خبيث اللسان هاجي أكثر شعراء زمانه ، مثل قوله في إبراهيم بن المدبر، وكان قد تولى الولايات الكثيرة وترأس بعض الدواوين ، في سامرَّاء وبغداد[3]

أسَلُ الذي عطَف المواكبَ بالأَعنَّة نحو بابكْ
وأذلّ موقفَي العزيزَ على وقوفي في رِحابكْ
وأراك نفسَك مالكا ما لم يكن لك في حسابكْ
أَلاَّ يُطيل تجرُّعي غُصَصَ المنيَّة من حجابكْ

له خبر طويل مع البحتري هجاه فيه وسخر منه ،إذ حدَّث الرواة أنه كان من عادة البحتري إذا أنشد المتوكل شعره أن يتشادق ويتزوار في مشيه مرة متقدماً ومرة متأخراً ويهز رأسه ومنكبيه ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول :أحسنت والله ، ثم يقبل على المتوكل ومن في مجلسه فيقول :ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما يحسن أحد أن يقول مثله . وكان المتوكل يضجر من ذلك ، فأقبل على الصيمري والبحتري ينشده مدحته فيه :

عن أيِّ ثغرٍ تبتسمْ *** وبأَي طَرْفٍ تحتكمْ

قال له : أما

فبأيَّ عِرْضٍ تعتصم وبهتكــه جَفَّ القَــلَــمْ
ولقد أسلتَ بوالديك من الهِجا سَيْل العَــرِمْ
يا بن الثقيلة والثَّقيل على قلوب ذَوي النِّعم

---

(١)الصيمري اسمه أبو العنبس محمد بن إسحق ،أصله من الكوفة ، وتولى القضاء، أنه عالم بالنجوم قدم سامرَّاء في عصر المتوكل فقرّبه منه ليمتاز به من الفكاهة والتندير .

(٢)ابن بسام هو محمد بن نصر ، وعرف بالبسامي ولد سنة ٢٠٣هـ وتوفي سنة ٣٠٣ .

(٣)أخبار الصيمري وأشعاره ، كتاب الأغاني (طبعة الساسي) ١٧٣/١٨ ، والفهرست ص ٢٢٢ وتاريخ بغداد ١/ ٢٣٨ ، ومروج الذهب ٩/٤ ومعجم الأدباء ٨/١٧ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٣ ، والوافي بالوفيات ١٩١/٢.

تسمع ما يقول؟ فقال له الصيمري :بَلَى فمُرْني فيه بما أحببت ،فقال: اهجه على هذا الرَّوي ، فحضرته على البديهة قصيدة هجاء طويلة من نفس الوزن والقافية ، فيها يقول [1]، مضى يفحش في القصيدة ويقذع فيها إقداماً قبيحاً ، ولا ريب في أن نظمه قصيدة طويلة بهذا النمط على البديهة يدل على شاعرية قوية . وظل خفيفاً على قلوب الخلفاء ، يسلكونه في ندمائهم حتى عصر المعتمد ، أو بعبارة أخرى حتى توفي في عصر هذا الخليفة لسنة ٢٧٥ . وله هجاء في طباخه المسمى صالحاً : [2]

يا طيبَ أيامي بمعشـــــوق ونحن في بُعْدٍ من السُّوق
إذا طلبت الخبز من فارسٍ ينفخ لي صـــالحُ بالبـــُوق

له بجانب أهاجيه مدائح لبعض الوزراء ورؤساء الدواوين ، ومما احتفظت له المصادر به قطعة في مديح الحسن بن مخلد وزير المعتمد حين كان يتولى ديوان الضياع للمتوكل.ونموذج آخر لإسماعيل بن إبراهيم الحمدوني [3]

لبس السيفَ سعيدٌ بعد ما *** عاش ذا طِمْرين لا نَوْبَةَ لَهْ
إن لله لآياتٍ وذا آيةٌ *** لِـــلـــه فـــيـــنـــا مُـــنْـــَزلَـــةْ

فقد جرده من كل استحقاق للوظيفة وزيِّها والسيف الذي كان يتقلده من يشغلها لعصره ، فهو خلو من كل كفاءة ، حتى ليعد تعيينه فيها معجزة لا يعلم سرها إلا الله. وكان سعيد ممن أتقنوا فن الكتابة لعصره ، ومن هجائه اللاذع قوله في بغيض[4]

سألتك بالله إلا صـــدقتَ وعلمي بأَنك لا تصدقُ
أتبغض نفسك من بُغضها وإلا فأَنت إذنْ أَحـــمـــَقُ

فهو خليق بأن يشترك مع مبغضيه في بغض نفسه ، وكأنما أصبح تمثالا للبغض الكريه ، لا عند الناس فحسب، بل أهم من ذلك عند نفسه .ويا ويل من كان يسلط عليه سهام هجائه.يتطور الهجاء في العصر العباسي ليصبح صورًاكاريكاتيرية على يد ابن الرومي خاصة، وعلى يد أبي الطيب المتنبي في هجاء كافورالإخشيدي. كما يظهر من خلال تيار

(١) العصر العباسي الثاني ، د . شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٤٣٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٤

(٣) أخبار الحمدوني وأشعاره طبقات لابن المعتز ص ٣٧١وفوات الوفيات ٢٤/١، والأغاني ٦١/١٢وترجمة أخيه أحمد في معجم الأدباء ٢/ ٢١٧ وتاريخ الطبري ٩/ ٢٦٤ والعقد الفريد (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) ٢٩٨/٢ و ٣/ ٢٤ ، و٥/ ٣٤٣ و ٧ / ٢٨٧ وديوان المعاني ٢٨٧/١ و زهر الآداب ٢٣٣ وما بعدها .

(٤) العصر العباسي الثاني ، د . شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٤٣٦

الشعوبية نوعٌ من الهجاء للجنس العربي، اختلف بين الوضوح والخفاء، وبخاصة لدى أمثال بشار وأبي نواس، كما شاعت معارك الهجاء بين أفراد من شعراء العصر العباسي، كتلك التي كانت بين حماد عجرد وبشار بن بُرد، وتناولالطرفان أبشع المثالب الحسية والمعنوية. وكما وضح تيار الشعوبية في أهاجي هذاالعصر، فلقد وضحت الزندقة أيضًا في الهجاء، فكانت من التهم التي يوصم المهجوّ بهافي أشعار الهجاء، كما كان يفعل حماد عجرد في اتهام بشار بالزندقة،اختلف الهجاء عما كان عليه مع التغيير الذي طرأ على البيئة والحضارة ، ونشب نزاع بين القديم والجديد ، بين العربي والشعوبي وبين المذاهب المختلفة ، وأصبح الهجاء يتصل بكل النزعات السياسية والاجتماعية بالإضافة للأمور التقليدية ، ونشأت اتجاهات جديدة في الهجاء ، كالاتهام بالخنث وهجاء المغنين والمدن والعرب والعجم ورجال الدين والهجاء الذي ينتقد المجتمع بأسلوب فلسفي .

الهجاء في العصر العباسي الثاني:

أصبح الهجاء في هذا العصر هجاء عقيدة يعتمد على الفكر ويتأثر بالحضارة والتيارات المختلفة التي تعددت ،من أشهر الشعراء في العصر العباسي أبو نواس والبحتري وأبوتمام وابن الرومي كما اشتهر لاحقاً كل من أبي الطيب المتنبئ وأبو العلاء المعري وأبو فراس الحمداني وغيرهم

شكله وسماته :

اقتصر هجاء هذا العصر على مقطعات قصيرة لا تتجاوز البيتين أحياناً ، ربما لأن الشاعر كان يريد بذلك سرعة انتشار هذه الأبيات بين جماهير الناس ، كذلك مال الهجاء إلى المعاني الشعبية كي يكفل الشاعر انتشاراً لأبياته نماذج ذلك كثيرة نأخذ منها علي سبيل المثال مثل ما قاله نصر بن سيار فهجاء المرجئة : [1]

فأمنحْ جِهَادِك مَن لم يَرْجُ آخرة وكُنْ عَدُواً لقومٍ لا يَصلُونَا
واقتلْ مَوْالِيهمِ مِنَا ونَاصَـرهـم حيناً تكفرهُم والْعَـنَهُم حِيْناً
والعائبين عليـنـا دِيَـنْـنَـا وهم شَرَّ العِبَادِ إذْا خَابَرتَهُم دِيْنَاً
والقائلين سبيـل الله بـغْيَـتَـنَـا لبُعَدِ مَا نُكِبُوا عـما يقولونا

(١) الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين بن محمد دار الرتب ص ٧٥

وما قاله أبو العتاهية فهجاء الملوك عامة[1]

إنَّ الملوكَ بلاءٌ حيثــما حــلوا فلا يكنْ لكَ في أكنافــهم ظِــلُّ
ماذا تُرَجِّي بقومٍ إن هُم غضبوا جاروا عليك وإن أرضَيْتَهم مَلُّوا

(١) الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين بن محمد دار الرتب ص٧٦

و المتنبئ فهجاء الناس كافة:[1]

إذا ما الناسُ جَرَّبَهم لبيبُ فإني قد أكلتهم وذاقــا

فلم أروُدَّهم إلا خـــــداعــاً ولم أر دِينهم إلا نفاقا

وخلاصة القول فقد انعطف الهجاء في مساره عما كان عليه فيالعصر الأموي، فخفت فيه نزعة وتحقير الخصم بسبب وضاعة أصله ونسبه، أو خمول مكانة أبيه وجده، أو ضآلة شأن عشيرته وقبيلته. إذ لم تعد للأنساب تلك الأهمية البالغة التي كانت لها في سالف العهد، بعد هموذ حدة العصبيات القبلية وانصهار أكثر القبائل في بوتقة المجتمع المتحضر الحديث. فتركز الهجاء أو كاد، في إبراز المعايب الشخصية اللاصقة بذات المهجو وما تنطوي عليه نفسه من مثالب. وهذا المنحى أدخل في رحاب التصوير والفن، وأبعد عن مجال القذف والشتم .فكثيراً ما كانت المهاجاة تستعر بين الشعراء أنفسهم فيكثرفي قصائدهم ذكر المثالب والمعايب، وقد يتجاوزون الحدود إلى التحقير والتسفيه. وقدعرف بذلك بشار بن برد وأبو نواس وأبوعيينة المهلبي وابن الرومي ودعبل الخزاعي وعبدالصمد بن المعذل، حتى إن الأمر بلغ ببعضهم حد التعرض للخلفاء أنفسهم، شأن الشاعرالهجاء دعبل الذي لم يتورع عن هجاء الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. وقد قرن الخليفتين الأخيرين معاً في قوله :

خليفة مـــات لم يحزن له أحد*** وآخر قام لم يفرح به أحـــد

هذا ما قاله الشاعر المجيد دعبل الخزاعي عندما مات المعتصم وتولى الواثق الخلافة .. وما أصدقها من نظرة ورؤيا وقراءة لواقع ومعاناة العامة من الناس الذين لا يهمهم من جاء ومن رحل طالما انه لم يؤثر فيهم ولم يحدث تغييرا يذكر لصالحهم .. كل ما في الأمر أنهم يأتون للحكم يتمتعون ويتزوجون النساء ويثرون ويعبث قدرات الناس ويفسدون وينتشون طربا وخمرا ومجالس رقص ويموتون غير مأسوف عليهم .. ولذلك فهو عند إذاعة نبا موت الخليفة على الملأ وتنصيب الواثق قال : الحمد للهلا صبر ولا جلد ... ولا عزاء إذا أهل البلاء رقدوا.

(١) المرجع السابق ص ٧٧

الفصـــــــل الثاني

الهجـــــــاء عند البحتري

الفصل الثاني

الهجاء عند البحتري

اسمه ونسبه :

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله طائي الأب ،شيباني الأم ، غلب عليه لقب البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر،عربي أصيلولد بمبنج سنة ٢٠٤ بين (حلب والفرات) ونشأ في البادية بين قبائل طي وغيرها فغلبتعليه فصاحة العرب ثم خرج إلى بغداد فلقي أبا تمام ولزمه حتى تخرج عليه واقتبس طريقته في البديع .وروي عن كثير من العلماء كأبي العباس المبرد وظل صنيعه لأبي تمام يردد صداه ويترسم خطاه وأصبح البحتري بعد وفاة أبي تمام سائر الشعر طائر الذكر إماما في الأدب.[1]

ترك البحتري بغداد سنة ٢٧٩ هـ وفضل العيش في منبج إلى أن وافته المنّية إثر سكتةٍ قلبيةٍ سنة ٢٨٦، بعد أن عمر ثمانين سنة،كان البحتري على أدبه وفضله ورقته من أوسخ خلق الله ثوباً وأبخلهم على نفسه وغيره. وكذلك من أبغض الناس إنشادايتمايل ويتزاور في مشيته جانبا ، ويهز رأسه مرة ومنكبيه مرة أخرى ، ويشير بكمه عند كل بيت ويقول: أحسنت والله ! ثم يقبل على رأس المستعين قائلا : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ وهذا ما يقول يحسن أحد أن يقول مثله.

ديوانه وسمات شعره :

ترسم البحتريخطو أبى تمام في الشعر ومضى على أثره في البديع ، إلا أنه أجاد في سبك اللفظ على المعنى " وأرادأن يشعر فغنى "كما قال فيه ابن الأثير واستمد معانيه من وحي الخيال وجمال الطبيعة لا من قضايا العلم والمنطق ؛ فأعاد للشعر ما ذهب من بهجته وروعته،إلى ذلك أشار المتنبي بقوله :" أناوأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري" ثم صارت له طريقة خاصة في الجزالة والعذوبة والفصاحة امتاز به من أستاذه ومدربه ، نهجها معاصروه ، وقد تحدث أبو عبادة في فنون الشعر ولكن الهجاء في ديوانه قليل. يقال إنه أحرق هذا النوع قبل موته وهو الأرجح ولم يسلم شعره من الساقط الغث لكثرته ،

---

[1] د. شوقي ضيف ، تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ،ط ١٦ تاريخها ٢٠٠٤م ، ص ٢٧٠

وإنما يمتاز بالإجادة في المدح والقصد فيه، والقدرة على تصوير أخلاق الممدوح ،والإبداع في وصف القصور الفخمة والأبنية العجيبة، كوصف إيوان كسرى وبركة المتوكل، وقصر المعتز بالله[1]وقصائده تكاد لا تخلو من افتتاح بالغزل وقد جمع شعره أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف وله غيره كتاب معاني الشعر وحماسة البحتري.وهي حماسة أبي تمام ،إلا أنها تمتاز بكثرة أبوابها وخلوها مما تنبو الأسماع عنه؛ وطبعت في بيروت.

أما ديوانه فلا يختلف من حيث مواضيعه عن أكثر الدواوين الشعرية في زمانه قد صرف أدبه في التزلف إلى رجال الدولة العباسية لذلك كان جل شعره في المديح وليس البحتري من المشهورين في الرثاء .

اتصل البحتريبكبار الخلفاء العباسيين ورؤساء القوم فبلغ منزلة عالية ولم يكن مسرفا وقال ابن رشيق: "وكان البحتري مليا فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيدوفى شعره ما يشير إلى انه كان ذا عقار واسع والظاهر أن بعضهم اعتدى عليها واغتصب غلتها .في أيامه كانت الخلافة العباسية في حالة ضعف ،ومن الظواهر التاريخية الأعجمية في الدولة على العنصر العربي ينوه بفضل الموالي كما قال البحتري من قصيدة للمعتز: [2]

يا منَ لهُ أولُ العليا وآخرْهـا ... ومن يجود يديه يضـرب المثـل

أما المَوالي فَجُنَد الله حَمْلهُـم ... إنْ يَنْصرُوك فَقَد قَامُوا بِمَا احَتْمَلُوا

بَقَاؤهم عِصْمَة الدُنَيا وَعَـزَّهُم ... سِتْر على بَيضة الإسـلام مَنْسَـدلَ

عُرف عن البحتري في شعره أنه أكثر شعراء عصره مولعا بالخمر والأبيات التالية التي كتبها إلى المبرد يدعوه هذه الأبيات[3].

يَـومُ سَـبْتٍ وعنـدنا مـا كَفَـى الحُـرْرَ ... طَعـامٌ والـوَرْدُ مـنـا

ولنـا مَجْـلسٌ علـى النَّهـر فَيَّـاحٌ ... فَسِـيحٌ تَرتـاحُ فيـه

ودَوامُ المُـدامُ يُدنِيـكَ ممَّـن كُنْـتَ ... تَهْـوَى وإنْ جفـاكَ

فأْتِنـا يـا محمَّـدَ بـنَ يَزيـدٍ فـي ... استِتَار كى لا يـراكَ الرقيـبُ

نطـرد الهـم باصطبـاح ثـلاث ... مترعـات تنفـي بهـن الكـروب

---

[1]أحمد حسن الزيات تأريخ الأدب العربي ، ص٢١٥

[2]أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص ٢٤١

[3] د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ج ١، ص ٨١

أجمع نقاد الشعر القدماء على وصف البحتري بسلاسة العبارة وحسن الديباجة وله نماذج لآراء بعض كبار الأقدمين فيه قال الثعالبي : " يضرب به المثل لان الإجماع واقع علي انه في الشعر فاق المحدثين والمولدين ، وان كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحةوالسلاسة ويقال إن شعره كتابهُ معقود بالقوافيوقال ابن رشيق :"وأما البحتري املح ضعة (من أبى تمام) وأحسن مذهبا في الكلام يسلك فيه دماثة الخلق وسهولته مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة والمشقة ".

قال ابن الأثير طفأن مكانه من الشعراء لا يجهل وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريبا ضوؤها بعيدا مكانها ، وكالقناة لينا مسها خشنا سنانها.

من أقوال الآمدي من الموازنة "البحتري إعرابي الشعر مطبع على مذهب الأوائل ما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام".[1]

والذي يدرس ديوانه يجد فيه عذوبة الألفاظ وحسن العبارة وسلاسة الكلام وقلة التعقيد فهو لا يقل عن كبار الشعراء في العصر العباسي مثل أبى نواس وأبى العتاهية ومسلم والأحنف واضربهم ممن إطاعتهم الألفاظ وسلست لهم المعاني والذي نرجحه في البحتري لم يوصف بما ذكرناه إلا لمقابلته بالشاعرين الكبيرين أبى تمام والمتنبئ ذلك لما في شعره إليهما من السهولة والدماثة فبينما هما يفوقانه في الغوص في عمق المعاني وسداد الحكمة فهويتميز عليهما في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك ،وإذا لم تجد في شعره ذلك الإغراب الذي في شعر أبي تمام أو تلك الفخامة التي عرف بها المتنبي ،تجد فيه رشاقة وصف ودماثة أسلوب لا تجدهما في شعرهما.

الهجاء وأغراض شعره:

الذي ينظر في شعرهيجده يشمل الأغراض جميعها تقريبا ، ونأخذ منها أمثلته الدالة على الهجاء في ديوانه كثيرة منها على سبيل المثال قوله في الخثَعْمَيَّ الشاعر: [2]

ألاَنَ عَلِمْتُ أَنَّ البعْثَ حَقٌّ وأَنَّ الله يفعــلُ مــا يَــشاءُ
رَأَيْتُ الخَثْعَمِيَّ يُقِــلُّ أَنْفاً يَضِيــقُ بَعرْضِهِ البــلَدُ الفَضَاءُ

---

[1] أنيس المقدسي أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص ٢٤٣

[2] د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ج ١، ص ١٨

سَما صُعُداً فَقَصَّرَ كلَّ سامٍ لَهـيَبَـتْـهِ وغَضَّ بهِ الهَـواءُ
هوَ الجـبَلُ الذي لولا ذُرَاهُ إذاً وَقَعَت على الأَرضِ السماءُ

الأبيات تصف الخثعمي رسم في صورة تقلل من شأنه وأنه إذا ارتفع إلى أعلى عليين فلم يبلغ وضع رفيعاً حتى ضاق به الفضاء [1]

قال في هجاء أبا خالد مُرَّ بن عليَّ بِن مُرٍّ الطائَّي [1]

إِساءَةُ دَهْرٍ برَّحـتْ بي نَوائِبُـهْ وخَطْبُ زمـانٍ بـالمَلامِ أُخاطُـبهْ
عَفاءً على وادِي نـرِيـزَ فإنَّـهُ تَسِيلُ بغيـرِ المكْرُمـاتِ مذانُبـهُ
دُفِعْنا وبُرْدُ الشمسِ أَصفرُ فـاقعٌ إلى جِذْمِ بابٍ مـا يُبَّـخلُ حاجِبُـهْ
وما كانَ مُرٌّ بالجَـودِ فيُبْتغَـي قِراهُ ولا بـالغَمْرِ تُرْجَـى مواهِبُـهْ
مطِيّـَةُ أَعْيـارٍ كـأَنَّ لِغَـيرِهِ إذا حمَلَ الفحْـلَ الثَّقـيلَ مناكُـبهْ
أبا خالدٍ لا يْجزكَ اللهُ صالحـاً فما كُنْتَ إلاَّ التَّـيْسَ أخْفَـقَ حالِبُـهْ

هذه الأبيات تجمع بين الهجاء والمدح له ولأهله ، وصفه في هذه الأبيات بأنه كريم الخلق ، يقدم له الاحترام ،ثم عاد يهجوه بعبارات قبيحة مثل نبات الحنظل الذي يمتد على الأرض ، وأنه مُر وعرّض به وكناه بالكلب .

هجا كاتب لابن حميد اسمه أبو غانم :[2]

أَبا غانم فِيَم احتـشـامُكَ عنـدَنا وكِتْمانُكَ الدَّاءَ الَّذي أَنـتَ صـاحبُهْ
فلَسْتَ مَـلـُومـاً أَن تُنـاكَ لِلـذَّةٍ يُناكُ لها قاضي القُضـاةِ وكاتِبـُهْ
يكاد اضطراب الشـوق أَنْ يَسْـتَهُفَّهُ إذا مَرَّ مُخْتـالاً سـلامةُ حاجُبـهْ
له هَيبةٌ في مجْلِسِ الحُكـمْ تُتَّـقـَى وقد بـاتَ مُلْقًى والأُيـورُ تُلاَعِبُـهْ
إِذا غُلْفَةُ الفَرَّاشِ شَكـتْ عِجَانَـهُ بَكَيْنا لذُلِّ الدِّين والكُفـرُ راكُـبـهُ

---

[1] اسمه أحمد بن محمد أبو العباس الخثعمي وهو أحد الشعراء الذين هجاهم البحتري

[2] المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٢

[3] المصدر نفسه ، ج ١، ص ٩٦

بدأ أبو غانم يتظاهر بالاحتشام ويخفي عيوبه .نجد له أهاج كثيرة في ابن حُميد في مواضع مختلفة .

نجد البحتري في بعض الأبيات يمازج بين المدح والهجاء مثل مدح المعتز هجاء المستعين إذ يقول فيها[٤]

إذا أحبابُهُ أَمْسَوْا عَشِيًّا أَعَدُّوا واستَعَدَّوا للبَوارِ
إذا أهْوى لِمرْقَدِهِ بِلَيْلٍ فيا خِزْيَ البَراذِعِ والسَّراري
ويا بُؤْسَ الضَّجيع وقد تَطَلَّي بِخلْطَيْ جامدٍ مَعَهُ وجارِ
وما كانتْ ثِيابُ المُلْكِ تُحْشَى جَزيرةَ بائلٍ فيهنَّ خارِ
يعُبُّ فَيُنْفِدُ الصَّهْباءَ جِلْفٌ قَريبُ العَهْدِ بالدِّبْسِ المُدارِ
ردَدْناهُ بِرَمَّتِهِ ذَليلاً وقد عَمَّ البَرِيَّةَ بالدَّمارِ
وكان أَضرَّ فِيهِمْ مِن سُهَيْلٍ إذا أَوْبا وأَشْأَمَ من قُدارِ
تَفانَى النَّاسُ حتى قُلْتُ عادُوا إلى حَرْبِ البَسوسِ أَو الفِجارِ
فَلوَلا اللهُ والمُعتَزُّ بِدْنا كما بادَت جَديسٌ من وَبارِ
تَدارَكَ عُصَبةً مِنّا حيارَى عَلَى جُرُفٍ منَ الحَدَثانِ هارِ
تَلافاهُمْ بِطَوْلٍ منه جَمٍّ وعَفْوٍ شاملٍ بَعْدَ اقْتِدارِ

إذ يصور المستعين في صورة ساخرة لما يحدثه من أصوات عند نومه مثل الكساء الذي يوضع على ظهر الدابة ويقصد غطاء نوم المستعين ،والجانب الثاني مدح المعتز أستطاع بمقدرته العميمة أن يحيطهم بعنايته ويعفو عنهم

قال في هجاء كاتبٍ لإسماعيل بن بلبل: [١]

كأن تَشكِّيَ السَّفْرِ الحَيارى عويلُ ضَرائرٍ باتتْ غيَارَي
نُعيرُ القُفْصَ و البرأيتُ شَوْقاً نَضنُّ بهِ على بني وبارَي
نُرَجِّي أَن يتاحَ لنا مَسِيرٌ كما ترْجو المُفاداةَ الأَساري

---

[٤] المصدر نفسه ص ٥٣٣

[١]د : محمد التونجي : ديوان البحتري ، ،ج١ ،ص ٤٦١.

يعادل شكوى الراحلين القلقين بكاء الضرائر غيرةً ،فذكر لنا مجموعة من القرى العراقية قريبة من بغداد ويتمنى أن تتهيأ له فرصة السير ،مثل تمني الأسرى لشمس الحرية . هجاه في أكثر من قصيدة مختلفة .

قال في هجاء العلاء بن صاعد : [1]

للعــَلاءِ بنِ صاعدٍ فــيَّ مَــدْحٌ وثَــنــاءٌ مُجــاوِزُ المِقـــــْدارِ
باذلٌ بِشْرَهُ ضَنينٌ بمــا يَحْويــهِ مــن دِرْهَــمٍ ومـــنْ دِينـــارِ
زُرْتُهُ مُكْرَهاً عَلَيْهِ ومــا كُنْــتُ لِــمِثْــلِ العـــــَلاءِ بالـــزَوَّارِ
فَحَــصَلْنا على ثنــاءٍ ومَـــدْحٍ وانْصِرافٍ باللَّيْــلِ فــي الطَّيَّــار

ذكر الصولي أنها للمبرد لقد اهتم العلاء بن صاعد في مديحي وثنائي ثناء فوق ما هو فيه يبذل ترحابه له بينما يبخل عليه بالدرهم والدينار ، زرته غصباً عنه ولست مما يزور العلاء ، ولم نحصل منه بعد طول عناء إلا بمدح ، ورحيل بالسفن السريعة الجري .

قال في هجاء يعقوب بن الفرج الجهبذ بحلب : [2]

تَظنُّ شُجونَي لَــمْ تَعْتَــلِـــــجْ وقد خَلَجَ البَيْنُ مَــنْ قــد خَلَــجْ ؟
أَشارتْ بِعَيْنــينِ مَكْحولَتيـــْنِ منَ السِّــحْرِ إِذْ ودَّعَــتْ والــدَّعَجْ
عِناقَ وَداعٍ أَجــالَ اعتِــراضَ دَمْعيَ في دَمْعــِهــا فامْتَـــــزَجْ

يصف جمال هذه الفتاة بأنها واسعة العينين مع شدة سوادها وهي دعجاء ذات دلال يفتتن بها كل من يشاهدها .

صور من تنوّع شعر البحتري في الهجاء :

هجاالبحتري سليمان بن عبدالرحمن [3] :

على مِثْلِ رأْسِكَ زالَ السّــــــرُورُ ومالَ الزمانُ بــنـــــا وانْقَلَــبْ

---

[2]المصدر نفسه ، ج ١، ص ٥٦٦

[2]د. محمد التونجي: ديوان البحتري ، يعقوب بن الفرج نصراني في حلب ، يتميز بتعريف الجيد من الرديء ، والجهبذ كلمة فارسية ،

[2]المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٥

وإذا نحْنُ شِئْـنـــا رأَيْنـــا المَـــلاءَ بأَعيُـــنِنا وسمِعـــنْا العَجَـــبْ

ذخَـــائرُ آبـــائكَ الأَوَّلـــــيـــنَ أَتْويَتْـــهَا فـــي مَهُـورِ اللعـــبْ

وسَـــلَّمْتَ سُـــلْطانَهمْ حـــينَ صـــارَ إِلَيْكَ بمُقْتَـــلَعـــــاتِ الكُتـــــُبْ

فلِـــمْ لا تُعـــــمنَ الأَجْـــــوَدِينَ ومُلْكُ خُرَاسَـــانَ ممَّـــا تَهَـــبْ؟

ويقول في الأبيات أنه انقلب الزمان وزالت المسرات بوجودك ، إذا أردنا مقابلة البلاء أمكننا ذلك ، بأن ننظر إليك ، ونسمع عنك ما يزيد عجبنا ، لقد أفنيت ما أدخره آباؤك في لهوك، لماذا لا تكون وأنت غني تستطيع إهداء خرسان ؟

وهجا وهْبَ[1] بن سُليمانَ علي ضُراطهِ [2]

تَعالي اللهُ يَجزي كلَّ أمـــرٍ وإِنْ كَـــرِه العِبـــادُ بمـــا أَحَيّـــا

بَرا سُوقاً وأَمـــلاكـــاً عليهم وقدَّرَ منهُمُ عبـــــــْداً وربَّـــــا

وفَضَّل في الكتابةِ آلَ وهْب وقـــدَّم بيْـــنهُمْ بالضَّـــرْطِ وَهْبـــا

أَكَبَّ على الوزيرِ يُريدُ قَوْلاً فأَرْسلَ ضَـــرْطةً لـــــمَّا أَكَبَّـــا

فيا لكِ ضرْطةً حلَّتْ مكانـــاً وســـارَ حـــديثُها شَـــرْقاً وغَرْبَـــا

انحنى على الوزير عبيد الله بن يحي بن خاقان يريد أن يقول له شيئاً فأفلتت ريحه بصوت مسموع .

هجا فيـــــلا [3]

تَعجَّبَ أَهْلُ مَكَّةَ إِذْ رأَوْنَا وحُقَّ لهم؛ رأَوا أَمراً عُجابا

رأَوْا فيـــلاً يُعادِلُه ذُبـــابٌ وكيفَ يُعادِلُ الفيلُ الذُّبـــابا؟

فيل هذا ضخم الجثة ولكنه في الرزانة كالذبابة ، ولا يستوي الفيل والذبابة يقصد الشاعر بالهجاء هنا السخرية والانحطاط من قدره .

هجاقبيلة بني ثوابة وقبيلة بني عبد الأعلى الاسكافِّيينَ [1]

---

[1] وهب بن سليمان صاحب بريد الخليفة .

[2] المصدر نفسه ،ج١ ، ص ٣٩

[3] هجا رجل اسمه فيل ، د. محمد التونجي ديوان البحتري ،ج ١، ص ٤٨

قِصَّةُ التَّلِّ فاسْمَعُـوها عُجَابَـهْ إنَّ فـي مِثْلِهـا تَطُـولُ الخِطابَـهْ
ادَّعَى التـلَّ فِرْقَتَـانِ تلاحَوْا آلُ عَبْـدِ الأعْلَـى وآلُ ثَوابَـهْ
حَكَمَ الحـاكُم الجُنَيـدِيُّ فيهـم بصَوابٍ فلا عـدِمْنَا صـوابَـهْ
احفُرِوا التَّلَّ يا بَني عُبْدِ الأعلى وأَثيرُوا صُـخُورهُ وترَابَـهْ
إنْ وجَدْتُمْ فيهِ شِبـاك أَبيـكُمْ كُنـتُـمُ دُونَ غيْرِكم أرْبـابَـهْ
أو وَجدْتُمْ مَحاجِماً إنْ حفَرْتُـمْ زالَ شكُّ العِصَـابَةِ المُرْتَـابَـهْ
فَبَدتْ جونه من الخوص فيهـا آلةُ الشَّيخِ وهـو جَـدَّ لُبـابَـهْ
خَـالِدٌ لا سَقَي الإلـه صـدَاهُ فبُنوهُ اللِّئامُ شانُـوا الكِتَابَـهْ !

هجا هذه القبيلة في أكثر من مرة بقصائد مختلفة ، وهنا وقعت هذه القصة بين قبيلة بني ثوابة و قبيلة بني عبد الأعلى اللذين تشاتما وحكم بينهما الجنيدي وهو من أعيان منطقة اسكاف الواقعة بين بغداد وواسط .

هجا عبد الرحيم بن أبي قماش[٢]

عَـدمْتُ مخـارِيقَ عبـدِ الـرَّحيمِ وأُبْـنَـةَ فَـقْحتـهِ الرَّحْبَـهْ
وما في السِّتـارة مِـنْ حاجِـزٍ إذا قَـرَعَـتْ رُكْبَـةٌ رُكْـبَـهْ
أتحجـبُ طـاقَةُ إبـريـسـم هَـوى الصَّـبَّ مـنُهْم عـن الصَّـبَّهْ؟
إذا السَّـاقِياتُ حَمَـلْنَ الكُـؤُوسَ دَوْراً عـلـى الـقَـوْم أو نُخْبَـهْ
فَـوَاطٍ علـى قَـدَمٍ غَـضَّـةٍ وقَـاتـلُ أَنْمُلـةٍ رَطْبَـهْ
فإنْ سَحَبَ اللـيـلُ مـن ذَيْـلِهِ رأَيتَـه مُعُـقْـبَةً عُـقْـبَهْ
وما لِحُضـورِكَ مِـن هَيـبَـةٍ ولا لِـرَقيـبـكَ مِـن رِقْبَـهْ
مَشـاهـدُ لم يَرْضَـهـا شُـلـخٌ ولا ابْـنُ شَـعـوبٍ ولا كُـبَّـهْ
فكيـفَ يُرَجِّيـكَ مَـن قـد رأَي مِكاسَـكَ في الفَلْسِ والحَـبَّـهْ ؟

---

[١]المصدر نفسه ، ج١، ص ٤٩

[٢]د. محمد التونجي، ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ج ١، ص ٥٠ ، المخاريق مفردها المِخراق ما مثّل الشيء ، وليس به ويقصد به عصّي يلعب بها الصبيان على أنها سيوف.

وأَكْلَـــكَ مـــن قُوتِأَهْـــلِ الحُبـــوسِ ولُبْسَـــك مـــن سَلَبِ الكَـعـــْبَهْ

تناولت هذه الأبياتتردد العشاق علي المهجو عبدالرحيم ، ثم ذكر أصحابه بأنهم مشبوهين بشذوذهم ، وهو يخاطبه ثم ذكر قوته ليست لديه قوة طبيعية ، ولا لبسه حلال . تعدد هجائه في مواضيع كثيرة بقصائد مختلفة

قال في هجاء عبد الرحيم ابن أبي قماش : [1]

نَبـرٌ على تَبـاعُـدِنا فنُجْـفَي ونكتبُ في الزَّمان فلا نُجابُ
لقد عُوتْبتُ في الحَسَنِ بنِ عَمْرو وذاتِ الطَّبْلِ ، لو نَفَع العتابُ
وما تَـدري القـوافي مَنْ سعيـدٌ ولا عَمـْروٌ فتُقْصِرُ أو تَهـابُ
لحـاكَ اللهُ يا بـنَ أَبي قُـمَـاشٍ ولا أسـقـي محلتك السَّحَـابُ
فكائنْ فيـكَ مِن خُـلـُقٍ لئـيمٍ تُكـرَّمُ أَنْ تـَعاطاهُ الكـلابُ
بِحَسْبِـكَ أَنَّ عنـدَك كلَّ عَيـْبٍ عِلـمْنَـاهُ فوابـِكَ ما تُعـابُ

تكرر هجاء البحتري لابن أبي قماش ، بقصائد مختلفة في أكثر من مكان ،فمضمون هذه الأبيات تحمل معاني الإخلاص فلا يجد من يبادلون تلك المعاني ،ثم كتب لهم كثيراً فلا يجد إجابة ، فدعا عليه و شتمه ، فالعربي يدعو للمرء بالسقيا ، على المرء بعدمها .يكفيك أنك متصف بكل عيب معروف ، أسفاً عليك بعيوبك .

قال في هجاء ابن أبي قُماش : [2]

دَهَتْكَ بعِلـَّةِ الحَمـَّامِ فَـوْزٌ ومالتْ في الطَّريقِ إِلـى سـعيدِ
أَرَى أخبارَ بَيْتَك عنـكَ تُطْـوَى فكَيْفَ وَليتَ أَخبـارَ البـَريدِ ؟

له فيه هجاء آخر . وكان على البريد ،يقرَّعه بأن محبوبته فوز تعللت بأنها ذاهبة إلى الحمام وقصدت آخر اسمه أحمد . ومن عجب أنه مسؤول من البريد ولا يعرف أخبار بيته التي انتشرت بين الناس .

---

(1) المصدر نفسه ج ١، ص ٧١ .

(2) د. محمد التونجي : ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ج ج ١، ص ٤١٩

قال في مُرَّ بنِ عليَّ الطائيِّ [1]

أَشْكُو إلى اللهِ ثلاثاً وهُــنْنَ الجوعُ والغُرْبَــة والعُزْبَـــهْ
ونَحْنُ أَضيافُ أبي خـــالدٍ نَهيمُ بْـينَ القَصْـرِ والرَّحَبَــهْ
لا نَنْفُدُ القــوتَ إلى غيــرِه كــأَنَّما نــُضــــمْرُ للحَلْـــبَهْ

هذه الأبيات توضح لنا ضعف هذا الرجل وهو يشكي إلى ربه حالته بثلاثة أشياء وهي الجوع والغربة والعزبة ، والهجاء هنا بقصد العوز الذي يعيش فيه .

هجا بني ثوابة [2]

أَلا للــهِ دَرَكِ يـــا جُــلــُلــْتَا وما أَحْرَزْتِ من حظِّ الكتابَــةْ
نَقَلْتِ مــن المَشَــارِط والمَواســي إلى الأَقلامِ حالَ بَني ثـــَوَابَةْ

يسخر من تلك المدينة التي توجد بها قبيلة آل ثوابة ، وكذلك سخر منهم لأنهم كانوا يحترفون الأعمال الوضيعة مثل الحجامة والحلاقة .والحرفتان يقوم بهما شخص واحد غالباً .

هجا إسماعيل بن شهاب [3]

لــردَّدْتُ العِتــابَ عليــكَ حتــى سئِمــْتُ ،وآخر الــوُدِّ العِــتَابُ
فلم أُبْــعدْكَ مـــــن أدبٍ ولــكنْ شِهَابٌ في التــخلُّفِ ما شِــهابُ
وهانَ عليك سُخْطِي حــينَ تَغــدو بِعِرْضٍ ليــس تَقْتُلــهُ الكــلابُ
وهل يَشْفي السِّبابُ منِ ابَنِ لُــؤْمٍ دنيءٍ ليــس يؤْلِمُــهُ السِّــبابُ؟
فعُــمْرانُ اســْتــهِ جَــمٌّ ولكــنْ لـــــه قُدّامَــهُ أَيـــرٌ خَــرابُ

مللت عتابك وأعلم أن العتاب خاتمة الوداد .وشهاب جد المهجو ، لا يريح الشتم للئيم ، لأن اللئيم لا يزعجه الشتم ، يطعن الشاعر في شرف المهجو في صدر البيت ، وفي ضعفه في عجزه . فالهجاء من أجل أصلاحه وتقويمه .

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٥١ ، أبو خالد : كنية مرَّ المهجوّ

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٤ ، جللتا هي القرية المعروفة التي تقع قرب النهروان،

[3] المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

هجا العبّاس بن عمرو الغنوي [1]

لعَمْرُكَ ما العَجَــبُ العاجِبُ سِوَى غَنَــويٍّ لهُ حاجبُ
وموتُ الحُــقــوق فلا يائسٌ يَرُدُّ غُــلامي ولا راغبُ
ولولا ابنُ عَمْرٍو وتَسْويفُهُ لَمَا غَرَّني الأَمَلُ الكاذبُ

من عجب أن يكون لهذه الغنوي حاجب ببابه ! وفي البيت الثالث إشارة إلى أنه يهجوه لأنه ماطلة بدفع المكافأة .

هجا رجلاً يدعى "شهاب" [2]

قَدْ كُنْت أَعْهَدُ أَنَّ الشُّهْب ثاقِبةٌ فَقَدْ رأَيْنا شِهــاباً وَهْــوَ مَثْقــوبُ
في كَفَّهِ الدَّهْرَ أَم في ظَهرِهِ قَلَمٌ فنِصْفُهُ كاتبٌ والنِّصْفُ مَكْتوبُ

المعروف أن الشهاب ثاقب بضوئه ، ولكنه مهجوي شهاب مثقوب . فهو على الدهر نصفه

قال في هجاء مغني : [3]

شاهَدْتُ مَسْعــودَ في مَجْــلِسٍ فلمَّا انْتَحَــيــْنا لِشُرْبِ الغَلَــسْ
تَــغَنَّــي ونَحــْنُ على لــذَّةٍ فأَرْعَد بَعْضُ وبَعــْضٌ نَعَسْ
فقالَ: اقْترِحْ بَعْضَ ما تَشْتَهي فَقُلْتُ: اقْتَرَحْتُ عليكَ الخَرَسْ

هجا مغني يدعى مسعود بقبح صوته وأنه أزال السرور من نفوسهم فصرخ البعض في وجهه وبعضهم غفا من صوته وأنه فضل عليه الصمت .

قال في هجاء أسعد الحاجب [1]

وأَظْلَمْتَ حينَ لَبِستَ السَّوادَ ظَلامَ الدُّجى لم يَسِرْ راكِبُهْ
ولمّــا دَنَوْنا لدارِ الوَزيرِ وقد رُفِعِ السِّتْرُ أَو جــانِــبُهْ
ظَلِلنا نُرَجِّمُ فِيــكَ الظُّنــونَ أَحاجِمــُهُ أَنتَ أَم حاجُــبهْ؟

---

[1] العباس بن عمرو أصله من الجزيرة الشامية ،وكان من ولاة بني العباس وقوادهم . المصدر نفسه ج ١ ، ص ٨١

[2] المصدر نفسه ، ج ١، ص ٩١

[1] د. محمد التونجي : ديوان البحتري ، ج١، ص ٩٨

يخاطب بهذه الأبيات أسعد الحاجب ويقول له حين ارتديت لبس السواد صار كالليل الأدهم الذي يعيا السائر فيه ، وحين اقتربنا من منزل الوزير ، وأزيح لنا الستار وقعت في الظن ، هل أنت الحاجب أم الحاجم ؟

قال في هجاء عُبَيَد الله بن عبد الله بن طاهر[١]

لا الدَّهْرُ مُسْتَنْفَدٌ ولا عَجَبُهْ تَسومُنا الخَسْفَ كُلَّهُ نُوَبُ

نالَ الرِّضا مادحٌ ومُمْتَدَحٌ فَقُلْ لهذا الأَميرِ ما غَضَبُهْ

مُكَثِّراً يَبْتغي تَهَضُّمَنا بذي اليمِينَيْنِ كاذِباً لقبُهْ

تعددت الأهاجي بالنسبة لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مواضع مختلفة بقصائد مختلفة ،وظلمهم من جد المهجو عبيد الله ، وهو من أكبر أعوان المأمون ، وكان واليه على خراسان ، كما وصفه بالكذب .

قال في عليِّ بن الجَهْم [٣]

فَاجأْتُهُ طالبَ ذي حاجةٍ يَنيكُ مَوْلاهُ على جانبِ

فَقلتُ:يا شيخُ أَما تستَحي تَنيكُ مولاكَ بلا حاجِبِ!

فقالَ:هذا رجلٌ قالَ لي : سُبَّ علي بن أَبي طالبِ

وكلُّ مَنْ سَبَّ إِمامَ الهُدَى يَظَلُّ يَشْكو وَجَعَ الحالبِ

عليَّ بن الجهم من شعراء المتوكل ، ولما غضب عليه نفاه إلى خرسان، ثم عاد إلى حلب ومات سنة ٢٤٩هـ ، يلاحظ في هجائه لعلي اس، وعبارات السب لعلي بن طالب .

قال هاجياً [١]

حَرِّكْ يَدَيْكَ اللَّتينِ خِلْتُهُما ويْحَكَ فيما تُرى منَ الخشَبِ

أَما تَرى الناسَ يأْخذون ويُعْطُونَ ويْسْتَمِتعُونَ بالنَّشَبِ ؟

وأَنتَ مثلُ الحِمارِ تُجْرَحُ لا تَشْكو جِراحاتِ أَلْسُنِ العربِ

---

[٢]المصدر نفسه ص ٩٨، و عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وليَّ نيابة بغدادعن الخليفة ،وهو أديب وشاعر

[٣] المصدر نفسه ، ص ١١٤ ،علي بن الجهم بن بدر شاعر رقيق الشعر من أهل بغداد

[١] المصدر نفسه ، ص ١١٧

هذا الهجاء منسوب إليه ، قال له لا أراك تهتز للجود ، ومثلك مثل الحمار لا يتأذى من جروحه ، وأنت لا تحسُّ بهجاء العرب لك.

قال في هجاء عليَّ بن الجهم : [٢]

يا ثَقيلاً على القلوبِ إذا عَنَـــنْ لها أَيْقَـنَـــتْ بطـول الجـــهـادِ
يا قَذًى في العُيـون ياغُلَّةً بَـيْنَ التّـَراقي حـــزَّازةً فـــي الفُـؤادِ
يا طُلوعَ العـَدُوِّ ما بـينَ إلْـفٍ يـا غَريمـاً أَتـى علـى ميعـادِ
يا رُكوداً في يوْمِ غيمٍ وصَـيفٍ يا وُجوهَ التِّجـارِ يـومَ الكَسـادِ
خَلَّ عنّـَا فإنَّما أَنـتَ فيـنا واوُ عَمْـرو أَو كالحـديثِ المُعـادِ
إِمْضِ في صُحْبَةِ اللهِ ما عِشْـتَ مُلقّـًى فـي كـلِّ فَـجٍّ وَواد
يَتَخـطَّى بكَ المَهـامِهَ والبِيـدَ دَليـلٌ أَعْـمَى كثـيـرُ الرُّقـادِ
خلْفَكَ الثَّائرُ المصَـمِّمُ بالسَّـيْفِ ورِجْلاك فـَوْقَ شَـوْكِ القَتـادِ

.هجاه بصفات لا تليق به أنه ثقيل ، وشبهه بالقذى التي تقع على العين فتؤذيها ، وكذلك شبهه بالعدو الذي يبرز في وجه الصديق ، والخصم الذي جاء في موعده ليزعجنا . وجهك عبوس كاليوم الماطر، أو الصيفي ، أو كوجه التاجر الذي لم يوفق ببيعه .

قال في هجاء الحارثي [١]

يا حارِثيُّ وما العتابُ بجاذِبٍ لكَ عن مُعانَدَةِ الصَّـديقِ العاتـبِ
ما إِنْ تَزالُ تَكيـدُهُ منْ جانبٍ أَبَداً وتَسـرقُ شِعـْرَهُ مِن جانبِ

يعاتب هذا الرجل عن معاندته لصديقه من جانبين ، من جانب الكيد ، ومن جانب سرقة شعره، وأنشد فيه الهجاء من أجل لومه لصديقه وأراد بذلك اصلاحه .

---

[٢]) المصدر نفسه ، ج١، ص ٣٤٠ ، الشاعر عليَّ بن الجهم بن بدر . قد سبق التعريف به

[١]) المصدر نفسه ، ج ١، ص ١٢٤

قال في هجاء الحارثي : [1]

صَكَكْتَ على سُلـيمانَ بنِ وَهْـبٍ أَبا حَسَـنٍ بديـوانِ البَـرِيـدِ
وآلُ أَبي الوزيرِ رَغَوْتَ فيهم رغـاء البَكْـر فـي وادي ثَمـودِ
وأَمَّا أُحْـمَـدُ بـنُ أبـي دُؤَادٍ فقدْ أَيْتَـمْـتَ منـهُ أَبـا الوليـدِ
فشَـدَّ اللهُ مـن بَغـدادَ رُكْنـاً وسَـلَّم منـك أَولادَ الرَّشـيـدِ
وكـلُّ مـَديحـةٍ لكَ فـي أُنـاسٍ فإِنَّ مصـيرَها يـا عـينُ جُـودي!
وأَيَّـةُ نِعـمـةٍ لم تـَرْمِ فيـهـا بشُـؤمٍ منـك يَـثْلمُ فـي الحديـدِ ؟

أراك صوَّتَّ وهجت في وجه العدو آل الوزير كما صرخ الفصل عند آل ثمود حين عقروا الناقة . قوى الله بغداد ليسلم أبناء هارون الرشيد من شرورك .تعددت صور الهجاء في قصائد مختلفة للحارثي .

قال في هجاء الحارثي : [2]

أَخَـذتْ جَعـْفَرٌ بـأْسِ القـطـارِ ثُـمَّ نـادتْ أَنِ ابـْدَوا بَبـَوَرِ
فأَجَابَتْ أُمُّ الأَميـرِ وقـالـت: قـد أَتَيـْنـاكَ أَوَّلَ الـزُّوَّارِ
وَسَيَأْتيكَ صاعـدٌ عـن قلـيـلٍ كُتْبُـهُ بالهـَلاكِ فـي أُسْكـُدارِ
يا أَبا الجَعْر طُوِّقَ النَّـاسُ شُـكْراً واسْـتَحقَّ الـدُّعاءَ بالأَسحـارِ
بأَبي سَيْفُكَ الذي يكشـفُ الشَّـكْكَ ويَجْلُـو العَشـا عـن الأَبْصـارِ
أَرنبِهِ يَفْري السَّواعِـدَ والهـامَ ويُسْـقَي مـنَ الـدِّماءِ الجَـواري
اِسْقِني بَعْضَها لَعَلِّي أَشْـفـي بِدَمِ الحارِثيِّ بَعـْضَ الأُوارِ
لا تَهولُنَّك السَّوابغُ والبِـيـضُ فمِـنْ تحتِهـا قُلـوبُ العَـذاري

قال في هجاء أحمد بن صالح وابن ميمون [1]

([1]) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٨١ أبو الحسن الحارثي مهجو البحتري في عدة قصائد ، سليمان بن وهب كاتب للمأمون ووزيراً للمهتدي . أبو الحسن كنية المهجو الحارثي . أبو الوزير هو أحمد بن خالد خلف الزيات على الكتابة للمتوكل . أحمد بن أبي دؤاد من أشهر القضاة في العصر العباسي منذ المعتصم حتى الواثق .

([2])المصدر نفسه، ج١ ، ص ٥٩٧

ضُرَاطُ ابْنِ مَيْمُونٍ صَوْتُ العُرُوبِ وضَرْطُ ابنِ صالحِ نَعْقُ الغُرابِ
ضَرْاطُ ابنِ ميْـمـُونِ نَهْقُ الحَميرِ وضَرْطُ ابن صـالحِ شَقُّ الثِّيابِ
لَئِنْ دامَ هـذا لـوَالي الـخـَراجِ قليـلاً دعَـوْنـاهُ والي الخَرابِ

تنوعت عبارات السخرية والاستهزاء في أحمد بن صالح وابن ميمون ممثلة في صوت العروب ، ونعيق الغراب ،ونهيق الحمير ، وأنه والي الخراب .

قال في هجاء مروان بن أبي حفصة الأصغر[٢]

واسَوْءَتَا مِن رأيـكَ العـازِبِ وعَقـلِك المُسْتَهـْتِـرِ الذِّاهـبِ
ومـِن رشيقٍ وهْوَ مُسْتَـقـْدِمٌ يُبصُقُ في شِعْرِ اسْتِكَ الشائـبِ
إنْ وَقَفَتْ سُوقُك أَو أَكْسَدَتْ بِضاعةٌ من شِـعـْرك الخـائـبِ
أَنحَيـْتَ كي تُنْفقـَها زارِياً على عَلـيِّ بْـنِ أَبـي طـالبِ

يصفه في هذه الأبيات أن رأيه بعيد عن الصواب وأنه كثرت أباطيله وأنه ملّ من العيب والعتاب. قال في هجاء يعقوبَ بنَ السُّوسِيّ [٣]

إذا اعْتَلَتْ دَرَجاتُ الشَّمْسِ مُصْعِدةً في الحُوتِ أَغْنَتْ غِنًى عن خَزِّ يَعْقُوبِ
وفي الربيعِ إذا اسْتَمْتَعْتَ منهُ غِنًى عن حاكَةٍ في طِـرازِ السُّوسِ والطِّيبِ
منَعْتَني الخَطَرَ المَنْـزُورَ تَبـدِلُهُ في حالكٍ من أديمِ الزَّنْـجِ غِـربيـبِ

يتحدث عن مكانته مهما اعتلت وارتفعت أنه من بلدة اشتهرت بنسيج الحرير الحياكة ، وأن شرفه منعه تبادل الحرفة معه .

---

(١) د. محمد التونجي : ديوان البحتري ، ج١ ، ص ١٤٢ ، أحمد بن صالح : وزير من أهل قطربل وأبوه كان والي خراج مصر ، وله فيه عدة قطع وقصائد وابن ميمون هو إبراهيم فارسي الأصل ، ومن أصحاب الغناء والحانات ، والعروب : مطحنة على سفينة ، ووالي الخراج إشارة لأبي أحمد

(٢) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م،، ج ١، ص ١٤٩ ، روى في هجاء الحسن بن رجاء . ومروان هذا غير الشاعر مروان بن أبي حفصة المتوفى سنة ١٨٢هـ ، ورشيق : مملوك مشهور باسم رشيق الخادم

(٣) د. محمد التونجي : ديوان البحتري ج ١، ص ١٨٥ ، ص ١٧٩ ، يقصد برج الحوت في الفلك . والخز : الحرير . الحاكة : النسيج والحياكة . السوس : بلدة في بلاد فارس اشتهرت بحياكة الحرير . الخطر : الشرف . الحالك : الأسود . الأديم : الأديم : الجلد المدبوغ . الغربيب : الأسود المظلم .

قال في هجاء أبي غانم : [1]

أبــَا نَهْــشَــلٍ لأَبـــــــي غــانم خَلائِقُ يوحِشْنَ مِنْ جانِبِهْ
بُــغــاءٌ يَـــعــُودُ على نَــفســهِ وشُـــؤْمٌ يَعُودُ على صاحِبِهْ
ومنْ عَجَبِ الدَّهْرِ أنَّ الأمير أَصْبـــَحَ أَكْتـــَبَ مِنْ كَاتِبِهْ

يخاطبه الشاعر ويعلمه أنه كاتبه ذو أخلاق سيئة ، وأعجب مافي الأمر أن الأمير صار أفضل كتابة من كاتبه .

قال في هجاء المسدود [2]

قد قُلتُ للمسْــدُودِ فــي عــانـــــــسٍ شَوْهاءَ يُضْـحي وهْــوَ صَــبٌ بهــا
إنَّ الَّتـــي سَـمـــَّيـْتـــَها خُلـــــَّةً لَيْسَـــتْ بأَســمـــاءَ ولا تِرْبِـــــها
وإنَّـمـــــا أُمُّ بَنـــــي واصـــــلٍ خِنْزيـــرةٌ سفــسَفْتَ في حُبِّــهــا
يكْــدُرُ صــافي الــرَّاحِ فــي شــدوِها وتنْفِرُ الأَوتــارُ مِــن ضــَرْبِـــــها
لم تَكُـــنِ العِلْــجَــةُ مُطبـــوعـــةً بَل كــانَ مَطْــبوعاً علــى قلـــبها

يسخر من هذا المغني الذي كان مسدود أحد منخريه ، ولم يحظى بالزواج ، وأنه يغني كلاماً لا معنى له ، ويبدو لنا من خلال هذه الأبيات أن محبوبة رومية الأصل مطبوعة فارعة .

قال في هجاء وهب بن سليمان [3]

أَليسَ طبعــاً في بَني آدَمٍ أن يخجل الضارط من ضَــرْطَتِهِ؟
قد نالَ وَهبٌ عِنْدَها رِفعةً وزُلْــفَــةً ازدادَ فــي سَطـــوْتِهْ
أُرفُقْ قليلاً إنَّها ضَرْطـــةٌ لم تأْتِ بالفَــتــحِ على هَيــْئِــتــهْ

([1]) د. محمد التونجي : ديوان البحتري ، ج ١، ص ١٨٥ ، أبو غانم محمد بن إسحاق ، وهو كاتب أبي نهشل ،

([2]) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٩٣

([3])المصدر نفسه ، ج ١، ص ٢٠٧

نستشف من هذه الأبيات في وصف هذا الرجل أن يستفيد الشاعر من منزلته ومكانته في تحقيق أغراضه فلابد من له الرفق بجماعته فجاء الهجاء في صورة نصح وإرشاد فتعددت هذه صور الهجاء بقصائد كثيرة مختلفة لوهب بن سليمان.

قال في هجاء وهب بن سليمان [1]

لا تُمازحْ في غيرِ وَقتِ مُزاحِ واتَّخِذْ آلةً لوقتِ الصِّياحِ

ليسَ بعْدَ الضُّراطِ يا وَهْبُ فينا حرَّبَ الناسَ غيرُ وَقْعِ السِّلاحِ

يخاطب وهب بن سليمان بأن للمزاح إناء لا يجوز تخطيها ، وعليك الحد من الصياح إذا وقعت الحرب .

قال في هجاءالجر جرائي[2]

طالَ في هذهِ السَّواداتِ لَبْثي واشتِكائي فيها غَرامي وبَثّي

مُعْمِلُ الفكرِ يَقْتُلُ الجَرْجَرائي أَخِلاَّيَ بالعراقِ وإرْثي

علَّقَ اللهُ فَوْقَ خُصْيَيْكَ ما كان يُخاليكَ من حُلاقٍ وخُنْثِ

قد تشكي الإخوان سُرْعَةَ أَخْذٍ منك أَحْدَثْتَها وقلّةَ لُبْثِ

أكَرِهْتَ العِتابَ من مُسْتَزيدٍ أَم كَرِهْتَ العتابَ من مُسْتَحِثِّ ؟

وحديثٍ عن أَوَّلَئكَ يُقَهِّى عن سَماعِ الحَديثِ يُنْثني ويُغْثي

ما ارتضي الهُرْمُزانُ شامِط باقي أَنْ تُدعَّى لهُ ولا أُعَمّرَ بَثِّي

يَغْفِرُ اللهُ وهْو لِلغَفرِ أَهْلٌ حَلَفِي أَنَّكُمْ بَنُوهُ وحِنْثي

يتحدث الشاعر عن مضمون هذه الأبيات عن تلك المنطقة الخصبة الواقعة في جنوبي العراق ، يفضل الموت مع بقائه هؤلاء الأصدقاء الذين يتصفون بتكسر الصوت والخداع.

([1]) المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٤٩

([2]) د. محمد التونجي: ديوان البحتري ، ج ١، ص ٢٠٩ ، الجرجرائي : المنسوب إلى جرجرايا ؛ بلد بين واسط وبغداد. أوليك : ما كان لك في الأول . يقهي يمنع الشهوة ؛ من الفعل أقهى : دام على شرب القهوة (الخمرة) : قيل سميت بذلك لأن شاربها يقهي عن الطعام ، أي تقل شهوته له . ينثي : يفرق ويذيع . يغثي من الفعل أغثى الوادي : كثر فيه الغثاء ؛ وهو البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل .والهرمزان هو حاكم خوزستان ، وكان قائد الفرس في الحرب ضد العرب ، حيث خسر في حربه ، كما وصفه بعدم الوفاء باليمين

قال في هجاء ابن الجرجرائي :[1]

دَعِ الشيءَ لا تَطلُبْهُ من نَحْوِ وجْهِهِ بظَنِّكَ وارْجُ الشَّيْءَ من حَيْثُ لا يُرْجَى
إذا المرءُ لم يَرْدُدْ عليك اعْتِلاقُهُ مزَّيةَ نفْعٍ كانَ تِرْكانُهُ أَحْجَى
إذا أنهت الأقدار أَعْقابَ حاجةٍ شَأَتْكَ ولو أحْرَقْتَ أَبْداءَها نُضْجاً
ويُكْدي منَ الحاجاتِ أَقْرَبُها مَدًى على ظن باغيها وأوضحها نَهْجاً
وما جَهِل ابنُ الجَرْجرائيِّ واجبي عليه ولكنْ كان أَلأَمَهُمْ عِلْجا
وأَثْقَلُ مَن أَهْجو عليَّ مَغْمَرٌ أَظلُّ بإسفافي إلى هَجْوِهِ أُهْجى

كذلك ابن الجرجرائي من الذين هجائهم بقصائد مختلفة ، ينصحه أن يبحث عن الأمر ليس من ناحية رغبته ، بل من حيث لا يرجى تحقيقه ، وإذا الشيء المراد تحقيقه لم ينفع فتركه أولى، والعلج من كفار الروم . يعرف ابن الجرجرائي ما يتوجب عليه نحوي ، ولكن يتجاهل في ذلك ، يصعب عليّ هجاء جاهل ، وكأنني وأنا أهجوه أهجو نفسي .

قال في هجاء ابني الحسن بن عبد العزيز ، وهم من أهل مادرايا :[2]

ما قامَ لكَّي لِعجْل حين زاحَفَها ولم تَقُم ما دَرايا بَعْدَ للكَرجِ
لو أَنَّكُمْ كنُتمُ للشَّلْمَغانِ إذنْ ثَبَتُمُ في مَضيقِ المأْزِقِ اللَّحِجِ
لمَّا غَدا بَكْرُ بَكْرٍ في قَساطِلِه غَدا بَنو حَسنٍ فيها بَني سَمَجِ
هَيهاتِ غالَكُمُ لؤْمُ انْتسابِكُمُ عن أَن تُرَوا صُبُراً في ذلك الرَّهَجِ

مجمل هذه الأبيات تكمن في إن خسارتكم تكمن في نسبكم الوضيع ، ولهذا لم تصبروا في الحرب .

---

(1) د. محمد التونجي : ديوان البحتري ، ج١، ص ٢١٣ ، المغمر : الجاهل . الإسفاف : تتبع الأمور الدنيِّة . لكي وعجل : قبيلتان .ما درايا : قرية فوق واسط . الكرج : بليدة بين همدان ونهاوند ، وزالت الآن .والقسطل : الغبار الثائر في الحرب . يشير إلى نصر بكر وضياع بني الحسن في الحرب . غالكم : أهلككم . صُبُر : صابرون .والرهج : الفتنة والشغب ،

(٢) ديوان محمد التونجي : ديوان البحتري ، ج١ ، ص ٢٢٧

قال في هجاء ابن أبي زنبور : [1]

أرَى بـــكَ اللهُ نَكـــالاً فكَـــمْ أَرَيْتَنـــا مِـــن فعـــلْةٍ فاضِـــحَهْ
عِشْقُكَ لِلْقَيْنِـــة أَجْـــدَى الأُســـى فـــي عشْـــقِ إمراتِـــكَ للنَّائحَـــهْ
إن نِكتها الليلَـــةَ فـــانظُرْ إلـــى عهـــدِ بنـــانٍ عِنْـــدها البَارِحَـــهْ
قد سَمَطتْ عانَتَها وقـــــدةٌ مـــن حَرِّمـــاءٍ سَـــهِكِ الرائحَـــهْ

آذاك الله على ما قمت به من فعل شنيع ، عشقك لهذه المغنية والأمة أجدى للأسى والتعزية لهذه المرأة الناحية كريهة الرائحة .

قال في هجاء سعد الحاجب : [2]

يا سعْدُ إنَّكَ قد حَجَبْتَ ثـــلاثةً كلٌّ عليهِ مِنْـــكَ وَشْـــمٌ لائحُ
وأَراكَ تخْـــدمُ رابعـــاً لتـــبِيـــدهُ فارْفُقْ بهِ فالشَّيْخُ شَيْخٌ صالحُ
يا حاجبَ الوُزَراءِ إنَّكَ عِنـــدَهمْ سعْدٌ ولكنْ أَنتَ سَعـــدُ الذَّابحُ

يخاطب سعد بأن الرجل الذي تخدمه رجل طيب إن كل حجة من حجّاتك الثلاث وسمتك بسمة بادية الأذى ، تنبه هذه المرة وكن رفيقاً به ، لقد وصفوه بسعد الذابح لأنه كان يطعم الناس في أيام الشتاء القارسة . فالغرض من الهجاء النصح والإرشاد .

قال في هجاء قوماً من أهل بلده : [3]

لئن راحَ رَوْحٌ هارِباً من ضُـــيوفِهِ فما المَطَرُ الثَّاني عُمَيْـــرٌ بِرائـــحِ
تَشَمَّمْتَ أَسْتـــاهَ البَغـــــايا وقَحَّـــمَتْ بك الغُلمةُ الحَمْقاءُ في تَلِّ ماسِحِ
حمَلتَ إِليهمْ حين يمَّمْتَ قَصـــدَهُمْ جَريرةَ أَيْرٍ في العَشيرَةِ فاضِـــحِ
فلا نَجحَتْ تلك اللّـــبُـــــانَةُ إنـــها تَرومُ مَراماً للعُلا غيـــرَ ناجِـــحِ
وما كنتُ أَخشَي أَن تؤَخِّرَ حاجتـــي لخُصْيَيْ عُقَيْبً والأُمـــورِ القبائحِ
ولا أَن تَكُونَ اسْتُ المُوَضَّعِ فيـــكـــمُ بأَكثرِ من فَخري بكمْ ومـــدائحي

---

(١)المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٣٢ ، النكال : ما نكلت به غيرك كائن ما كان .

(٢)المصدر نفسه ، ج ١، ص ٢٣٥ ، عمل سعد حاجباً لعدد من الوزراء ، وشم علامة وسمة .

(٣)المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٣٦

فسِرْ غيرَ مأْسُوفٍ عليكَ فما النَّوى ببرحٍ ولا الخَطْبُ المـُـلـِمُّ بفادِحِ

يهجو هؤلاء القوم الذين يهربون من ضيوفهم ، مما أدي لوقوف المطر عندهم، كذلك حاول الشاعر أن يسد حاجتهم ولكنه لم يستطيع لأن أهدافهم للعلا غير ناجحة لما يتصفون به من قبائح الأمور ، وحاول مرة ثانية أن يفخر بهم ويمدحهم ولكنه فشل فسروا غير مأسوفين عليكم فما البعد والفراق والمصائب الثقيلة ببعيدة عنكم فوصفهم بالجبن

قال في الهجاء :[1]

رأَيْتُكَ يا أُخَيَّ تُطـيلُ هَـزِّي وتَحريكي بمَنْطـِقِك القـبيـحِ
ولستَ بثـابتٍ فيهـمْ فتُهجَـي ولا مَولًى لِثـابِتِهمْ صَريـحِ
فـلا تَخُطُبْ بما تَجْري إِليـهِ هِجائي فهْوَ أَغْلَى من مَديحي

أنك تثيرني وتحضُّني على هجائك بكلامك القبيح ، فما أنت سيّد حتى أهجوك ، كما أنك لست مولى لسيد أصيل ، فلا تسعى إلى هجائي لأنه أغلى من هجائي .

قال في هجاء أحمد بن رياح : [2]

وما خِفتُ جدِّي فـي الصَّـديقِ يَسـوؤهُ ولكـنْ كثـيـراً ما يَخـافُ مِزاحـي
ورُبَّ مُـبـارٍ للرِّيـاح بـجـُودِهِ منَ الأَجْـوَدينِ الـغـرِّ آلِ رِيـاحِ
متى بِعْت مختـاراً رِضـاهُ بسُخـطِه تَبـَدَّلْـتُ خُـسـْرِي كُـلَّهُ بـفَلاحي
وكـم عاتِـبٍ بـالرِّيِّ يَثـْلِمُ عَتـُبهُ مَضـارِب سـيْفي أو يَهـيضُ جنـاحي
وقفـتُ لـه نَفْـسِي علـى ذُلِّ مُـذنِبٍ يـُكـثـِّر مـن زارٍ عليـهِ ولاحِ

([1])المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٤٦

([2]) المصدر نفسه ج١ ، ص ٢٤٨ ، أحمد بن رياح قاضي البصرة . وله فيه أهاج أخرى . يتلم : يشق . يهيض : ينكسر. الري بلدة في إيران تقع جنوب شرقي طهران . كم مثلت أمامه معترفاً بأخطائي لديه .قريش البطاح : الساكنون في مكة .الرشدة (بكسر الراء وفتحها) ضد الزَّنية يقال ولدٌ لرشده ، أي شرعي .السرو : الفضل والمروءة .النجو : ما خرج من البطن من غائط أو ريح . النغيل ضد الرشوة ؛ ولد الزانية .احتشاؤه : امتلاؤه . الحبارى طائر عُرف عنه انه يدافع عن نفسه بسلاحه على من يدنو منه .الهيضة : انطلاق البطن والقيء .السّلاح : النجو الرقيق المائع .أقاله من عثرته : أنهضه من سقوطه . النصب الداء والبلاء. المأفونة : الضعيفة الرأي . الفقاح : مفردها الفقحة وهي حلقة الدبر

كأَنَّ الرِّيــاحِيِّـــــينَ حيــثُ لَقِـــيتِهم وإِنْ لؤُمُــوا أَصْـــــــلاً قُــريشُ بِطــاحِ
ولم أَرَ قــَوْماً لم يَكـــونوا لرِشْـــــدَةٍ أَحَــقَّ بسَــرْوٍ مِنــْهـــــــمُ وسَـــماحِ
مضـــَى حَــســنٌ لا عَهـــْدُهُ بِمُــذَمَّمٍ لدَينــا ولا أَفــعالـــُهُ بـــقــبِـــــاحِ
ودارك من نجو النغيل احتشـــــــاؤه فباتَ حُبــارَى هَــيـــضـــَةٍ وسُــلاحِ
فـــــإِلاَّ يقِلْنـــــا اللهُ عَثـــْرَةَ دُبـــْرِهِ نَبِتْ نُصْــبَ حُـــزْنٍ للنُّفـــُوسِ مُتــاحِ

لا يخاف صديقي جدي ، ولكن يخاف مزاحي ، حين بدلت سخطه برضاه ربحت وتعدلت خسارتي، فنجد مجمل الأبيات تتحدث الصفات التي لا تليق بالمرء الناضج العاقل.
كتب إلى عبدون يهجو ابن الجوهري المعروف بالخاقانِّي : [1]

لنا صاحِبٌ ظالِمٌ ما يــزالُ يُــدَنِّســُنـــــَا بـــالجليسِ الوَسِــخْ
يُكَــلِّــفــنـــا وُدَّ ذي اُبْنـــَةٍ إِذا ما رأى الأَيْــرَ يومـــاً ربَــخْ
إِذا أوتدَ العَبـــــْدُ في ظهرهِ تســـامَى بخُرطومـــهِ أَو شَـــمَخْ
ويُطْرِي وَلاءَ بَــنِــي هاشمٍ ومـــا عَظْـــمُهُ فــيهم بـــالمُمِخْ
جَمادٌ منَ الــبرْدِ لم يَنْحَلِــلْ ونِيءٌ منَ البــُلْهِ لــم يَنْطبـــــــخْ

يصف صاحبه بأنه ظالم ، وأنه يدنس الجليس بالوسخ وذكر معايب النّاس والحقد عليهم ، كما أنه مقتر بنفسه اعتزازاً وتكبراً. قال هاجياً [2]

قد لَعَمري آذَيْتَنا يا بنَ عَمْرو بنِ مَسْعَدَهْ
بأُحاديثــِك الَّتي هيَ للعَــقــْلِ مــَفــْســَدَهْ
فأَحاديثــُكَ الطِّوالُ صُــخـــــــورٌ مُنَضَّدَهْ
وأَحـــاديثــُكَ القصـــارُ قِــلالٌ مــبــرَّدَهْ

([1]) د . محمد التونجي ، ج١ ، ص ٢٥٥ ، عبدون يهجو ابن الجوهري المعروف بالخاقانِّي ، يأشر : يفرح . ويزدهي : يتباهى . أدال الشيء : جعله متداولاً . والني من اللحم الذي لم تمسَّه النار أو لم ينضج. البله : مفردها البلهاء وهي الناقة التي لا تنحاش من شيء مكانة ورزانة كأنها حمقاء
([2]) د. محمد التونجي ، ديوان البحتري مصدر سبق ذكره ، ج١ ، ص ٢٩٠

تناولت هذه الأبيات هو ابن وزير المأمون يصفه بأن كلامه يفسد العقل وطويل مثل المنضدة مرتب بعضها فوق بعض ، وإذا قصرت في حديثك مثل الجرة العظيمة .

قال في هجاء ابن أبي دؤاد: [1]

يا أحمدَ بنَ أَبي دُؤَادِ **والحادِثاتُ بكلِّ نادِ

ماذا رأيْتَ إذا انتَسَبْتَ** إلى إيادٍ في إيادِ ؟

، النّاس يتحدثون عنك في كل مكان ، ماذا ينفعك انتسابك إلى قبيلة إياد ؟

قال في هجاء كاتب ابن ليثويه : [2]

إنَّ الطّـَويلَ وإنْ قَلَّـتْ حلاوَتُـهُ وراحَ غَيرَ مَليـحِ الشَّخْصِ مَقْدودِ

لعند إكْذابِ أَنصـافِ الظُّنـُونِ إذا عنَّتْ وإخـلافِ أَنْصـافِ المواعيدِ

ما كانَ طُولُك إلا غَيْظَ مُصْـطِنعٍ بُرُداً وكَلاًّ عـلى حَـفّـَارِ ملْحودِ

ظَننْتَأَنّكَ بالأَلفِ الذي جَـشِمتْ يَداك مِن بـعدِ تَعْـسـير وتَـكْيـدِ

فارقْتَ في أَهْلَ البُـخْلِ مُنْفَـصِلاً عَنْهُمْ، وشارَكْتَ أَهْلَ الجُودِ في الجُودِ

قد هجا كاتبه لإنقاصه مما وعده به ،وهو الألف ، يبدو من كلامه أن المهجو طويل القامة ، أنه يكذب بعض الظن ، ويخلف بنص الموعد ، طوله يزعج الخياط ويرهق حفار القبور. وصفه بالبخل ، ويشارك الكرماء كرمهم .

قال في هجاء بَني جعفر النَّمريِّين :[3]

بَني جَعْـفرٍ ما للصَّقـيرِ مُقـَـدَّماً لَدَيْكُمْ على سِنِّ الكبيرِ المُسوَّدِ

يُخَبِّرُ عن شَيْخَيْ ضَلالٍ سراحُكُمْ أحاديثَ مَن يُخْـبَرْ بهنَّ يُفَـنِّدِ

إذا اشتَـركا في سَوءَةٍ يَرْكبانِها تَبدَّي عُبَيْدُ اللهِ من دُونِ أحْمَـدِ

يتساءل الشاعر لماذا أراكم يا بني جعفر تقدمون الصغار على الكبار ؟ مستنكراً ذلك ، يلوم شيخه الذي يُخطي . وأنهم إذا اشتركوا في دناءة ظهرت وبرزت .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ ، أحمد بن أبي دؤاد أحد كبار القضاة في العصر العباسي .توفى سنة ٣٢٩هـ

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٢ ، ليثويه : نسبة عربية فارسية ، مؤلفة من الليث وهو الأسد ، " ويه " علامة النسب الفارسية أي مثل الأسد أو الأسديّ .

(٣)المصدر نفسه ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ج ١، ص٤١٤

صور من شعر الهجاء الصريح عند البحتريّ:

نجده في أبياته التي يهجو فيها ابن أبي طاهر النديم إذ قال [1]

هاجي بَني بْحتُرٍ وطيِّئهـــا حائن قوم يحز فـــي كبـــده
ولي جليسٌ لولا خَساسَـــتُهُ لقد أَقامَ الهِجـــاءُ مـــن أَودِهْ
أَرْفَعُ قَدْري عنهُ ويَحْسِبُني أتـــركُهُ للمُـــقامِ في بلـــــَدِهْ
أَجْفَرَ غُرْمُولُهُ فقد كَثُـــرتْ أَشْبـــــاهُ غِلْـــمانِهِ على ولَدِهْ

هجا واحد من بني بحتر ليس القصد الهجاء وإنما أراد التقويم من اعوجاجه لكن وجده خسيس ، كما ذكر أنه لا يهجوه ترفعا فيظن أني أهابه لمقامه بين قومه .

قال في هجاء أحمدَ بن أَبي العَلاء المُغَنِّي [2]

غِنـــاؤكَ ليسَ يُغْني سامِعيهِ وضَرْبُكَ يُوجِب الضَرْبَ الوَجيعا
وَوَجْهُكَ يَطْرُدُ النّشَواتِ عَنَّا وقُرْبُكَ يُذْكِرُ المَوْتَ السَّـــريـــعا
إذا غَنَّيتَـــنْا يـــوْمَ اصْطـــــِباحٍ فَقَدْ أَوْسَعتْـــنـــَا عَطَشاً وَجُـــوعـــا

جاء الهجاء في صورة ساخرة جدا مستهزئاً به وأن غناؤه لا يجدي نفعا ، وأن لعزفك دافعا لضربك ، إن وجهك القبيح يبعد النشوة عنا ، ودنوُّك منا كأنه الموت الخاطف ، وإن غنيت لنا صباحا صُدمنا وظللنا يومنا جائعين وعطشين .

قال في هجاء الخُتَّليَّ [3]

أَبـــا نَهـــْشَـــلٍ رأيُـــكَ المُقْنِـــــعُ إِذا طَرَق الحـــــادِثُ الأَشْنـــــعَ
فَمـــاذا اشْـــتَهَيْتَ مـــنَ الخُتَّلـــيِّ؟ وهَلْ لَكَ فـــي الثَّـــورِ مُسْـــتَمْتَعُ
تُنادِمُهُ وَهْـــوَ فـــــي حـــالَـــــةٍ تَضُرُّ النَّدامى و لا تَـــنْـــفـــــَعُ
أَلسْتَ تَرىَ فـــي اسْـــتِهِ إِصْـــبَعاً تَجـــولُ وفي شِـــدْقِهِ إِصْبَـــــعُ؟
ويَنْقُلُ بَـــيـــنْكَـــــمُ جَعـــسْـــــَةً إذا كَظـــــّـــَهُ القَدَحُ المُتـــــْرَعُ

([1])المصدر نفسه ج ١، ص ٤٣٢

([2]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٨٦

([3]) المصدر نفسه ج٢ ، ص ٦٩٧

جاء في هجاء كاتب أبي نهشل محمد بن حميد يُدَعى الخُتَّليَّ : فإذا عرض الحديث الشنيع فأنت صاحب الرأي الصائب يا أبا نهشل . ماذا أحببت في الختلي ؟ وهل يسرك ثور ؟ وكيف تنادم من يضر الندامى ولا ينفعهم؟ إنه يشبه الخنزير الذي يهوى أكل الروث وما يخرج من البطن وهذا من صور التحقير والتقليل من شأنه والهجاء فيه تنكيل وتشنيع بشخصية الكاتب وهو غير أخلاقي .

قال في هجاء قوم من غنى [1]

بَني عثمانَ أَنْتُـــمْ فـــي غَنِـــيٍّ رَعاعٌ وهْيَ في قَـيْسٍ رَعَـاعُ
متى يُقْرَي السَّـديفُ بِساحتيْكُـــمْ ومُرُّ الماءِ عِنْـــدَكُمُ يُـــباعُ ؟
وإِنَّ بَخيلَـكُـمْ بالجُـودِ يُكـــَى سَفاهاً واسْمُ صِـفْرِدِكُمْ شُـجاعُ
أبالأَســماءِ والأَلقـابِ فِيـــكمْ يُنالُ المَجْدُ والشَّـرَفُ اليَفـاعُ؟
وكُنْتُمْ بَعْـدَ عَبْـدِكُمُ نَظـيـــفٍ رَبيضاً أُطْلِقَتْ فيـهِ السِّبـــاعُ

هجا قوماً من قبيلة عربية يرجع نسبها إلى مضر ؛ من قيس عيلان تدعى غَنِيّ فالهجاء في صورة صفات أنهم من أسرة الهيثم بن عثمان الغنوي من سقاط الناس وسفلتهم ، وأن ضعة نسبهم متأصلة ؛ فأنتم من أدنى قبيلة غني، وقبيلة غني أدنى قبائل قيس عيلان ، وأنكم لم تقدمون للضيف سنام الجمل في دياركم ، كما أنكم تبيعون مر الماء في حين أن حلوه يبذل للعابرين ، وأنكم مثل طائر السلوي في الجبن ،أتظنون أن المجد والشرف السامي (اليفاع) ينالان بالأسماء والألقاب.

هجا عليَّ بن مُرّ بقوله : [2]

يـــابنَ مُـــرٍّ قَـــوْلَ مُرْتَـــدِعٍ ولِهادي الرُّشْـــدِ مُتَّبِـــعِ
قد رَحَلْنـــا عـــن ذَراكَ إلـــى وَطَـــنٍ رَحْـــبٍ ومُتَّسِـــعِ
وَوَكَلْنـــاكُمْ إلـــى نَفـــــرٍ ذَهَبوا بـــالعِلْمِ والـــوَرَعِ
مِنْ شـــراحِيلِ بـــنِ حَلْحَلَـــةٍ وهِشامٍ وأَبي الْيَسَـــــعِ

([1]) المصدر نفسه ج ٢، ص ٦٩٨

([2]) المصدر نفسه ج ٢،ص ٧١٤

فالغرض من الهجاء النصح والإرشاد لقد رحلت من ديارك إلى ديار الخلد ، ووكلت أمرك إلى من ليسوا أهل علم وورع .

هجا ابني عبد الملك : [1]

إنَّ عبدَ الملكِ السِّيـدَ قد زيَّـغ ابنـَيْـهِ فلم يـَزَيَّغـا
قلتُ للشيطانِ إذْ بينَهُـما بتـأتِّيـه وبَيـْنـي نـَزَعا
قدْ لَعَمري وَقَعاً لو علما من هِجائي في خرا ما مَضَغا

حاول عبدالملك أن يقيم اعوجاج ابنيه فلم يفعلا ولم يستجيبا .فالشيطان أفسد بينهما.

تناول أبيات في هجاء أحمد بن صالح وولده[2]

نَفَقْـتَ نُفـوقَ الحِمـارِ الـذَّكَرْ وبـانَ ضُـراطُك مِنـاً فمْـر
يَقـولُ الطَّبيـبُ : بـهِ فالـجٌ فقُلـتُ : كَـذَبْتَ ولكـنْ قَصَـرْ
وقـد يُتَوَقَّـعُ مـوْتُ الحِمـارِ إلاَّ ببَعْـضِ مَنايـا الحُمُـرْ؟
فَقَـدْنا يَهـوديَّ قُطـرُبُّـلٍ وفَقْـدُناهُ بـإحـدى الكُبَـرْ

مضمون هذه الأبيات يدل على التقليل والتحقير من شأن المهجو وباليهودي،أن وفاته لا قيمة لها كموت اليهودي ، إشارة إلى ضعة أصل المهجو. مدللا ذلك بعبارات (موت كموت الحمار ،الفالج).

قال في هجاء أبي الحسن بن سهل:[3]

مَجـانِيقُ شُـؤْمِكَ مَنْصُـوبَةٌ على آل وهبٍ تُثيرُ الغُبـارا
صحِبْتَهُمُ حِـينَ نـالُوا الغِنـى فكُنْتَ الهَلاكَ وكنتَ الدَّمارا
إذا ما دَلَفْـتَ إلـى نِعْـمَـةٍ عَصَفْتَ بَروْنَقِها فاسْـتَطارا
يَبيـتُ عـدُوُّكَ مُسـْتَـأْنِساً ويأْبَى صَـديقُـكَ إلاَّ عِثارا
نَثَرْتَ الأخِلاَّءَ نَثْـرَ الجُمعـانِ وأنْفَقْتَـهُمْ حينَ تَمُوا بِـدارا

([1]) المصدر نفسه ج٢، ص ٧٣٠

([2])المصدر نفسه ، ج ١، ص ٤٤٥

([3]) المصدر نفسه ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، ج١ ، ص ٤٥٦

فالشاعر صب جم غضبه على آل وهب ، فإذا هي مجانيق تثير غبار الغضب، فقد صادقهم أيام أصابهم الثراء فلم يجن منهم إلا الهلاك فأنت لست أهلاً لشيء ؛ فعدوك مطمئن وصديقك معنّى فقدت أصحابك وفرّقتهم وخسرتهم .

قال في هجاء معلمٍ أعرج : [1]

أَيُّها الأَعرجُ المُحَجّبُ مَهْلاً ... ليسَ هذا مِن فِعل مَن يَتَمرَّى

ما رأيْنا مُعلِّماً قَطُّ مَحْجوباً ... ولو أَنَّهُ على مُلْك كِسرى

قد رأَيْنا عَصاكَ صَفراءَ مَلساءَ ... من النَّبْع بين صُغرى وكُبْرى

جَمعَتْ خُلَّتْين : حُسْناً ولِيناً ... لك فيها ظَنِّي مآربُ أُخْرَى

أخذ عليه صفة العرج ، وأن احتجابه ليس من الأفعال الجميلة، لم نر طوال عمرنا معلماً محتجباً عن الناس ولو كان على ملك كسرى ، كما شبهه بالنبع وهو شجر قاسٍ يصنع من أغصانه القسي ، لعصاك صفتان الحسن واللين ، ولعل لك فيه مآرب أخرى غير الضرب

قال في هجاء الذَّفافيَّ [2]

يا مَنْ رَأَى الدَّامِرَ يَخْتالُ في ... شاشَّيةٍ شَوْهاءَ مُغْبَرَّهْ

مَرَّ فقامَ النَّاسُ مِن لاعِنٍ ... وقائلٍ : شَوَّهتَ يا عُرَّهْ

وقد تَجَلَّى كاسِراً طرفهُ ... كأَنَّهُ ديكٌ بهِ نُقْرَهْ

رسم هجاء الذُّفافيَّ في صورة كاريكاتوريةساخرة فطأطأ رأسه كأنه ديك مثقوب القفا، وحين يمشى بين الناس يدعوه فيها بالأجرب، قال في هجاء كاتب لابن دُؤاد: [3]

يا مُسْتَرِدًّا قليلَ نائلِهِ ... أَكلُّ هذا حِرْصاً على العَشَرَهْ

ظَنَنْتَ فيها الغنى فتأخذها ... من شاعر أم حسبتها كَمَرَهْ

دُونكَها إِنَّها مُصَرِّفَةٌ ... عَقاراً في البلاد مُنْتَشِرَهْ

جادَ لنا مَن غُلامُهُ أَبداً ... يغْرِسُ في جانبِ اسْتِهِ جَزَرَهْ

---

(1) المصدر نفسه ، ج ١، ص ٤٥٩

(2) المصدر نفسه ، ج١، ص ٤٦٢

(3) المصدر نفسه ، ج ١، ص ٤٦٣

إنه أعطى الزهيد ثم استرده ، أرغبتفي استردادها لتغنى بها أم ظننتها رأس الذكر (الكمرة) خذها وسأهجوك بأشعار كالعقارب تلسعك .

قال في هجاء أبي عمارة في صورة ساخرة على شكل قبعة يقول :[1]

لله دَرُّ أَبـــي عُـــمـــــارَةَ إِنَّهُ بَيْتُ الخَـسَـــارَةْ
ما إنْ سَمِعْتُ ولا رأيتُ طَويلَةً في رأس قَارَةْ

هجا ابن رياح أحمد بن إبراهيم وهو قاضي البصرة دعاهُ ذات يوم فسقاه نبيذاً حامضاً فأَعلَّهُ[2]

عدِمْتُ النُّغَـيـْلَ فمـا أَدْمـــَرَهْ وأَوْلَى الصَّديقَ بـأَنْ يَهْجـــُرَهْ
إذا قُلـْــتُ : قَـــدَّمَهُ كِيـــسُهُ عَناهُ من الـنَّقْصِ مـا أَخَّـــرهْ
دعانـــا إِلى مَجْـلسٍ فـــاحِشٍ قَبـيحٍ بِـذي اللُّـب أَنْ يَحْضُـرَهْ
فَـــجـاءَ نَبـيـذٌ له حامِـــضٌ يَشُقُّ على الكبـــدِ المُـقْـفـــرَهْ
إذا صُبَّ مُسْوَدُّهُ فـي الزُّجـــاجِ فكـأْسُ النَّديـمِ بِـهِ مِحْبـــَرَهْ
تـَرَكْتَ مُشـمَـّـــسَ قُطـْرُبـُّلٍ وجَرَّعْتـنـَا دَقـَلَ الدَّسْـكـــَرَهْ
وما لي أطعتـــك فـي شُـــرْبِهِ كـــأَنْ لـم أُخَبّـــَرْهُ أَو لـم أَرَهْ
ومالي شـَرِهْـتُ إِلـى مِثْـــلِهِ وما كنـــتُ أَعْـــرِفُني بالشَّـرهْ
وما يَعْـــتَريني الـذي يَعْتَريـك بحَقِّ السَّـــوادِ مِـنَ الأَبْخـــرَهْ

في مجلس غير مناسب لنا ،وحين يصب النبيذ في الكأس يظن النديم أن الكأس محبرة لسواد النبيذ ، وكان ذلك في قرية اشتهرت بالخمور تدعى قطربل.

قال في هجاء الأحول كاتب أبي صقر وأسمه إسماعيل بن بلبل الوزير ينعته بصفات القبح في وجهه وفعله فيستوي فيه الفعلان الظاهر والباطن ، وإن تكلفه بشي لا يؤديه لأنه بخيل ،فهجاءه يصفه بعدم الأخلاق ،والأبيات توضح جانب من ذلك إذ يقول[3]

---

(1) المصدر نفسه ،ج ١ ، ص ٤٦٥

(2) المصدر نفسه ،ج١ ، ص ٤٦٥

(3) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ج١ ، ص ٤٦٧

دَجَّالُنا أحْــوَلُ من شُـــــؤْمِهِ والنَّاسُ دَجَّالهُــمُ أعْــوَرُ
كَلَّفْهُ حاجــاتــك يَمُــسْتَهْتــرُ لَفٌّ بالبُخــلِ مُسْــتَهــتِــرُ
يَعْلُو غَريبُ القبُحِ في وَجْهِهِ فَيَسْتوي المَخْبَرُ والمَنْظَرُ

قال في هجاء عليَّ بن يحيى الأَرْمَنيَّ : [1]

وأَكثَرْتُ غِشْيانَ المَــقــابرِ زائراً عَلِيَّ بنَ يَحي جارَ أَهْلِ المَــقابر
فإلاَّ يكُنْ مَيْتَ الحُشاشةِ في الذي يُرَى فهو مَيْتُ الجُودِ مَيْتُ المآثِرِ
ولا فَضْــلَ عندَ الأَرْمَنِّي يَعــدُّهُ سِــوَى أَنَّهُ ثَوْرٌ سميــنٌ لِجــازِرِ
سَرَقْتَ سِــهامَ المسْلِمينَ ولم تَكُنْ لَهُم يَوْمَ زَحْفِ المُشْرِكين بحاضِرِ

هجا علي بن يحي الأرمني بدأ زيارته كثيرا للمقابر لأنه كان يقطن قرب الموتى ، فهو لم يكن ميت الفؤاد ،ولكنه ليس من الكرام ولا الذين يقومون بالأفعال الحميدة ، و شبهه في حياته ضخامته مثل الثورالسمين في يد الجزار، وشارك في غنائم المسلمين ولم يشارك في حروبهم ضد المشركين فهذه صورة حية في اتصافه بالصفات الذميمة.

قال في هجاء الخزاز : [2]

الحــمــدُ للهِ علــى مــا أَرَى مِن قَــدَرِ اللهِ الــذي يَجْــري
ما كان ذا العالَمُ مِنْ عـــالَمي يَوْماً ولا ذا الدَّهرُ من دَهْــري
يَعْتَرِضُ الحِرْمانُ في مَطْلَبــي ويَحُكُمُ الخَزَّازُ فــي شِعـــْري

([1]) المصدر نفسه، ، ص ٥٤٩

([2])المصدر نفسه، ، ص ٥٧٢

قال هاجياً :[1]

لا يَعْجِّــنكَ قَوْمٌ أَنتَ بَيْنَهُــمُ فَلَسْتَ مِنْهُمْ على عَيْنٍ ولا أَثَرِ
الباخِلونَ بماءِ المُزْنِ نَشْرَبُهُ والشَّارِبُونَ دَواءَ البُخْلِ بالسَّحَرِ

قال في هجاء علي بن الجهم بن بدر[2]

إذا ما حُصِّــلَتْ عُلْــيا قُرَيْشٍ فلا في العير أنت ولا النَّفيــرِ
وما رَغَثــانــُكَالجَهْمُ بنُ بَدْرٍ مِنَ الأَقمارِ ثــمَّ ولا البُــدورِ
ولوْ أَعْطــاكَ ربُّكَ مــا تَمَنَّى عليهِ لَزادَ في غِلَــظِ الأُيــورِ
لأيــهِ حالةٍ تَهْــجــو عليّــاً بِما لَفــَّقْتَ مــنْ كَــذِبٍ وزُورِ؟
أما لك في استك الوجعاء شُغل يَكُفُّكَ عن أذَى أَهْلِ القُــبورِ؟

قال في هجاء ابن بنت أبي منصور الكاتب : [3]

إِسْمَعْ هُــدِيتَ أَبا يَحــــيى مَــقــــالَ أَخٍ يُصْفي لكَ الــوُدِّ فــي سِــرٍّوإِجْهارِ
مــاذا عَلَيْــه بــلا جُــــرْمٍ ولا تــــــرَةٍ أَتَتْــه كَــفُّ الــذي يُدْعَــى بمِنْقَارِ
أَعْني ابنَ مَن فَقَأَتْ في الــرِّحْمِ مُقْلَتــــها فَيــاشِلٌ لأُنــاسٍ غَــيــــرِ أَحــررِ
لأَنْظــمَــنَّ القــــوافي فــي مَثــــالِبِهِ كنَظمِ عِقــْدِ كَسولِ المَشْيِ مِعْطــارِ
حتى أُغــادِرَهُ لَحْــمــاً عَلــَى وَضَــمٍ أنحى على حلقه ســاطــور جــزار
أو يَســتــَعيــــدَ إِلى العُتــبَى فــــأَتْركَهُ لأَنَّــهُ وتِــحٌ مــن نَسْــلِ أَنــــزارِ

هجا ابن بنت أبي منصور الكاتب في قصيدة طويلة فمهد له بالهداية في السر والعلانية ، بأنه أصيب بمكروه وهو إلحاق العار بأهله وأصبحت وصمة عار لأنها بنت هوي.

قال في هجاء ابن بسطام [4]

للهِ دَرُّكَ قَــدْ أَكْمَلْــــتَ أَرْبَعــَةً ما هُنَّ في أَحَدٍ من سائرِ البَشــــرِ
العِرْضُ مُمْتهَنٌ ، والنَّفْسُساقطةٌ والوجْهُ مِن سَفَنٍ ، والعَيْنُ من حَجَرِ

---

[1] د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ج ١، ج١ ، ص ٥٧٤

[2] المصدر نفسه ، ج ١، ص ٥٧٩

[3] المصدر نفسه ، ج ١، ص ٥٩٩

[4] المصدر نفسه ، ج ١، ص ٦٠٥

لله درك قد تكون مدحا أو ذما ، البحتري يسخر من ابن بسطام في أربع صفات نادرة عرضك محتقر ، ونفسك رذيلة ،السفن :جلد خشن كجلد التمساح ،والعين وقحة لا تخجل.

قال في هجاء ابن الشوارب [1]

قد قُلتُ لابنِ الشـــوَّارِبِ مُشْفـــقاً من أن يرى فيـــــه العــدو غميــزه
قد سأءَني مِنْــكَ اشْــتِمالُك دونَ مَــن يدنـــو إليــك على أبي كثــنيـــــزه
وهْوُ المَشــُومُ صَــداقة والمُـــــدَّعي مَخُسُوسَ أَصْلٍ ، والضِّعيفُ نَحيــزَه

قال في هجاء ابن الفلس : [2]

آلَ فَلْســيِّــكُــمْ غَــداةَ بَحَثْــنا عَنْهُ فَلْساً وقيمةُ الفَلْسِ فَلْسُ
سامِــريٌّ الضُّيــوفِ من دُونِ خُبــزْ مع بيض الأنوف لَيْسَ يُمَسُّ
فارْتَحِلْ عن جِوارِ كِسْرى فَما أَنْتَ كَريمٌ ولا لَــبــَيــْتِكَ أُسُّ
نَبــَطٌ مُلِّكــُوا عِــمارَةَ أَرْضٍ كانَ عُمَّارَها الأَوائــلَ فُرْسُ

هجا ابن الفلس على أنه يسامر ضيوفه ولكنه لا يقدم لهم الطعام مما ذممه الشاعر وسخر منه ، وكما هجا ابن أبي قُماش عن أبيات قالها في هذا الروي من البحر الخفيف يعدد صفات الذم من الجبن واللؤم وذي رأي خسيس ، وأنه يقرض الشعر ولكن ذهنه الجامد يغلظ (يعس) عن الشعر ويبتعد عنه.

قال في هجاء ابن أبي قُماش عن أبياتٍ قالها في هذا الرَّوي [3]

ضعَــةُ للــزَّمــانِ عِنــْدي وعكْسُ إِذْ تَــولَّى بُــزُرْجَــســابُورَ جِبْسُ
شَخْصُهُ المُزْدَري ومَخْبَرُهُ المَشْنُوءُ قُبْــحــاً ورأيُــهُ المُــسْــتــَخــَسُّ
يَتَعــاطَى القــَريضَ وهْــو جَمــَادُ الذْ دِهْنِ يَجْفُو عَن القريضِ ويَعْسُو
سَمِعَ الضّــَارطِيــنَ فيــهِ فأَنْــشا بغَبــاءٍ مــنَ الجَهــالَةِ يَفـــسُو

([1]) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، ج٢ ، ص ٦١٤

([2]) المصدر نفسه، م ج٢ ، ص ٦١٧

([3]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦١٧

قال في هجاء قوماً من أهل بلده [1]

قُل للأَرَنْدِ إذا أَتى الرُّوحِيـــنَ : لا تَقْـرأ السَّـلامَ علـى أَبـي ملْبُـوسِ
دار بها جُهـلَ السَّـماحُ وأُنْـكرَ المعـروف بـين شـمامس وقسـوس
لم يَسْمَعُوا بالمَكْرُماتِ ، ولـم يُـنِخْ في دارهم ضـيـف سـوى إبلـيس
آذانُهم وُقْـرٌ عنِ الـدَّاعي إِلـى الهَيْجـاءِ مُصْغيـةٌ إِلـى النّـاقوسِ

هجا البحتري قوما من أهل بلده من البحر الكامل سخر منهم في صفات أنهم لم يسمعوا بالمحامد ولا بصفات الكرم ، ولم يستقبلوا سوي إبليس ، وثقيلو السمع للدعوة إلى الحرب ، ولا يتوقع من عطاء أناس لهم أخلاق حمار وشكل جاموس ،وقال يهجو طِماساً وهو أمير قزوين، وعم الصولي . وقد هجاه في قطعة أخري ، إذ يقول في مطلعها[2]

أَقولُ لصاحِبٍ مِنْ سِرَّ عَبْسِ أَرَى وَرْدي بِرُؤيَـتِهِ وآسي
شَكَوْتَ قَذًى بِعَيْنكَ باتَ يُدْمي كأَنّكَ قد نَظَرْتَ إِلى طِماسِ
إِلى وَغْدٍيكادُ يَعـودُ فِينـا بِرُمْحٍ في التِّـنايَةِ أو شِماسِ
فَقَدْتُكَ ياطـماسُ فكلُّ عَيْشٍ بِقُرْبِك أَخْشَنُ الجَنبَاتِ جاسِ
تَمخَّطُ للزّكـامِ وفيـك بَـرْدٌ جُماديٌّ يُخَبّـرُ عن قُعاسِ

وصفه في صورة ساخرة بالعور الذي أصاب عينه ، لم يعد يريد رؤيته لأن الحياة قربه خشنة وجافة ، ووصفه ببرد جمادى الشديد والقعاس الموت وفي الأصل داء في الغنم تموت منه .وهجا طماسا و مسعودا غلامه ، وكانا أعورين وكان قد وجهه مسعوداإلى طماس في حاجة ، فعاد ولم يقضها ، فقال : من الكامل [3]

بالأَعْـوَرَيْنِ المُعـوِريْنِ أَخَـلَّ بي أَمَلي وعـاودَنَي تَمـكُّنْ يـأسي
ومنَ الضَّـلالةِ أنْ رَجَوْتُ لِحاجَتي إخلاصَ مَرْذولَيْنِ في الأرْجاسِ
لا يَبْرَحُ المَضَّاضُ كُحْلَ صَحيَحتْي رجْسَيْنِ مَرْذولَيْنِ في الأرْجاس
وإِذا عَـدَدْتُ على طِمـاسٍ عَيْبَهُ لم أَرْضَ ألـفاظي ولا أَنْفاسي

---

(1) المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٦٢٧

(2) المصدر نفسه ، ص ٦٣١

(3) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٣٧

هناك الكثيرمن الصفات الذميمة التي وصفهم بها مثل البادي العورة والقبيح السريرة ، وندم على اعتماده في تنفيذ مهمته ،وأن الغلامين أعمالهما قبيحة ، بل إن عيوب طماس كثيرة ، لا يمكن عدُّها ولا نفسه تقدر ذكرها.

قال في هجاء ابن ثوابة[1]

تَرَوْنَ بُـلـوغَ المَجْـدِ أَنَّ ثِيـابَكُمْ يَلوحُ عَلـيكمْ حُسْـنُها وبَصيصُـها
وليسَ العـُلا دُرَّاعَـة ورِداؤهـا ولا جُبَّـةٌ مـَوْشِيّـَةٌ قَميصُـها
وإلاَّ كَما اسْتَنَّ الثَّـوابُّي إذْ جَـرَتْ عـادةٍ أَثوابُـهُ وخُروصـُها
يخص بها في العُيـونِ وَقيـمـةً ويَبْـذُلُها حتى يَعـُمَّ خُصوصُـها
يبَيتُ على الإِخْوانِ غالى ثِيـابِهِ ويُصْبِحُ مَتْروكاً عَليـهِ رَخيصُـها

في استعلائه لنيل العلم بالهمة العالية ،ويرفع من شأنها في نيل المجد ، كما انه لا يأتي بلبس الثياب القشيبة اللامعة ، وان العلا لا يقاس بالجبَّة والثياب الموشاة فالهجاء هنا أخلاقي صريح.

قال في هجاء بعضَ الكتَّاب : [2]

إِنْ سِيـلَ أَحْرَزَ مالهُ بوَقايةٍ من بُخْلِهِ وسـُرادِقٍ من عِرْضِهِ
لَبِسَ الخَزَي واللُّؤمَ حتى إِنَّهُ يَخْزَي ويأنَفُ بَعْضُهُ من بَعْضِهِ

برع الشاعر في مزج عنصرين وهما مدح أبا الصَّقر إسماعيل بن بلبل وهجا أحمد بن صالح بن شيرزاد من قصيدة طويلة من البحر الطويل إذ يقول [3]

يَبيتُ مُعَنَّى النَّفْسِ مِنْ لُـؤم أصْلِـهِ بأَنْ يَقْبِضَ الرِّزقَ الذي اللهُ باسـطُهْ
ويَغْدُو ويَعْـقـوبُ ابْـنُهُ مُـتَرَسِّـلٌ يُـزانيـهِ فـي أوْلادِهِ ويُـلاوطُهْ
فَأَيُّ خـلالِ اللُّؤمِ لم يَعْتَصـبْ بهـا رَكوبُ الدَّنايا حارِض القَدْرِ ساقِطهْ؟
زَعيمٌ بخِـدْنِ السَّـوْءِ يُوجَدُ عِنْـدَهُ إِذا ما ابنُ مَيْـمونٍ أَتاهُ يُضـارِطُـهْ
وما مِنْهُما إلاَّ زُنَيـْديـقُ قـَرْيـَةٍ يُـلاكنُ ماني حُمْقـَـةُ ويُعـافِطُـهْ

---

[1] المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٤٩

[2] المصدر نفسه ج٢ ، ص ٦٦٥

[3] المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٦٩

مَتَى أتَعَلَّقْ من أَبي الصَّقْـــرِ ذِمَّـــةً يَذُدْ عن حَريمي وافِرُ الجَأشِ رابِطُهْ
أَخٌ ليَ لا يمــدُني الذي أنــا مُـــبْعِدٌ لِشيءٍ ولا يَرضي الذي أنا ســاخِطُهْ
مـــعالٍ بناهـــا صَـــعْبُةٌ وعَليُّـــهُ ووائـــلُـــهُ وَيْـــلُ العَـــدْوِّ وَقاسِـــطُهْ
بَهـــالـــيلُ يَوْمِ الجُودِ تَجْـــري شِـــعابُهُ وآســـادُ يـــوْمِ الحَرْبِ يَحْمَرُّ مَاقطُـــهْ

تفيد الأبيات أن أحمد يمضي ليله منهكا بحثا عن الرزق الذي بسطه له الله، وهذا من لؤم أصله، فهجاه بنعوت كثيرة متعجبا من صفات الدنيئة ومكانة الساقطة ؟ كما وصفه بالإلحاد والكفر الذي يعتقد بالثنوية والتقمص ، وكذلك يقلد غيره في غير معتقده وماني متنبي فارسي يدعو إلى الثنوية وإلى صراع النور والظلمة في العالم الأرضي ، بينما في الطرف في الطرف الآخر يمدح أبو الصقر الوزير الذي يدافع عن العرض والحريم ويحميه كما أنه صاحب صدر واسع ونلاحظ في البيت الأخير يعدد لنا أسماء آباء أبي الصقر .ويصفهم بالجود والشجاعة ،وهو السيد الجامع لكل خير المالك زمام الفرس .

قال في هجا وهب بن سليمان : [1]

تَحَقَّرْتَ يا وَهْبُ في ضَرْطةٍ فأَضْحَتْ أحاديثُها شائَعةْ
وما سُمِعَتْ قَبْلَها مِثْلُها وقدْ راعَهُمْ صَوْتُها رائعَةْ
فقـــالُوا وما أَبْعَـــدُوا إِنَّـــهُ يُضَرَّطُ من فَقْحَةٍ واسِعَـــةْ

هجا وهب بن سليمان بسبب هفواته وعثراته تناولت ألسنة الناس بأقوالهم فكانت لها أثر في نفسه وله فيه أهاج أخري

قال في هجاء ابن المغيرة : [2]

قد لَعَمْري يـــابنَ المُغيـــرَةِ أَصْـــبَحْتَ مُغيراً على القَـــوافي جَـــميـــعاً
شَرَفاً يا أَخـــــاً جَـــــديلَةَ أَبْيـــاتـــــُك رَدَّتْ قَيـــْظَ العِـــراقِ رَبـــــيعاً
مـــــا لعيـــــنيْكَ تَغْـــزلانِ إذا مـــــا رأتا في الرؤوس رَأساً صَـــليعاً
إِنَّ حبَّ الصُّلْعانِ يُبْـــدي مـــنَ المَـــرْءِ لأهْلِ التَّكْـــشيفِ أمـــرْاً فَظيعـــاً

([1]) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ج ٢، ص ٦٨٤

([2]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٨٤

هجا ابن المغيرةأصبحت مغيرا على الأشعار ، لقد رطبت قصائدك جو العراق ، فعدَّلت حرارة الصيف ، وكان هذا من باب التفكُّه لا الفن ، أني أرى عينيك تنشطان عندما ترى صلعة أحد !بل وصفه في صورة ساخرة وحقيرة في قوله أنت أقل من أن تعدَّ وضيعاً وصفه بصفة أخرى عندما نسبه إلى زحل وهو أحد الكواكب السيارة ، وهو عند العربكوكب نحس.

قال في هجاء أحمد بن صالح الكاتب ، ويذكر مديراً كان في الديوان يقال له الإضرنط: [1]

لنا حاجَةٌ ما كان جاني سُؤالِها وَصُولاً ولا مَسْؤولُها الفَسْلُ مُنْصِفا
إِذا ما أَبي الضَّرَّاطُ إِسْعافَنا بها فَزِعْنا إِلى الإِضرانْطِ فيها فأَنْصَفا

قال في هجاءرمكة الكاتب[2]

قد قُلْتُ عن نُصْحٍ لِبرذَوْنَةٍ تُصانُ أَن تُسْرَجَ أَو تُوكَفا
إِذا اسْتَوَى الرَّاكبُ في ظَهْرِها طامَنَتِ المَتْنَيْنِ كي تُرْدِفا
أو وَقَف العَيْرُ على بَوْلِها أَنْعَمَ أَنْ يَسْتافَ أو يَكْرُفا

رمكة الكاتب من كُتّاب سامراء لقيه البحتري حوالي سنة ست وعشرين ومائتي للهجرية مضمون الأبيات يجعل الشاعر مهجوه موضع رأي حماره فيه !كما يرميه بالقطيعة بين النَّاس.

قال في هجاء أبا أحمد بن المنجِّم جربه واختبره فوجده بخيلا جدا ، فالضرورة دعت إلى ذلك[3]

بلَوْتُ أبا أحْمدٍ مَرَّةً فأَلفْيَتُ مِنْهُ بَخيلاً سخيفا
ولولا الضَّرورةُ لَمْ آتِهِ وعِند الضَّرورةِ آتي الكَنيفا

قال في هجاء إسماعيل بن بُلْبُل [4]

لأَبي الصَّقْر دَوْلةٌ مِثْلَهُ في التَّخَلُّف
مُزْنَةٌ حِينَ خَيَّلتْ آذَنَتْ بالتّكُشُّفِ

([1]) المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٧٤٠
([2]) المصدر نفسه ج٢ ، ص ٧٤٠
([3]) المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٧٤٣
([4]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٥٧

عِلِــمَ النَّـــــاسُ بَــرْدَهُ بَعْــدَ طُــولِ التَّشَــوُّفِ
فَهُمْ بَيْـــنَ خـــائفٍ ومَــرُوعٍ ومُرْجِـــفِ

قال في هجاء قوم من أهل البرت ،ومازح بذاك ابن بسطام ، وكانوا يقولون إن أردشير خلف ابنته بالبرت ، فقتل في وجهه فتزوجها جدهم والأبيات هي :[1]

نِكْتُمْ وديعةَ أرْدَشيرَ ولم يَكُنْ في الحَقِّ نَيْكُ وَدائعِ الأَشْـــرافِ
هــلاَّ تَــوَقَّفْتُمْ مَســافةَ فَرْسَخٍ حتى يُجــاوِزَكمْ إلى إسْــكافِ !
أعْجَلْتُموها عن تِئيَّــةِ رأيــها عَجَلَ الكِرامِ إلى قِرَى الأَضيــافِ
وظَنَنْتــمُ مــا جِئْتــمُوُه تُحْفَةً تُعْتَــدُّ أو لَطَــفــاً منَ الأنْطــافِ
أحْشَمْتُمُ ملِكَ المُلوكِ وكِـــلْتُمُ تِلْكَ الخَــزايــةَ بالقَفيــزِ الوافــي

قال في هجاء الخثعميَّ [2]

حَضــرْمَــوْتُ وأَيْــنَــمــا حَضْــرَمَوْتُ بلَدٌ دُونَهُ الفَـــلا والفَيـــافي
أأبـــي يــا أَخــي أبــوك فَــيــهُـــجَي أَو أَبو خَثْعَميّـــك الإسْكــافِ
نَحْنُ مَنْ قد عَلِمْتَ فــي الشَّــرَفِ الــوَافِي فأَجْمِلْ في عِشْــرةِ الأَشْــرافِ
سَــلفٌ لــو رأَيْــتَــهُــمُ لَــتَــبَــيَّــنَــتْ لَهمْ زُلْفَــةً علــى الأَســلافِ
وإِذا ما انْتَــقَــدْتَ شَــيــخَــكَ فيــهِمْ طالَ فيــهِ تَصَفُّحُ الصّــرَافِ
ما لــه مُتَــجَــرٌ سِــوَى شَــعَرِ الخِنْزيــرِ في قَوْمِــهِ وسَــنِّ الأشــافي

ابن بسطام من ممدوحي البحتري فارسي الأصل ، وتاريخ القطعة حوالي عام ٢٧٢ هـ .وفيها يمازحه بأن جد الفرس الملك أردشير قد خلف ابنته بالبرت فتزوجها من استودعت عنده لدي مقتل أردشير ، وهنا ها انتم يا أهل البرت تفخرون بما أتيتم وكأنه تحفة من التحف أو فضيلة من الفضائل اللطيفة. أثرتم غضب الملك حين تعديتم حدودكم بما يخزي فالهجاء غير أخلاقي .

قال في هجاء ابن أبي قماش ، وكانت له جارية يعشقهاأحمد بن صالح شيرزاد فحملها إليه . عدّ أبوالفرج الأصفهاني هذه القصيدة من أجود هجاء البحتري.[1]

([1]) المصدر نفسه ، ج ٢،ص ٧٦٢

([2]) المصدر نفسه ، ص ٧٦٣

مَرَّتْ على عَزْمِها ولم تَقِفِ مُبْدِيَةً للشَّنَانِ والشَّنَفِ
أَيْهات ما وَجْهُها بِمُلْتَفِتٍ فَاسلُ ولا عِطْفُها بِمنُعْطَفِ
أبا عليٍّ أعْزِزْ عَلَيَّ بِما أتتْهُ ذاتُ الرَّعاثِ والنَّطَفِ
ما لِلْغَواني فَوارِكاً شُمُساً وأَنْتَ بَرٌّ بالغانِياتِ حَفي
وما نَكَرْنَ الغَداةَ مِنْ غُصُنٍ يَحْسُنُفي الإِنْثِناءِ والقَصَفِ
قد خَبَّرُوها قِيامَ شَيْخِكَ في الحَمْامِ فاسْتَعْبرَتْ مِنَ الأَسَفِ
أَنْتَ كما قد عَلِمْتَ مُضْطَرِبُ الهَيْئَةِ والقَدِّ ظاهِرُ الجَلَفِ

القصيدة طويلة ولكن نكتفي ببعض الأبيات ، وفيها يخاطب أبو على هو الحسن المنجم صاحب الجارية الذي يشنع عليه البحتري ويهجوه بها ، فسخر منه قائلاً : ما بال الغواني يصددن عنك وأنت بهم مهتم محتف ؟ لان مثل هذا الرجل تكره المرأة ، فيصف في محاسن الجارية فهي صبية في قوام الغصن، فهو شيخ هرم لا تطيق جاريته رؤيته بسبب دمامتة وغلاظته ففي هذا الهجاء تحقير وتشنيع وتقليل بهذا الرجل .

يمدح صاعد بن مخلد ، ويهجو يعقوب بن صالح بن شيرزاد :

صاعد بن مخلد هو وزر للموفق والمعتمد ، شارك في محاربة قائد الزنج حظي مدة ولكنه نكب وسجن . أما المهجو يعقوب فقد هجاه البحتري وأباه أحمد بن صالح بن شيرزاد ، ثم أصلح ما بينه وبينهما وقد تولى أحمد بن صالح الوزارة .إذ يقول [٢]

صَفْوَةُ الدَّهْرِ إذا الدَّهْرُ صَفا تَجْمَعُ الشَّمْلَ إذا الشَّملُ افْتَرَقْ
لا يُلَذُّ المُلْتَقَى إنْ لم يكُنْ باعثُ الشَّوْقِ لَذَيذَ المْعَتَنَقْ
وأَرَى الإِمْلاقُ أَحْجَى بالفَتَى مِنْثَراءٍ يَطَّبَيهِ بالملَقْ
أَكْثرُ الإِشْفاقِ يُرْجَى نَفْعُهُ بَعدَ أنْ تَطَّرِحَ الخِلَّ الشَّفَقْ
مِنْ زِياراتِ النَّقيصاتِ لهُ طَبَقٌ يَرْكَبُهُ بَعْدَ طَبَقْ
كان قَبْحُ الوَجْهِ يُجْزِينا فَقَدْ زادَنا مَلْعونُنا قُبْحَ الخُلُقْ

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٧٤

(٢)د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ج٢ ، ص ٧٨٧

غِلَظٌ فـــي جِرْمِـــــهِ يَشْفَـــعُـــــهُ حَســـَـــــبٌ أُهْـــزِل بالـــــلؤمِ فَـــــدَقْ
لا وَظيـــفُ العَيْـــرِ مرْقُـــومٌ ولا العَجـــبُ مَهْضُـــومٌ ولا الوجْـــهُ خَلِـــقْ

يبدأ الشاعر قصيدته بصفاء الدهر لأن يجمع الأخوان والأحباب ثم ينتقل إلى تلاقي العناق بين الأحباب ،وبعدها يدخل في هجاء يعقوب بن أحمد بصفات الكذب والفقر والحاجة ، والمعنى أن احتمال الفقر خير من التماس الغنى بالملق والمداهنة ، ويتعدى المعنى إلى أن الإشفاق والتوقي هو أن تحاذر وتتقي رفيق السوء ، ثم يصفه لنا انه موغل في السوء وأن نقائصه لا تعد ولا تحصى .ومع قبح وجهه تبعه ذلك قبح في أخلاقه ، غليظ في جسمه ، هزيل في حسبه وشرفه ، وقد دق هذا منه حتى لم يُر ، ليس في خلقته ما يستظرف ؛ لا قوائمه ولا كلفه ولا وجهه .يعتبر هذا هجاء صريح .

قال في هجاء وهب بن سليمان على طراطه : [1]

من يـــأمن البلوى وبينا فتـــــى مِنْ آلِ وَهْبِ بَيْنَنَـــا إِذْ حَبَـــقْ
سألت عن ذاك فقيل : استـــــه مكْشُوفَةٌ لَيْـــسَ عَليها طَبَـــقْ
لو عصـــرت عنق ظليم وقـــد أَدْخَلَ فيها رأْسَهُ مـــا اخْتَنَـــقْ
قلنا وقد أَنْطـــقـــــها بـــعـــــده يا ذا اللسانَيْنِ إِذا مـــا نطـــــقْ

قال في هجاء سَرْجَسَالنَّصْرانيَّ[2]

قُولُوا لِسرْجَسَ يابنَ القَبْحَـــة الشَّـــبِقَةْ ومَنْ لها في حَشـــاها شهـــوَةٌ حَرِقَـــــةْ
وابَن التي جَعَلَـــتْ للـــدَّاءِ فَـــــقْحَتَها وَقفاً على كلِّ فَحْـــلٍ ناكَهـــا صَـــدَقَـــــةْ
ومَنْ تَذلُّ لِوقْعِ الصَّـــفـــعِ هامـــــتُهُ ذُلَّ الحُلُوقِ التـــي بالحَبْـــــلِ مُختـــــنِقَةْ
وَمَنْ إِذا عدَّتِ الأَنْبـــاطُ كـــــان إِذا ما نَصَّ عَنْ أَصْـــلِهِ مِـــنْ أَرْذَلِ الطَّبَقَـــةْ
وَمَـــنْ بخْـــــرَةٌ تُـــرْدي مُخـــاطَـــبةُ نَعـــَمْ وتَتْرُكُ مِـــــــنْهُ رُوحَـــهُ قـــلِقَـــةْ
لكنْ تَرَفَّعـــْتُ قـــدْراً عَنْكَ أَنَّ أَبـــي نَجْدٌ كريمٌ وجَـــدِّي ســـادَ مَـــــنْ سَـــبَقَهْ

([1]) المصدرنفسه ج٢ ، ص ٧٩٣

([2])المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٠٤

يعيره بشهوة أمه وشبقها ، بينما يصفه بأنه أرذل طبقة من الأنباط أو الرعاع ،ورائحة فمه كريهة إذ يقول وإذا نظرنا إلى مجمل الأبيات نجدها من الهجاء الفاحش البذيء.

قال في هجاء أحمد بن روح الأسدي ممن لقيهم البحتري بعد رحيله إلى الشام إلى جهة الموصل، ويذكر قوما من رهطه الأزد من أهل الموصل[1]

هُوَ الظَّلامُ فَلا صُبْحٌ ولا شَفَقُ هَل يُطْلِقُ اللَّيْلُ مِنْ طَرْفي فأَنْطَلِقُ؟
يستَنْشِدُ الضَّيْفَ والظَّلْماءُ حالِكَةٌ وقد تَعلَّمَ مَنْ أَخْلاقِهِ الأُفُقُ
البائتونَ قَريباً من دِيارهِمِ ولَوْ يَشاؤون آبُوا الحَيَّ أَو طَرَقوا
إِنَّ الخُلاقَ الذي أُنفَقْتَهُ سَرَفاً داءٌ لَكُمْ مِنْ بَني عِمْرانَ مُسْتَرَقُ
لا تَأْخَذُوا حَظّ أَقْوامٍ تَليقُ بِهِمْ إِذا بَدَتْ مْنُهُم الأَخْلاقُ والخَلَقُ
يُشبَّهونَ ظُهورَ الخَيْلِ إِنْ رَكِبُوا فيشاً فَسَيَرْهُمُ التَّقْريبُ والعَنَقُ
الباخِلُونَ إِذا مازِنٌ بَذَلُوا والمُفْحمُون إِذا ما راسِبٌ نَطَقُوا
لوْ قيلَ للأَزْدِما قالوا وما انْتَحَلُوا مِنِ ادِّعاءٍ إِليهِ قالَ : ما صَدَقُوا

لقد وصف الشاعر بصفات ساخرة منها وصفه بأنه لم يرى منهم أحد عندما حل عليهم الظلام ، وكذلك وصف أخلاقهم مثل الأفق عندما يحل عليه الليل ، وقال لهم لا تتخلقوا بأخلاق من هم أحط منكم من بني عمران ، وقد عريت أخلاقهم وخلقاتهم .وقبيلتهم ذات معيار في البخل والعي وضعف المنطق ، ولو ادّعى القوم نسبتهم إلى الأزد لأنكرت الأزد ذلك تبرؤا من الخزي .فهي صفات غير أخلاقية .

وهجا أحمد بن طولون ، وكتب بها إلى إبراهيم بنِ المَدَبِّر بالعراق[2]

بعَيْنَيْكِ إعْوالي وطُولُ شَهيقي وإِخفاقُ عيني مِنْ كَرًى وخُفُوقي
على أنَّ تَهْويماً إِذا عارَضَ اطَّبَي سُرى طارِقٍ في غَيْرِ وَقْتِ طُروق
سَرَى جائباً للخَرْقِ يَخْشَى ولم يَكُنْ ملياً باسْراءٍ وجَوْبٍ وخُرُوق
سَلا نُوَبَ الأيامِ مابالُها أبَتْ تَعَمَّدُ ألاَّ جَفْوتَي وعُقُوقي ؟
أرَى كُلَّ مُؤْذٍ عاجِزاً عَنْ أَذَّيتي إِذا هوَ لم يُنْصَرَ عَلَيَّ بمُوق

([1]) المصدر نفسه ص ٨٠٦

([2]) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٩

وما زِلْتُ أَخْشَى مُذْ تَبدَّي ابــنُ يَلْــبَخٍ على سَــعــَةٍ مِنْ أَنْ تُدالَ بضــيـــق

نظمها الشاعر وهو في الشام ٢٥٦ ومان ابن طولون يتوعد أحمد بن المدبّر شقيق إبراهيم بن المدبّر. وقد بعث بالقصيدة إلى إبراهيم بالعرق ، فجاء الهجاء مزوجاً بالخوف ذلك ممثل في ميل الرأس إلى النعاس يستدعي خيال الحبيب ، كما أن سري الحبيب على خوف ولم يكن يعود جوب القفار ، وسلا المواصل مصائب الأيام ولكنها تعمدت مخالفته ، ثم انتقل إلى هجائه وهو يصف نفسه لا يغلبني أمري إلاَّ أحمق غبيّ لعجزي عن مجاراته ، وبشؤم ابن طولون المهجو تتحول السعة إلى ضيق ، ويستحيل اليسر إلى عسر.

وقال في رجلكان يتولى البريد بالرَّقَّة اسمه نهشل : (١)

إليك أميــر المُؤمنـــــــيــنَ رِســالــةً مِــنَ الغَــرْبِ تَسْــتَقَري فِجــاجِ المَشــارِقِ
أُعيذُكَ بالنُّعْــمى منَ اللهِ أنْ تُـــــــرَى قُــدامى جَنــاحِ المُــسْــلــميــنَ لِــفــاسِقِ
أُعيرَ بَريدُ الرَّقّــتَـــــيْنِ غَضــاضَـــةً بمُضْطَرِبِ الكَفَّــيْنِ رِخْـــوِ البَــنائـــقِ
نَعَى العَــدْلَ شَــرقِيَّ البــلادِ بِجَـــورِهِ عَلَيــْنا وبــاعَ النــَّاسَ ثــمَّ بـــــدانـــقِ
لهُفي الــذي اسْــتُرْعيهِ رَوْحــةُ فاجِـــر بِسَــوْءَتِــهِ الأَخْــرى ودُلْجَــةُ ســـــارِقِ
إذا ما دَعــا غِــلْمانــَه لِــبــلِــيّـــــةٍ فَخَلْوَتُهُ بالعِــفــرِ دُونَ المــراهـــــــقِ
مُخَنــَّثُ أَعْـــراسٍ ولَــيسَ بمُــطْـــرِبٍ وقَيــنَــةُ فِتــْيــانٍ وليـــــسَ بِــعاتــقِ
يَهيجُ شَحيجَ البَغْــلِ مِــن كَلَــبِ استـــهِ ويُطْرِبُ خُصْيَيــْهِ صِيـــاحُ الفـــــرانِقِ

وهجا أحمد بن صالح بن شيرزاذ وجارية بن أبي قُماش : (٢)

تَــزَوَّجْتَــها بعـــدَ إحْـــراقِها قُلوبَ النَّـــــــدامَى وإقْـــــــلاقِها
وقد أَعْطَتِ القَــوْمَ مــن عَهْــدِها رِضـــــاهُمْ ومِـــن عَقْـــدِ مِيثاقِهـــا
فكَــيـــفَ أَمِنــْتَ خِيــانــاتِــها وأَنتَ عَلَيـــــمٌ بأَخْـــلاقِـــهـــا؟
وكيف انْبَسَطْتَ ولــم تَنـــقْبِضْ لإِجْـــلاسِهــا مـــــع عُشَّـــــاقِها
تُحــدِّثُهــمْ بِمَــعــاني الغِــناءِ عن بثِّ نَفـــــسٍ وأَشْـــــواقِها
وأَحسِبُ أنــك مُخْــفٍ رضًـــي وقـــد راسَلَتْـــــهُمْ بِخِلْيــاقِـــها

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص ٨٣٥

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٨٤٥

إذا كُنْتَ تَمْكِنُ مِنْ وُدِّها فإنَّك تُمْكِنُ مِنْ ساقِها

هجا البحتري أبا أحمد بن الجوهريِّ : [1]

أقولُ لجاهِلِكُمْ إذْ مَلَكْ ودارَ لهُ بالسّعُودِ الفَلَكْ
وخَنَّثَ لَهْجَتَهُ مُسْمِعاً بلَفْظٍ تُحَلُّ علَيه التِّكَكْ
تَمَاسَكْ عِنِ الخُنْثِ لا أُمَّ لَكْ ولا تَهْلِكَنْ فِيهِ مَعْ مَنْ هَلَكْ
فإنَّ الفَتَى واجِدٌ مَهْلَةً تُبَلِّغُهُ العُذْرَ ما لم يُنَكْ

هجا أخا العطوي المُلَقَّبَ كُوَيْرَة [2]

أَيْرى وأيْرِكَ يا كُوَيْرَةَ في حِرامِّكَ ما أَرَكَّكْ
بَعْتَ الغُلامَ فَمَنْ يَحُكُّكْ غَداً حَتارَك إنْ أَحَكَّكْ

هجا الجواهري : [3]

أَتاني كِتابُك ذاك الذي تَهَدَّدْتَ فيه ضَلالاً ونُوكا
ولولا مَكانُ أَبيكَ الدَّنيُّ لقد كن شِعْرُك وَشْياً مَحُوكا
ولكنْ وَرِثْتَ عَنِ المَلأُمانِ فَهْماً غَليظاً ورأياً رَكيكاً

هجا رمكة الكاتب : [4]

قُمْ تأَمّلْ بنا عَجائبَ دَهْرٍ كُتِبَتْ فيهِ للرِّجالِ الرِّماكُ
ما أَسَرَّتْ أُمُّ العِيالِ سُرُوراً مِنْذُ قالوا:أَبو العِيالِ يُناكُ
ويَخِسُّ النَّصيبُ حَتَّى يَقِلَّ الحَظُّ فيهِ ويَكْثُرَ الأَشْراكُ
قُدَّتِ الفِلوَةُ الخُضيراء منه شَبَهاً مِثْلَ ما يُقَدُّ الشِّراكُ

هجا الحارثي : [5]

أَبا حَسَنٍ أَنْتَ وَشْكُ الأجَلْ وتُكْلُ الغِنَى وانتِقالُ الدُّوَلْ

([1]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٥١
([2]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٥١
([3]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٥٢
([4]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٥٩
([5]) المصدر نفسه ،ج٢ ،ص ٨٦٨

زَعَمْتَ بأَنَّكَ لَسْتَ الدَّمــارَ ولَسْــتَ العِثــارَ ولَسْــــتَ الزَّلَــلْ
فبَّــينْ لنــا مَن لَوَى شُؤْمهُ أَبا جَعْفَرٍ عــن بَريــــدِ الجَبـــَلْ
وَتُظْهِرُ في آلِ وَهْبٍ هَــوًى وأَنْتَ نَحَسْتَنَـــــهُـــمُ يــا زُحـــــلْ
نَقَضْتَهُمُ عُــرْوَةً عُـــــرْوَةً وَفَرَّقْــتَ عَــنْهُمْ جَميـــــعَ العَمــلْ

هجا في ابن المغيرة وهو أبو العنبس الصيمريّ ،أديب هجّاء سليط اللسان إذ يقول البحتري[1]

على ابنِ المُغيرَةِ أَنْ يُقْتَلا وإنْ كانَ للبَيْتِ مُسْتَقبِلا
تَرَى وَجْهَهُ أبَداً كــالِحاً وعَنْ نَعَم فَمَهُ مُقــفَــلا
وما هلَّلَ الله ينْجـــُو بها ولكنَّ مِنْ حُبِّ لا هَلَّــلا

فهنا جاء الهجاء في صورة تحقير لأنه منافق أفاك ، كما وصفه بعدم المعروف مطلقاً ، ولكنه لا يسبح لله لتقواه بل ليكرر في لفظة التهليل حرف لا .

ومن البحر المتقارب هجا أحمد بن إبراهيم بن رياح إذ يقول :[2]

هَجاني النُّغَيْــلُ وما خِلْتُني أخافُ هِجاءَ أَبي حَرْملــَةْ
أُرَجِّي تَلَــوُّنَــهُ بالصَّــفاءِ وأُلْقَى قَطيَعتَـــــهُ بالصِّلَةْ
فلا تَحْمدَانْ مِنْ أَخٍ آخِــراً إذا أَنْت لــم تَخْتَــبرْ أَوَّلَهْ
وكان جزائيَ ما قَدْ عَلِمْتَ وما لم يَكُنْ لك أَنْ تَفْعــَلَهْ
أُراكَ رَجَعــْتَ إلى جَــدَّكَ الشْرَيفِ وقِصَّتهِ المُعْضِلَهْ
ومَسْراهُ في بَطْنِ قَوْصَرَّةٍ مُخَرَّقَةِ الخُوصِ مُسْتَعْمَلَهْ

هجا البحتري أحمد المكنى بأبي حرملة عدة مرات ، وهنا وصفه بصفات قبيحة مثل النغيل تصغير نغل أي الفاسد المطعون في نسبه ، كنت أصفو له وأصله بحسن المعاملة ، فما أجد منه غير المكر والتلون ، فما تسارع في حمد أحد ما لم تعرف آخر فعله ، كذلك بدل جزاء الإحسان بالسوء ، ونجده يفتخر بنسبه الشريف !.. يقصد السخرية ، يعيره بأن جده مهترئ الحال ، ورداه مستعملةوهي وعاء من قصب .

---

[1] المصدر نفسه ،ج٢ ، ص ٨٧١

[2] المصدر نفسه ،ج٢ ، ص ٨٩٠

هجا مُرَّ بن علي بن مُرٍّ الطائي عندما سرقوا فرسه نزل عليهم : [1]

نوائِبُ دهــرٍ أَيَـــهُــنَّ أُنازِلُ بِعَزْمــيَ أَوْمِـــــــنْ أَيِّهـــنَّ أُوائـــلُ؟
بُلِيتُ بِمَدْحِ الباخلينَ كأَنَّنـــي علـــى الأَجْــوَدِينَ الغُــرِّ بالشِّـــعْرِ باخِــلُ
وكُنْتُ وقد أَمَّلْتُ مُــرًّا لنائــلٍ كَطــالِــبِ جَـــدْوَى خُلَّــةٍ لا تُـــواصِلُ

هجا أسد بن جمهور إذ يقول[2]

أَجَدَّ لنـــا مِنــْكَ الوَداعُ انْتـــواءَه وكُنتَ وما تَنْــفَكّ يَشْغَلكَ الشُّغْلُ
فَوَ اللهِ ما نــدْري :الولايةُ تَشْتَكي عقابِ يلَها في مُنْــتَواكَ أَمِ العَزْلُ؟
أَمِ الحَظُّ مَخْسُوسٌ لَدَيــكَ مُؤخَّــرٌ على كلِّ حالٍ مِنْكَ تَسْفُلُ أو تَعْلُو
وكِفْلانِ مِنْ وعْدٍ عَلــيكَ مُقــدَّمٍ أَطاعَ لنا كفْلٌ ومانَعَــنا كِــفْــلُ
فما أَنتَ بالمَرْزوقإِنْ كنتَ عازماً على رَشَدٍ مِنْ فِعْلَ ما فَعَلَ النَّغْلُ

مازلنا ننوي الوداع ونجدد العزم عليه ،فكانه وداع في إثر وداع وأنت المشغول المتشاغل عنا ، والله ما ندري الحقيقة في أمرك ؛ هل ملَّتك الولاية أم اشتاقك العزل ؟!. ثم هجاه حظك الأخس سواء علوت أم سفلت ، ويقول وعدك كفل ومطلك آخر، فلا فائدة ترجى منك ،ولن ترزق وإن عزمت على رشد مادمت تصدر عن فعل الفاسد المرتكب .

هجا العباس بن عمرو[3]

يابنَ عَمْرٍو والخَيْرُ فيكَ قَليــلُ كَذَبَ الظَّنُّ فيكَ والتَّأمــيـــــلُ
ومَنْ يكُنْ حامِلاً إِليــكَ كِتــاباً فَكِتابي إِلَيْــكَ أَيــــرٌ طَويــلُ
ورَسُولي لَحْظٌ يُخَمِّسُ أَلْفاظَكَ إِنْ لم يُــوجَــدْ إِلَيْكَ رَسُــولُ
لا تَدَلَّــلْ عَلَيَّ بالبُخل ، إِنِّــي لَيْسَ يَصْيبنَي الحَبيبُ البَخيــلُ

عباس الغنوي ينتهي نسبه إلى قيس عيلان ، كان عاملا على بلاد فارس ، هجاه بصفة البخل وقليل الخير يكذب فيه الظن ويخيب ، كما لا يحمل إليه كتابا ، لأنه لا يحب أن يتعالى له بصفة البخل .

([1]) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، ج٢ ص ٩٠٢

([2]) المصدر نفسه ، ج٢ ص ٩١٩

([3]) المصدر نفسه ، ج٢ ص ٩٣٤

هجا إبراهيم بن الحسن بن سهل [1]

أبا الفَضْلِ أنَتَ فَـتَى فارسٍ لكَ الشَّرَفُ الخُسْرُوانيُّ كُلُّـهْ
أراكَ تُحرَمُ لَحـمَ الجَـزُورِ ولَوْ قامَ أَلْفُ نَـبيٍّ يُحلُّـهْ
وتغْضَبُ للفيلِ إنْ أزلـقُوهُ لأَنَّ الأَعاجِم كانتْ تُجِـلُّهْ

إبراهيم بن الحسن بن سهل ،كان أبوه وزيراً للمأمون وقد زوج الخليفة من ابنته بوران ،ويروى أن إبراهيم صار حاجباً للمتوكل . وللبحتري فيه أكثر من عشر قصائد بين مديح وعتاب وتعريض. ولعله يكنيه بأبي الفضل سخرية من بخله ، ويغمز ببخله ،كأنه يحرم لحم الذبائح .

هجا رجل من أهل بلده : [2]

أَما كانَ في تِلْكَ الدُّموعِ السَّوائلِ بيانٌ لِناهٍ أَو جَـوابٌ لِسـائـلِ؟
سَوابِقُ دَمْعٍ من جُفُونٍ سَوائـلٍ إذا سُكِبَتْ سَحَّاً ذَرَتْ بالأَنامِـلِ
دَلائلُ مَكْنُونٍ منَ الوَجْدِ لاعِـجٍ وسَحُّ دُموعِ العَيْنَ أَقْوَى الدَّلائلِ

هج أحد البخلاء : [3]

لِسانُك أَحْلَى من جَنَي النَّحْلِ موْعِـداً وكَفُّـك بـالمَعرُوف أَضْـيَقُ مـن قُفْـلِ
تُمَـنّـِي الذي يأتـيك إذا انَـتَهى إلى أمَـدٍ ناوَلْتَـهُ طَـرَفَ الحَبْـلِ

البيتان في معرض السخرية والاستهزاء يعطي الموعد ويستحلى الكلام مثل العسل وإذا جاء موعد الوفاء كان أضيق من قفل وتُمني الذي يأتيك حتى إذا دنا منك ناولته طرف حبلٍ يطول ويطول .

هجا أبا الفضل أسد بن جمهور : [4]

رأيْتُ الفَضْلَ مِن فَرْضٍ وقـرْضٍ تَـعَـذَّرَ عِنـدَ آبـاءِ الفُضـولِ
وما أَسَـدٌ وَلِيٌّ يـدٍ فتـرْجَى نـوافلُهُ ولا مَـوْلَى جَـمـيـلِ

---

[1] د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، ج ٢ ص ٩٥٣

[2] المصدر نفسه، ج٢ ص، ٩٧٦

[3] المصدرنفسه ، ج٢ ، ص ٩٩٢

[4] المصدر نفسه ، ج٢، ص ٩٩٦

وَضيعُ القَدْرِ من عَدمِ المَســـــاعي وَمَيْـــتُ الـــذِّكْرِ مـــن سَـــرَفِ الخُمـــولِ

هجا المادرائيين ، ويخاطب بذلك بعض الكتَّاب[1]

تلُـــومُ المـــادَرائيـــينَ جَـــهـــلاً وبَعْضُ اللَّوْمِ أَوْلَى بـــالجَهولِ
وتعـــذلهم إذا نيكوا كـــأَنْ لَـــــمْ تُنَكْ مِنْ قَبْلِهِمْ شِـــيَـــعُ العَذُولِ
وتَنْسَى حَظَّ خَوْلَةَ في المَخـــازي ولِعْبَ أَبي الفَوارِس بالطَّويـــلِ
فَضائِحُ لا يَـــزالُ يُكَـــرُّ منـــــها على قـــالٍ تُعـــَرُّ بـــهِ وَقيـــلِ

المادرائيون نسبة إلى مادرايا في العراق جنوب بغداد ،كان أشراف الفرس يقطنونها وقد هجا منهم البحتري أبا يزيد المادرائي ، في هذه الأبيات تقريع لأحد الكتاب بما هجاهم به . وقال في أبي يزيد لا تلم القوم جهلا وجمعا ، فقد تكون أنت أولى باللوم من هؤلاء ،تعذلهم فيما فُعِل بهم من الفحش كأن قومك وشيعتك قد سلموا مما تقول ،ومجمل هذه الأبيات تتحدث عن الهجاء الفاحش وقد صوره بألفاظ بذيئة .

هجا الخثعمي :[2]

وشاعِرٍ نِسْبَتُـــهُ بِحيلَةٍ مِن حِيَلِهْ
تُذْكِرُنا رؤيتـــُهُ مُتالعاً في ثِقَلِهْ
آباؤهُ مِنْ كسْبِهِ وخُفُّهُ مِنْ عَمَلِهْ

الخثعمي إسكاف وشاعر ، هجاه البحتري وعيره مراراً ، وهو لا ينتسب إلا حيلة من حيلة فهو إسكاف متمكن ،إذا رأه ذكره بحبل متالع في ثقله ، كفاه من الوضاعة وضاعة الآباء والمكتسب .

مدح المستعين ، وهجا أحمد بن الخصيب [3]

ما الغَيْثُ يَهْمي صَوْبَ إسْـــبالِهِ واللَّيْثُيحَمـــي خِـــيسَ أَشْـــبالِهِ
كالمُسْتَعيـــــنِ المُسْتَـــعانِ الذي تَمَتْ لـــهُ النُّعْمـــى بإفْضـــالِهِ

([1])د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ج٢ ، ص ١٠١٨

([2]) المصدر نفسه ، ج٢، ص ١٠٣٢

([3]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٣٧

تِلْوِ رَســـولِ اللهِ في هَـدْيِـهِ وابنِ النُّجومِ الزُّهْرِ مِـنْ آلِـهِ
لابنِ الخَصيبِ الوَيْلُ كَيْفَ انْبَرَى بإِفْـكِهِ المُـرْدي وإِبْـطالِـهِ؟
كادَ أَمـيـنَ اللهِ في نَـفـسِـهِ وفي مَواليهِ وفـي مـالِـهِ
ورامَ فـي المُـلْكِ الـذي رامَهُ بِغِشِّه فيـهِ وإِدْغـالِهِ
وأَمّـلَ المَكْـرُوهَ في غَيْـرِهِ فَنالَـهُ مَـكْـرُوهُ آمـالِـهِ
قـد أَسْـخَطَ اللهَ بـإِعْـزازِهِ الدُنـيـا و أَرْضاها بإِذْلالِـهِ

ولي الخليفة المستعين الخلافة بعد المنتصر ، وكان وزيره أحمد بن الخصيب ، ولكن الموالي الترك صرفوه عن الوزارة ونفوه . فالأبيات الأولي يمدح فيها المستعين في العطاء ، ويأتي تاليا يشير إلى قربى الممدوح من الرسول ﷺ . واستعار لذوي قرابته النجوم الزَّهر . ثم يلتفت إلى هجاء الوزير أحمد بن الخطيب ويصفه بأنه الكذب والزيف الباطل ، وذهب إلى أبعد من ذلك باتهام الوزير بأنه مكر بالخليفة ، وانه دخل في الفساد ، وأرد الأذية لغيره فوقع فيها ، وأعز الدنيا وأرضاها فاستحق غضب الله فأذله .فالهجاء تحقير لنفسه وإذلاله .

هجا بني الفصيص وأبا فهم داود بن إبراهيم : [1]

لَعَمْـرُكَ ما أَبـو فَهـمٍ لفَهـمٍ صَـحيحاً فـي الـوَلاءِ ولا صَـميماً
مَتَى دُعِيَ الكِرامُ إلـى المَساعي تَقـاعَسَ دُونَهـا ابـن ابْرَهيـمـا
ويَقْعُـدُ بابْنِ تُوما بَيْـتُ سَـوْءٍ مـنَ الأَنْبـاطِ يَعْجَـزُ أَنْ يَقُـوما
إِذا البسْـمِينُ دَخَّـنَ فـي لِحـاهُمُ رَأيتَ رَكـاكةً مِنْـها ولُـوما

هجا بني الفُصَيْص وأبا فهم بن داود بن إبراهيم ، وبنو فُصيص أصلهم من يهود يثرب ، وأبو فهم هو داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي وهو المهجو ،فقد جاءت السخرية فوصفهم ليسو من العرب ، ويتهمهم بالتزوير وضعف الرأي وأن أباهم مخنث.

قال في هجاء أحمد بن أبي العلاء المغنِّي : [2]

مُغَنِّيكَ للبُغْضِ فيـهِ سِـمَهْ تَلُـوحُ علـى خِلْقَـةٍ مُبْهَمَـهْ

([1]) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، ج٢ ، ص ١٠٦٨

([2])المصدر نفسه ج٢ ، ص ١٠٧٠

تَزيدُ الإهـــانةُ في شَـأنـــهِ صَـــلاحاً وتُفْسِـــدُهُ التَّكْرُمـــة
يُـــرَعِّشُ لَحْيَتْـــهِ عنـــدَ الغِنـــاءِ كـــأَنَّ بـــهِ النَّـــافِضَ المؤلِمـــة
كأَنَّالكَشُـــوتَ علـــى شَـــوْكِهِ تَعَقُّـــفُ لِحْيَتِـــهِ المُجْرِمَـــــةْ

هجا احمد بن أبي العلاء المغنِّي في عصر المتوكل فجاء الهجاء في صورة صريحة لا تليق بالمهجو إلا المهانة وانه كثير الحركات عشوائي التلفت والهمهمة ، سيء الخلق ، قبيح المنظر.

كذلك هجا قوماً من أهل نصيبين من كتاب إسحاق بن أيُّوب كان متواليا أعمال ديار ربيعة ومركزها نصيبين وهي مدينة شامية على تخوم تركية اليوم يهجوإسحاق بصفات الخسة والحاجة والفقر والبخل وكذلك أنه سحابة كاذبة جهام لا مطر فيها[1]

تَبًّا لِلَحْـمِكَ أيُّـهـا اللَّحّـَامُ ولِخبْزِكَ الوَتِحِ الذي تَسْـتامُ
باكَرْتَ خَلَتَنا ورأسُـكَ أَشْيَبٌ ولَوَيْتَ حاجَتَنا وأَنتْ غُـلامُ
في كلِّ حالَيْكَ اكْتَسَبْتَ مَذَمَّـةً لا ثَرْوَةٌ حُمِدَتْ ولا إِعْـدامُ
قد كانَ واجِبُنا عَلَيـْكَ مَبَـرَّةً إِنْ لَمْ تُيسِّرْ تُحْـفَةٌ فَسَـلامُ

في هذه القصيدة هجا البحتري صاحب بريد ديار مُضَر، نهشل صاحب بريد الرقة إذ يقول [2]

الآنَ أَيْقَنْـــتُ أَنَّ الـــرِّزْقَ أَقْـــسـامُ لمَّا تَقَلَّدَ أمْرَ البُرْدِ حَـجَّـــامُ
صانَ القوارِيرَ خَوْفَ العَزْلِ في سَفَطٍ فيه مَشارِطُ لا تُحْصَي وأَجْـلامُ
حَتَـــى إذا خَفَّ بالجُـــلاَّسِ مَجْلِـسُهُ ودارَ فيهِ لَهُمْ نَقْـضٌ وإِبـــرامُ
نادَي بسَوْسَنَ أَنْ هـاتِ الأَداةَ فَـــما قَلَّبْتُها لاتِّصالِ الشُّغْلِ مُذْ عـامُ

قال أيضاً[3]

كُلُّ أَخْلاقِ عَليٍّ نَجْتَويها ونذُمُّهْ

([1])د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ج٢ ، ص ١٠٨١

([2]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٠٨٧

([3]) المصدر نفسه ، ج٢، ص ١٠٩٣

هُوَ قِرْدٌ حينَ يَبْدُو غَيْرَ أَنَّا لا نَكُمُّهْ

مُقْلَتاهُ وحَجاجــاه وشِدْقاهُ وخَطمُهْ

هذه الأبيات يهجو فيها علىَّ بن يحي المنِّجم ،وكان يشبه بالقرد ، وألزمه ذلك المتوكل وتعد من الهجاء المازح استدعت ضحك المتوكل وغضب المنجم .

قال هاجياً[1]

يا قبرَ يَحي ، لا عدمــتَ تحّـــيَةً مِـــن كلِّ ذاتِ تبسُّــم وتَرنُّــم
فيمَ المَرامُ لرأيِ صــاحبِ هــمــَّةٍ قَتَــلتْ بِها نُوبُ القَضاء المُبْرَمِ ؟
أوَ ما عَلمتَ بأنَّ من طلــبَ العُــلا بالسَّيفِ في يومِ الوَغى لم يَسْلمِ ؟
مازال يَعْثُرُ بالأَسِنِـــةِ والظُّـــبــا حَتّى انْثَنَي وأدِيمـــُهُ كالعَــظْلَمِ
ولقدْ رأَيْتُ البِــيضَ تأخُــذُ دِرْعَــهُ فَذَكَرْتُ عِرْضَ محمَّدِ بنِ الهَــيْثَمِ
غَرَضَ الأُيُورِ يَقولُ عِنْــدَ لِقائِهــا: "لَيْس الكَريمُ علَى القَنا بمُحــَرَّمِ"

المهجو بهذه الأبيات محمد بن هيثم الخراساني من أهل مرو ، وهو من ممدوحي أبي تمام، وحري بك أن تعلم أن من يطلب العلا بالسيف يتعرض للقتل ،وتناوشته الأسنة متعثراً حتى انكب على وجهه .فهو ضعيف أمام ملذاته .

قال في هجاء فضل بن عبد الكريم إذ يقول [2]

لم يَكُنْ بالكَريمِ فِعْلاً ولا البارعِ فَضْلاً فَضْلُ بنُ عبــد الكــريم
إنْ يُسافِرْ في صالِحٍ مِن فَعــالٍ غَلَطاً تَلْقَــهُ سَــريعَ القُـــدُومِ

فهنا المهجو أسمه فضل لكنه ليس ذا فضل ولا كرم ، وإن هو قصد فعل الخير تراجع عن قصده فجاء الهجاء صريح بأساليب التحقير والذلة وغيرها .

قال في هجاء البحبحانّي المغني:[3]

رأَيْتُ البَحْبَحــانيَّ اسْتَقــَلَّتْ رَكــائبُهُ بِحِرْمــانٍ عَظــيمِ
إذا رامَ التَّخَــلُّقَ جــاذَبَتــْهُ خَلائقُهُ إلى الطَّبْــعِ القــَديمِ
بكــى آمــلَهُ لــمــَّا رآهــا عِياناً وهْيَ دارِسَــةُ الرُّسُومِ
وَتَرْتَالقوْمَ ثُمَّ ظَنَنَــتْ فــيهِم ظُنُوناً لَسْــتَ فِيها بالحــَكيمِ
وقُلْتُ : تَوَقَّ مُحتَمِلاً يُــورِّي عن الأَضْغانِ بالخُلُقِ الكَريمِ
فَما خُرْقُ السَّفيهِ وإنْ تَعَــدَّى بأَبْلَغَ فيكَ من حِقْــدِ الحَــليم

---

(1) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٢٩

(2) المصدر نفسه ، ص ١١٣٠

(3) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٤٤

الهجاء يقصد منه التحلي بالأخلاق المرموقة، والبعد عن سوء الظن بقومك ، وإزالة الأحقاد، ثم يقارن بين حمق السفيه والحليم ويقصد أن حمق الحليم أسوأ.

وأيضا تناولت سهام الهجاء بشر بن الفرج النصراني العكبري من البحر المتقارب إذ يقول:[1]

نُطالِبُ بِشْراً بسُقْيا المُدامِ وبِشْرٌ يُطالِبُـــنا بالثَّـمَنْ
أَمِن عادةٍ لكَ في بَيْـعِـها أَمِ البُخْلُ مِنْكَ طريقٌ قَمَـنْ؟
فإِنْ بعْتِناها فَنَكِّـبْ بِـنا عنِ البَخْسِ في بَيْعها والغَبَنْ
وأَوْفِ لنا الكَيْلَ حَتَّى نَعُدَّ قبيحك في بَيْعِناها حَـسَنْ
عَذيريَ مِنْ تاجِرٍ خـازِنٍ بَضائعَـهُ في أَصيصٍ ودَنْ
وبَعْضهُمُ في اختِيـاراتِهِ يُحِبُّ الدَّناءَةَ حُبَّ الوَطَـنْ

جاء الهجاء يوضح صفات بشر بالبخل والغش في البيع فالهجاءتحقيري غير أخلاقية .

هجا فضل بن عبدالكريم يوضح فيها ، إن إهانته يزيد من قدر النعمة ،وحرق قلبه بسبب سلب غلامه إذ يقول:[2]

يابنَ عَبْدِ الكَريمِ مِنْ أَزْيدِ الأَشـياءِ في قَدْرِ نِعْمةٍ أن تُهانا
لم يَزَلْ شُؤْمُكَ المُجَرَّبُ في الأَحْزابِ قِدْماً حَتَّى عَزَلْتَ أَخانا
قد رأيتَ احْتـراقَ قَـلبي لتُرْكـانَ فالإِّ تَرَكْتَ لي تُرْكـانـا

هجا أبوعبيدة الحلبي إذ يقول:[3]

لا تُجْزَيَنَّ أبَا عُبْـيـدَةَ صـالِحاً عَنْ طُولِ وقْفَتِنـا بِقِنِّـسْرينا
جُزْنا وما كانَ الجَوازُ هـوىً لنـا تعِبينَ مِنْ نَصَبِ السُّرَى لَغِبينا
وسَرَتْكِـلابُكَ بالنُّـباحِ كَأَنَّمـا يَطْلُبْنَ ثَـأراً قـدْ تَقـدَّمَ فينا
مُتَبَعِّـثـاتٌ بالنّـُبـاحِ وراءَنـا حَتَّى طَرَحنا زادَنـا فَرَضِينا

---

[1] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٦٠

[2] المصدر نفسه ، ص ١١٦٤

[3] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٦٤

فهنا الهجاء جاء في صورة توبيخ حيث أوقفه في تلك البلدة التي تدعى قنسرين وهي مشهورة تقع شرقي حلب اندثرت فطال فيها الانتظار وقد أعياهم التعب ،ورسم صورة الكلاب وهي تهاجمهم كأنها تطالبهم بثأر قديم فهي صورة تحقير وتقليل من الشأن .

هجا أبو مسعود الصابونيَّ إذ يقول: [1]

حُرِمْتُ النُّجْحَ حِرْماناً مُبينـــا ودافعَ ظالمي حيــناً فَحــينا
وأَصْبَحَ قَدْ تَعَرَّضَ دُونَ حَقِّي أَخَسُّ قُضاتِكم حَسَــباً ودينا
سيرْضي بالبَــنـــاتِ إذا رَآهُ حَصيفٌ كان يَطَّلِــبُ البنينا
أرَى مِئتي تَعَــذَّرَ مُبْتغــاها وكانَ الحَقُّ أَنْ أُعْطَي مِئينا
وعُظْمُ بَلِيَّــتي ألاَّ أَرَى لــي على مَكْــروهِ دافعِها مُعيــنا

الهجا جاء في صورة توبيخ وتبخيس مع عدم توفيقه بالنجاح ، وظلمه مراراً والذي قام بذلك أسوأُ القضاة حسباً ونسباً، كما أن المهجو وعده بالفلوس فلم يعطيه ، ومن سوء حظه أنه لم يجد من يسانده في مكروه .

مزج بين المدح والهجاء مثل، مدح أبو عيسى العلاء بن صاعد ، وهجا ابن البريدي إذ يقول [2]

ما جَوُّ خَبْتٍ وإِنْ نَأَتْ ظُعُنُـــهْ تارِكُنا أَو تَشُــوقَنا دمَنُـــهْ
ورُبَّ صابي نَفْسٍ إلى سكَـــنٍ يَسُومُ إتواءَ نَفْسِــهِ سكَـــنُهْ
تَصْنَعُ صَنْعَاؤُهُ لــهُ شَرفَــاً لم تَتَأَخَّر عن مِثْلِهِ عَـــدَنُــهُ
إِنْ هزَّهُ الــمادحُــونَ سامَحَهُمْ فَرْعٌ مِنَ النَّبْعِ طَيِّعٌ فَنــنُــهْ
أُذْكُرْ هـــدَاكَ الإلهُ أَغْثَــرَ لا يُغْسَلُ بالبَحْرَ طامِياً دَرَنُــهْ
إِبْنَ وَضيع مـــنَ اليَــهودِ إذا اسْتُنْطِقَلم يَرْتَفعْ بــهِ لَسَــنُهْ
وما رابَ رَأيٌ إلاَّ جَعَلْتُكَ مِيزاناً عَلَيهِ في الحَــزْمِ أَمْتَحِنُـــهْ

تناول في أبياته أنه تشوق إلى تلك الديار بعد رحيل أهلها التي تقع بين مكة والمدينة ، ويشد إلى ذلك الإستئأنس بالديار ،وممدوحه من أهل اليمن تفخر به صنعاء وعدن ،ومن ثم ينتقل

---

(1) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٦٦

(2) المصدر نفسه ، ص ١٢٠٣

إلى هجاء ابن البريدي ويصفه بأنه أغثر ، ولا ينقيه ماء البحر لكثرة وسخه ،ويقرعه بأصله اليهودي الوضيع .

هجا الحسن بن رجاء إذ يقول [1]

عَفَّى عَـلـيٌّ بنُ إِسْحـــاقٍ بِفَتْكَتِـهِ على غَرائبِ تِيهٍ كُنَّ في الحَسَـن
أَنْسَتْهُ تَفْقيعَهُ في اللَّفـظِ نازِلـةٌ لم تُبْقِ فيهِ سِوَى التَّسْـليم للـزَّمنِ
لمَّا رَتَيْتَ رَجاءً خِلْـتُأَنَّـكَ قـد ثَأَرْتَهُ بِبُكا القُمْريَّ فـي الفَـنَنِ
فَنِمْتَ عَنْهُ ولَمْ تَحْـفِـلْ بِمَصْـرعِهِ لا مَتَّعَ اللهُ تِلْكَ العَـيْنَ بالـوَسَنِ
حِرْصاً على إِرْثِ شَيْخٍ ظَلَّمضَـهَداً بالشَّام يكْبُو على العِرْنينِ والـذَّقَنِ

الحسن بن رجاء من موظفي الديوان في عهد المأمون ، واستمر على عمله في الدواوين ، وكان أبوه من موظفي الخراج ، فقتلهعلي بن إسحاق في دمشق .فالهجاء يتناول استلامه للأيام بعد أن أقعدته المصيبة ، وإنكباب أبوه على المال متحملاً في سبيل ذلك الإهانة.

كذلك نجده مزج بين الهجاء والرثاء ، مثل هجا علىَّ بن الأرمنَّي ، ويرثي المتوكل والفتح إذ يقول :[2]

أَمِنْ بَعْدِ وَجْدِ الفَـتْحِ بي وغرامِهِ ومَنْزِلَتي مِن جَعْفَرٍ ومَكـاني
أُكَلَّفُ مَدْحَ الأَرْمَنـيِّ عـلى الذي لَدَيْهِ مَن البَغْضاءِ والشنآنِ ؟
ومِنْ خُلُقٍ يَسْتَنْكفُ الكَلْبُ أَنْ يُرَى لهُ جارَ بَيْتٍ أَو رَضيع لِبان؟
نَديمَيَّ لا زالَ السَّحـابُ مُوكَّـلاً بِجُودِكُما بالسَّـحِّ والهَطـلانِ
فَلَوْ كانَ صَرْفُالدَّهْر حُرًّا عَـداكُما إِلىَّ وما ناصـاكُما وعَداني

الأبيات كلها تدور حول هجا علي بن الأرمني حيث وصف أخلاقه بالدنائه يأنف الكلب أن يكون جاره وهو تصوير مقذع وبذئ غير مهذب ،من ثم ينتقل الشاعر إلىرثاء المتوكل والفتح ويدعو لهما بالسقيا.

---

(1) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢٢٠

[2] المصدر نفسه ص ١٢٢٤

هجا دحمان بن نهيك إذ يقول :[1]

أمْرُرْ على حَلَبٍ ذاتِ البَساتينِ والمنْظَرِ السَّهْلِ والعَيْشِ الأَفانينِ
وقُلْ لِدُحْمانَ إنْ واجَهْتَ جَمَّتَهُ تَقُلْ لمُضْطَرِبَ الأَخْــلاقِ مَأفُونِ
أَمْسَكْتَ نَيْلَكَ إمساكَ القُــمُدِّ ولو أَعْطَيْتَلَمْ تُعْطِ غَيْرَ القُلِّ والــدُّون

من هذه الأبيات نجد أن الهجاء جاء في صورة ذم ،لقد وصف هذا الرجل بالبخل الشديد في العطاء ، ولو دُفع للعطاء يعطي أقل من القليل .

هجا ابن أكثم إذ يقول : [2]

ما فــي مُعاشَرَةِ ابنِ أَكْثَمَ ساعَـــةَ خَطَرٌ لِذي عَقلٍ ولا مَــجْنونِ
أعْــمَى لهُ بَصَرٌ يَعيبُ صَديــقَــهُ يأتي المَثالِبَ في خَفاً وسُكُونِ
يُبــْدي لنــا زِيَّ القُضاةِ وسَمْتَهــُمُ وأَجَلُّ طُعْمــتِه مِنَ التَّــقْــيينِ
كَمْ ثمَّ من وصْفٍ يَسُرُّكَ حاضِراً ومَعَ المَغيبِ فَليسَ بالمَأمُــونِ

هو يحي بن أكثم من أحفاد الحكيم أكثم بن وصفي ، قاض في عهد عدد من الخلفاء أولهم المأمون ،هجاه بصف الغدر والخيانة قد يسرك بكلامه في حضورك وإذا غبت لم تأمن غيبته.

قال في هجاء طماساً [3]

تُرَى لقَزْوِينَ عندَ اللهِ صــالِحَةٌ وقَدْ تَوَلَّى طِـــــماسٌ أَرْضَ قَــزْوِينِ
ما للنَّدامَى تَشَــكّــَوْا مِنْهُ أُبَّهَــةً فيها تَطاوُسُ عــاتي الجَهْــل مَجْنــونِ
لن يَحْمَدوكَ على خَلْقٍ ولا خُلُقٍ إذا رأَوْكَ بــــلا عَقْلٍــولا ديـــــنِ؟
بأَيَّ مُخْزِيَةٍ جَمَّشْتَ قَيْنَتَــهُــمْ ؟ أَبــاسْتِ مُسْتَحــلْــقَ أَمْ أَيْرعِنِّـــينِ؟

قال في هجاء إسرائيل الأعور الكاتب النَّصرائي ، وقد قوَّم له أراد بَيْعَهُ بأَقلَّ من ثمنه :[4]

أرَانا لا نَزالُ نُسامُ خَسْــفــاً بِرِجْسِ النَّفْسِ رِجْسَ الوالِدَيْنِ
مَتَى نَرْضَى ودَجَّالُ النَّصارَى يُقَوِّمُ ما يَراهُ بِفَــردِ عَيــنِ ؟

---

[1] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢٢٤

[2] المصدر نفسه ، ج ٢، ص ١٢٢٥

[3]المصدر نفسه ، ج٢، ص ١٢٢٧

[4] المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤

وأجْوَرُ خُطَّةٍ طاوُوسُ حُسْـــنٍ يُوَلَّى الحُكْمَ فيهِ غُرابُ بَيــْنِ

الهجاء لإسماعيل بأنه يقلل من شأن الأشياء وتحقيرها لأنه يرى بعين واحدة لذا يحدد ثمن الأشياء بالنصف .

قال في هجاء زحول الحلبي :[1]

قد مَرَرنْا بزَحْوَلٍ يَـــوْمَ دَجْـــنٍ فأَتانا بِعِـدْلِ فَـحْـــمٍ تُغَنِّي
خُنْفَساءٌ أَعْمَتْ منَ القُــبْحِ عَيْنــي وأَصَمَّتْ بِسَيِّءِ القَوْلِ أُذْنــي
لَسْتُ أدْري إذا أَشــارَتْ بِصَــوْتٍ أتُغَنِّى جَليــسَــهــا أمْ تُــزَنِّي

فالهجاء جاء في صورة ساخرة عندما قدم تلك المرأة السوداء التي تغني كأنها جوالق فحم وكذلك ذمها بكريهة رائحها ، هجاها بقبحها وقبح صوتها.

قال في هجاء بعض بني حُمَيْد إذ يقول [2]

بَني حُمَيْدٍ تَــولَّى العِــزُّ أَوَّلُكــمْ وصارَ آخِرُكُمْ للــذِّلِّ والهــوُنِ
أَبَتْ لَكُمْ أَنْ تَنالُوا فَضْلَ مَكْــرُمَةٍ لِحَي التُّيُوسِ وأَعْطافُ البَراذينِ
وفي أَبي جَعْفَرٍ مَرْأَى ومُسْتَــمَعٌ مِمَّنْ يُسَلْسَلُ في دَيــرِ المَجانينِ
جَزْلُ الرَّقــاعــةِ فَدْمٌ يَدَّعي أَدَبــاً ولَيْسَ يَفْرُقُ بينَ التِّيــنِ والطِّينِ
يُدْنيكَ نائلُهُ مِنْ غَيــرِ مــزْرِيــةٍ ونَيْلُهُ من وَراءِ الهِنْــدِ والصِّينِ

يتحسر الشاعر علي مضي عز آل حميد ويعدد مآثرهم ونهايتهم بالذل والهوان ويذم أبو جعفر بأنه واسع الحمق يتظاهر بالأدب في حين أنه لا يفرق بين التين والطين كما ذمه بالبخل في العطاء قال في هجاء مغنياً إذ يقول[3]

غِناؤُكَ يُورِثَكَ التّــزَنْــيَــهْ وشَتْماً وطَرْداً مِنَ الأَفْنــيــــهْ
وفَقْدكَ أَجْــدَرِ مِــنْ أنْ تُبَــرَّ وشَتْمُكَ أَوْلَى مِنَ التَّكْنِــيَــهْ
ويَــوْمُ وِلادكَ للتَّعْــزيــاتِ ويَوْمُ وَفــاتــكَ للتَّــهــنــيــهْ
إذا المــرْءُ فيكَ سَيِّــئــاً أثِيبَ على حُسْــنِ تِلــكَ النِّــيَهْ

([1]) المصدر نفسه ،ج ٢، ص ١٢٥١

([2]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢٦٤

[3] المصدر نفسه ،ص ١٢٧٨

يخبرنا الشاعر بهذا المغني بأن غناه يضر به ويؤدي به إلى الشتم والطرد من الساحات ،والموت أفضل من تعطي ،وشمتك صراحة أحسن من أن تنادي بأبي فلان ، وكان العزاء يوم ولادتك ،و ستكون وفاتك تهنئة لنا فالهجاء في غاية التحقير والحط بمكانة هذا المغني فهو غير أخلاقي .

هجا أبو المعمر الهيثم بن عبد الله بن المعمر إذ يقول : [1]

أَتَرى هَيْثَــماً يُطيقُ تَــرَضِّــى حاجِبٍ جامعٍ لنا حاجِبَيْهِ ؟
أمْتَرَى المَطْلَ مُبْقِياً لِي فَضــلاً مِنْ نَوالٍ أَنفَقْتُ مِنهُ عَلَيهِ ؟
لَسْتُ أَشكُو إِلاَّ شفيعي فَهَلْ لي مِنْ شَفيعٍ إِلى شَفيعي إِلَيْهِ ؟

يخاطب الشاعر هيثم بأنه يُرضي حاجباً مانعاً عابساً؟ أم أنَّ مماطلته فضلاً من سخاء كنت أنفقته عليه قبلاً ؟ فليس لي إلاَّ أن أشكو إلى شفيعي ، فهل يشفع لي شفيعي إليه ؟ فالهجاء في صورة استفهام وعطف .

في ديوانه أهاج مختلفة ترجع إلى حرمانه من جائزة ،وإما إلى كفران صنيعه عند بعض معاصريه ،وإما إلى منافسيه بينه وبين الشعراء وخاصته من كان قبله يتعرض لشعره بالذم والنقد اللاذع ،ويلاحظ أبو الفرج الأصبهاني في ترجمته أنبضاعته من هذا الفن قليلة ويُروى عن ابنه أبى الغوث إن السبب في ذلك أن أباه أحرق هجاءه في النار خوفا من مغبة عداوتهم له لأبنائه وكأن هذه الرواية لم تعجب أبا الفرج فقد عاد يؤكد أن أكثر هجائه ساقط غث الألفاظ ركيك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه.

الهجاءعند البحتري :

وأقل بضاعة البحتري في ديوانه الهجاء ،وهنا يختلف صاحب الأغاني عن المرزباني نقلا عن الأخفش عن أبى الغوث (ابن البحتري):أن الشاعر لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال له اجمع كل شيء قلته في الهجاء ، ففعل ،فأمره بإحراقه ثم قال له يا بني هذا شي قلته في وقت فشفيت به غيظي ،وكافات به قبيحا فُعل بي وقد انقضى أدبي في ذلك وان بقى روي وللناس أعقاب يورثهم العداوة والمودّة وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك ومعاشك لا فائدة لك فيه قال فعلت انه نصحني وأشغف على فأحرقته ويعقبّ على ذلك الأصفهاني بان أكثر هجائه ساقط ركيك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه ،ولا يعرف له

---

[1] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢٩٢

جيد إلاّ في قصيدتين إحداهما في أبى قماش والثانية في يعقوب بن الفرج " ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ،ولكن الذي تعلمه أن الشاعر ترك لنا شيئا من هجائه ، وما تركه يجوز لنا القول انه لم يكن فيه ميل ابن الرومي ودعبل وإضرابهما إلى الهجاء وروى ابن الرشيق قال :"هجا ابن الرومي والبحتري وابن الرومي من علمت فأهدى إليه البحتري تخت متاع وكيس دراهم ، وكتب إليه بيتين ليريه إن الهدية ليست تقيّه ولكن رأفة عليه وانه لم يحمله على ما فعل إلا الفقر والحسد المفرط .

أما المرزباني فينسب إلى البحتري سوء العهد وخبث الطريقة في الهجاء قال"وكثير من أهل الأدب ينكر خبث لسان على بن العباس الرومي ويضربون عن إضافة البحتري إليه وإلحاقه به مع إنسان ابن الرومي في إساءته وقصور البحتري عن مداه فيه ،وانه لم يبلغ في دقة معانيه وجودة ألفاظه وبدائع اختراعاته أعنى الهجاء خاصة "ثم يذكر قلة وفائه لأنه هجا نحو أربعين رئيسا ممن مدحهم منهم خليفتان .

في ديوانه أهاج مختلفة ترجع إما إلى حرمانه من جائزة إما إلى منافسة بينه وبين الشعراء وخاصة من كان يتعرض لشعره بالذم والنقد اللاذع .ويلاحظ[1] أبو فرج الأصبهاني في ترجمته أن بضاعته من هذا الفن قليلة ، ويُروى عن ابنه أبي الغوث إن السبب في ذلك أن أباه أحرق هجاءه في الناس خوفا من مغبة عداوتهم له ولأبنائه ومهما قلنا في مذهبه الهجائي فهو لاشك ضئيل في ديوانه ولا يمنع ذلك أن يكون الشاعر قد استعمل الهجاء لبعض مآربه من مقارعة شاعر أو الانتقام من كبير ،ولكن هذا الضرب من الشعر لم يشتهر به والذي وصل إلينا منه لا يدل على علو كعب الشاعر فيه.

---

[1] شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٢٩٣

الفصـــــل الثالث

الهجـــــاء عند الرومي

الفصل الثالث

الهجاء عند الرومي

نشأته وحياته :

هو واحد من أولئك الشعراء الذين ظفروا من الطبيعة الفنية بأوفى نصيب وقال ابن خلكان :صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص في المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه.[1]

ولد علىّ بن العباس بن جريح أو جرجيسمولى عبيد الله بن على في بغداد،صبيحة يوم الأربعاء في الثاني من رجب سنة إحدى وعشرين ومئتين للهجرة الموافق لسنة ستة وثلاثين وثمانمائة للميلاد٨٣٦ م ، وكان يُكنى "أبا الحسن " نشأ في بغداد وتأدب حتى شعر ونبغ ، ثم قضى حياته كأكثر الشعراء في انتجاع السراة والولاة.وقد توفي الشاعر في أواخر جمادى الأولى لسنة ثلاثة وثمانين ومئتان للهجرة الموافق لعام ستة وتسعين وثمانمائة للميلاد. و حمل الناس بلسانه على بره و تكرمته.

كان ابن الرومي شرها كما يظهر من غضون شعره . وله أشعار كثيرة في الطعام والشراب . وكان شديد الطِّيرة يغلو فيها ويحتج لها ويقول: إن النبي ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة ، وانه مر برجل وهو يحل ناقة له ويقول: (يا ملعونة) ، فقال لا يصحبنا ملعون . وان عليا رضي الله عنه كان لايغزو غزاة والقمر في العقرب .وكان يزعم أن الطيرة موجودة في الطباع ، وهي في بعضهم اظهر ، وان الأكثر في الناس إذا لقي ما يكرهه قال :على وجه من أصبحت اليوم ؟ قال على بن المسيب : دخل علينا ابن الرومي يوم مهرجان سنة ٢٧٨ وقد أهدي من الجواري القيان.فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لي من بعض السطوح ، وجفاه القاسم ابن عبيد الله فكتب إليه يقول[2] :

أيها المُحتفِي بِحُولٍ وعُورٍ أين كانت عنك الوجوه الحسان
قد لَعَمْرِي ركبتَ أمراً مهيناً ساءنا فيك أيها الخُلْصان
فتحك المِهرجانَ بالحُولِ والعُور أرانا ما أعقبَ المِهرجان

---

[1] تاريخ الأدب العربي ،لأحمد حسن الزيات ص ٢٠١

[2] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٦، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ص ٢٠٢

كان مــن ذاك فقــدُك ابنَتــك الحُــرْرَةَ مصـــبوغـــةً بهـــا الأَكـــفان

وتــجافــي مــؤمَّـــلٍ لــي خليـــلٍ لجَّمـــنه الجـــفاء والهجـــران

بلغمن تطير ابن الرومي أنه يقيم الأيام لا يخرج من داره إذا قرعت أذنه صبيحة اليوم كلمة سيئة .وله في ذلك أخبار غريبة مع الأخفش . وكان هذا الشاعر فاحش الهجاء شديد حتى خشيه الكبراء والوزراء. وكان أبو الحسن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد لا يفتأ حذرا منه خائفا من هجائه، ولا يكاد يصدق أنه يسلم من لسانه وكان هذا الوزير شريرا سفاكا للدماء.[١]

الهجاء وسيرة ابن الرومي في شعره:

كان في الناس من يعير ابن الرومي جنسيته، وينتقص لأجلها شاعريته كما يؤخذ من قوله[٢]

كـــم عائـــبٍ كـــلَّ شـــيءٍ وكـــلَّ مـــا فيـــــه عيـــب

قـــد تحســـن الـــرومُ شـــعراً مـــا أحسنتـــــه العُرَيـــب

يـــا منكـــر المجـــــدِفيهم ألـــيس مـــنهم صـــهيب؟

لكن هذه الجنسية كان لها الأثر الظاهر والفضل الكبير في نبوغه ، فإنه جمع إلى تعمق الآريين في الفكر ، تفوق الساميين في الخيال؛ وضم إلى دقة الروم في التصوير ، قوة العرب في التصوير ،فامتاز بتوليد المعنى واستقصائه حتى لا يترك فيه بقية لغيره . ومن ثم طالت قصائده من غير تكرير ولا سقط .وقلما رأينا شاعرا يسلم على الطول وتتساوى أجزاء قصيدته في الحسن والقوة . ولابن الرومي براعة نادرة في وصف الشيء وتشبيه ، وقدرة غريبة على العتاب والهجاء ،لما كان يمنى به من جفاء الأصدقاء ، وأعراض الكبراء ، لحدة طبعه وضيق خلقه .وهو في منزلة أبى تمام والبحتري ، وربما فضلهما أحيانا ؛لأنه قال في كل فنون الشعر المعروفة (وزاد عليها زيادة لو وزعت على عشرة شعراء لأحلتهم منازل الفحول).[٣]

---

[١] أحمد حسن الزيات مرجع سبق ذكره ص٢٠٢

[٢] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٢٠٧

[٣] د. شوقي ضيف ، تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ،ط ١٦ تاريخها ٢٠٠٤م ، ص ٢٩٦

ليس في شعره انه تركها كما فعل أبو تمام والمتنبئ :

نحن بنــو اليونــان قــوم لنــا حجــي جــد وعيــدان صــلاب المعــاجم[٤]

قوله في مواليه العباسيين :

مــــولاهم وغــــذِيٌّ نعمــــتهم والــرُّوم حــين تنصَّــنى أصــلْي[١]

أمه فارسية الأصل فكان يفتخر بأصوله من الروم والفرس ومن فخره بنسبه العريق في رأيه من قبل أبيه وأمه قوله :

كيــف أغــــضى علــى الدنيّــة والفرس خئولى والروم هــم أعمــامي[٢]

أما الشاعر، واسمه العباس ،فقد أعتنق الإسلام ، وعاش في كنف بني العباس ؛ لهذا لا نعجب إذا كان الشاعر نفسه مقيما على الولاء للعباسييّن ،ومتعصبا لآل البيت ، على الرغم من اعتناقه مذهب المعتزلة ،على ما ذهب إليه بعض المؤلفين ، وفي هذا الولاء يقول ابن الرومي :

قــومي بنــو العبــاس حلمُهــم حلمي ، كذاك وجهلهُــم جهلــي[٣]

لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنّ المثاليات التي كان الشاعــر يطمح إلي تحقيقها ، والواقع المؤسف الذي يحيط به الشاعر كان من أسباب الاضطراب النفسي والجسماني الذي ألم بشاعرنا ،فجعله غريب الأطوار والآراء والتصرفات !

وقد ذهب بعضهم إلي أن مزاج ابن الرومي وطبعه الغريبين يعودان إلي تأثُّره بالوراثة المزدوجة، بحيث كان موضع تجاذب بين نفسيَّتين ومزاجين :مزاج أبيه الدنيوي ، الواقعي النزوع ، ومزاج أمه الميَّالة إلي الزهد ، التي ترى اللذة الروحية في الخلوة الليلية، وهذا التجاذب غير المتكافئ قد ترك انعكاسا سيئا في شخصية ابن الرومي ،فإذا هو مادي

---

[٤] مرجع سبق ذكره ،ص ٢٩٦

[١] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ج٥ ، ص ١٤٥

[٢] د. شوقي ضيف ، تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ،ط ١٦ تاريخها ٢٠٠٤م ،ص ٢٩٦

[٣] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ج٥، ص ١٤٤

متطرف في ماديته من ناحية ،ومن ناحية ثانية ،متردد متهافت القوي ،لايقوي على نضال أو سعي .والواقع أن ابن الرومي[٤] صور هذا الحال بقوله:من البحر الطويل

أذاقتنـــي الأســـفارُ مـــا كـــرَّهَ الغِنـــــَي إلـــيَّ ، وأغرانـــي بِـــرَفْضِ المطـــالب[٥]

فأصْـــبَحْتُ فـــي الإثْـــرَاءِ أزْهَـــدَ زاهـــدٍ ، وإن كنت فـــي الإثـــراء أرغـــب راغـــب

حَريصـــاً جبَانـــا ،أشـــتهي ثُـــمَّ أنتهـــي بِلَحْظي جنـــاب الـــرزق لِحـــظَ المُراقِـــب

ومَـــن راحَ ذا حِـــرص ٍ وجُـــبْنٍ ، فإنـــه فـــقيرٌ أتاهُ الفَقرُ مـــن كـــُـــلِّ جانـــب

تنـــازَعنَي رَغْـــبٌ ورَهْـــبٌ كلاهُمـــا قـــويٌّ وأعيـــاني اطّـــلاعُ المغـــايبِ

يقول ابن الرومي إن مشقات السفر جعلتني اختصر حاجاتي، وأصبح أكثر الزاهدين بالمال بعد إن كان أكثر الراغبين فيه ، وبعد ذلك أصيب بالجبن ينظر إلى الرزق من بعيد ،ومن كان حريصا جبانا فانه أفقر الفقراء ،وفي البيت الأخير نازعه عاملان:الرغبة في المثوبة ، والخوف من العقاب عاجز عن معرفة ما قدر له في الغيب .

يقول الدكتور طه حسين "ونحن نعلم أنَّه كان سيء الحظ في حياته ، ولم يكن محببا إلى الناس ، وإنما كان مبغضا إليهم ، ولم يكن أمره مقصورا على سوء حظه ، من سوء طبيعته . فقد كان حاد المزاج ،مضطرب ، معتل الطبع ، ضعيف الأعصاب ، حاد الحس ّ جدا ،كاد يبلغ من ذلك ، الإسراف."هذه الحوادث جميعا تكشف لنا عن جانب مهم من ظروف حياة الشاعر: لقد عاش مستضعفا، شقيا، بائسا لا يلقى من دهره إلا الكوارث، فقدعائلته، وضاعت ثروته فأصبح متشائما.

وفضلا عن ذلك ،فان ابن الرومي يصف لنا نفسه في مواضع شتى من ديوانه ،فيبدو في صورة إنسان جميلا الوجه ،ذي بشرة بيضاء ،ولكن سرعان ماتبدلت وبهتلونها ، لان إقبال الشاعر على اللذائذ ،جعلت نور وجه يخبو ويشح بصره ،ويضعف سمعه ويتقوس ظهره،وكان ضئيلا نحيلا دميم الوجه تقتحمه العيون، وظل طوال حياته ينعى على نفسه

---

[٤]أنيس المقدسي مرجع سبق ذكره ص ٣٠٢

[٥] د. شوقي ضيف ، تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ،ط ١٦ تاريخها ٢٠٠٤م ج ١، ص٢٢٠

دقة جسمه وضآلته وقبحه وله في ذلك أشعار كثيرة يصرح فيها بدمامته وما أنضم إليه من صلعه وله مقطوعة يصور فيها صلعه وقبح وجهه ونراه يختمها بقوله:

عَزمِتُ على لُبسَ العُمْامَةِ حِيْلةٌ لتَسْتَر مَا جَرْتَ عَلي مِنْ الصلْعَ

يذكر شيبه قائلا[1]:

فَظْلَمُ اللْيَالِي أنَّهْنَ أشَبِنَني لعشرين يَحْدُوهنَ حَوْلَ مُجرمُ

يقول بأسلوب فيه الكثير من حسن التعليل[2]

شابَ رأسي ولآت حينَ مَشيب وعجيـــبُ الزمـــــــــــــان

قد يشيبُ الفتى وليس عجيــباً أن يُرى النورُ في القضيب الرطيب

كان ابن الرومي يهتز في مشيته مضطربا ، فكأنه المغربل يهز غرباله يقول[1]

إنَّ لي مشية ًأغربــِلُ فيهــا آمنا ًأن أُساقِط َالاســقــاطــا

اتصف الشاعر أيضا بمزاج عصبي، وبحس دقيق، ومن كان مزاجه وحسّه على هذه الشاكلة،كان إلى الغضب منه إلى الحلم أسرع، غير أن ابن الرومي سرعان ما كان يرضى، معبرا بذلك عن وجدان صاف، وقلب طيّب طهور،ولا يخفى بطبيعة الحال ،إن بعض الطرائف التي تروى عن الشاعر، لأن كل من كان غريب الأطوار في الناس ، تعرَّض لنسج الروايات الخيالية أو الواقعية المضخمة حول سيرة حياته.ويمتاز ابن الرومي عن غيره من الشعراء بخصائص جعلت منه فريداً في فنّه ، وطائراً يغرد خارج سربه.

هذه الخصائص تبرز في الأغراض الآتية :وهي وصف الطبيعة ، والهجاء ، عمل العقل والثقافة ، شعر الشخصية ، أي الذي يصور فيه ابن الرومي آراءه وخواطره في الحياة والموت والوطن والمرأة والأصدقاء ...

من هذه الأغراض نتناول الهجاء عنده ، إن عمق الإحساس وشدّة التأثر من أبرز خصائص الشاعر ، فإذا أضيف إلى ذلك مزاج كمزاج ابن الرومي أصبح صاحب هذا المزاج يجد القبح في كل مكان ، وفي كل كائن .

---

[1] ابن الرومي حياته من شعره، لعباس محمود العقاد ص ٦٨

[2]د. شوقي ضيف ، تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ،ط ١٦ تاريخها ٢٠٠٤م ج١، ص ١٢٥

[1]عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٨١

لقد كان ابن الرومي شديد النفور من القبح ،وكثير التأثر به ،وتقوم ميزة ابن الرومي في الهجاء على خصائص أبرزها : التصوير الهزلي ، وتضخيم العيب وتشويهه ، السخرية وتحقير المهجو في منزلته وقيمته ، إخراج عدّة صور للمهجو تتناوله في مختلف جوانبه ، ومثال ذلك قوله في وصف أحدب [٢]:

قصرت أخادعه وغار قذاله فكأنـــــه متـــــربّص أن يُصـــــفعا

وكأنّما صُفعت قــفــاهُ مرّةً وأحـــسَّ ثـــــــانيةً لهـــا فتجمّعـــا

فهو في البيت الأول صورة واقعية للأحدب في تركيبه الجسماني : أخادع قصير وقذال غائر .ثم قدّم له صورة ثانية هي صورة الحالة النفسيّة التي يكون فيها صاحب هذا الشكل عادةً وهي : " وكأنه متربص أن يصفعا" ونلاحظ ما في لفظة " تربّص" من عناصر الحذر والخوف . ثم قدم لنا الشاعر صورة ثالثة للأحدب تؤكد الصورة الثانية وتزيد عليها عنصر " التجمع ".

ومثال آخـــر : لرجل ابتلاه سوء حظّه بلسان ابن الرومي ، وهو أبو سليمان الذي كان مغنياً ومعلم صبيان يقول فيه :

أبو سليمان لا تُرضي طريقته لا في عنـــاءٍ ولا تعـــليـم صبـيـــان

له إذا جاوب الطنبور محتفلاً صوت بمصـــر وضـــرب فـــي خراســـان

عواء كلب على أوتار مندفــةٍ في قبح قـــــردٍ وفي اســتكبار هامـــان

وتحسب العين فكّيه إذا اختلفا عند التنـــغـــــــّم فكـــي بغـــل طـــحان

فالشاعر بعد أن وضع العنوان وهو أن أبا سليمان غير نافع في الغناء وفي التعليم ، بدأ بالتفصيل فتناول أولاً جهل أبي سليمان بأصول التلحين والملاءمة بين العزف والغناء ؛ ثم وصف صوت أبي سليمان وعزفه وشكله وأخلاقه ،وإذا في البيت صورة جمعت من عناصر القبح ما لا يمكن تخيّله .وكأن ابن الرومي قد شعر بأنه لم يوف بعد أبا سليمان حقَّه فإذا به يتتبعه وهو يغنّي حتى يقف عند حركة فكّيه فيرى فيهما فكّي بغل طحان . ولا يخفى ما في هذه التفصيلة من إمعان في التشويه .

مثال أيضاً لابن الرومي :

تخاله أبـــداً من قبح منظره مجاذباً وتـــــــراً أو بالعا حجرا

---

[٢]المصدر نفسه ، ص ١٢

كأنه ضفدع في لجّــةٍ هــرمٌ إذا شدا نغماً أو كرَّر النظـــــــــرا

فصور ابن الرومي المغني في ثلاث صور : صورة لجهد هذا المغّني وانتفاخ أوداجه كأنه يجاذب وتراً صعباً ، وصورة لاختناق صوته كأنه بالع حجراً ضخماً ، وصورة ثالثة لصوته ونظراته وهو يغني كأنه ضفدع هرم ينقّ في الماء نقيقه الخشن المبحوح ،والصورة الأخيرة فيها تشويه للقبح : فالضفدع قبيح أصلاً ، إلاَّ ابن الرومي يزيد على هذا القبح عنصري الهرم والماء.لا بدَّ من الإشارة إلى أن ابن الرومي قد أقذع وبالغ في هجائه وأفحش في كثير من أشعاره وأتى بالهاجرات التي يحمّر لها وجه الأدب خجلاً .

قال في هجاء عبد القوي :[1]

قل لعبد القويِّ أنت قويٌّ فاتَّقِ اللهَ وَيْكَ في الضعفاءِ
نحن جُمٌّ ، وأنت أقرَنُ ، واللهُ حَسيبُ القرْناء لَلجمّاء
لو علمتَ الخفيَ من كلّ علمٍ جامعاً بينه وبين البِغاء
أعجب الناسَ ما وَعَيْتَ وقالوا: عسلٌ طيبٌ خبيثُ الوِعاء

عبد القوي : هو أبو سويد ، عبد القوي بن أبي العتاهية ، هجاه ابن الرومي في أكثر من مقطوعة . الجمَّ : جمع أجم وهو الكبش بلا قرن ،والأقرن من التيوس : ما له قرنان . وقول والله حسيب القرناء للجمّاء : أي أن الله ينتقم من ذات القرون لما لا قرون لها .

قال في هجاء إسماعيل بن بلبل [2]

إنَّ ابن بلبلَ نخلةٌ لانت لصقرٍ من وراءِ
ذاك الذي نسخ الإجارة بالوزارة للقضاءِ
ملك الرَّجالَ بعزَّةٍ مِلْكَ الرجال الأقوياءِ
ولَطَالَ ما ملك الرجال بذلةٍ مثل النساءِ
أضحتْ سعادتُه له رهنا مليا بالشقاءِ
عبد الندى ،ملكُ الحجابِ تراه جبار اللقاءِ
يهوى سفالاً في الحضيضِ وأنفهُ فوقَ السماءِ

شبه إسماعيل بن بلبل بالنخلة التي لانت للصقر ، كما وصف أن المُلك دائما للرجل القوي ، وليس للرجل الذليل الذي فيه صفات النساء ، وسعادته مليئة بالشقاء فهو عبد للندى جبار نذل سافل .

قال في هجاء بني طاهر:[3]

دَعَتْنِي إلى فَضلِ معروفِكُمْ وجوهٌ مناظرُها مُعْجِبةْ
فأخلفتُمُ ما تَوسّمْتُه وقلَّ حميدٌ على تَجْرِبَةْ

([1]) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٨٢

[2]عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ج ١ ،ص ١١٣

[3] المصدر نفسه ، ص ١٣٨

وكم لُمْعةٍ خلتـُهـــا روضـــةً فالـفـيـتـُها دِمنـةً مُعـْشبـــــــة
ظَلَمتكُمُ : لا تطيـــــبُ الفـروعُ إلا وأَعْـــراقُـهـــا طـيـبـــــــة
وكنت حســبت ، فلمــا حسَـبتُ عَفَـــى الحســـابُ علـــى المَحْسِـــبة

إن الذي دعاني وشجعني لطلب معروفكم ونيل عطاياكم إعجابي بمناظر وجوكم .توسمته : تعرّفته وتبّينته وتفرّسته . وقوله قلَّ حميد على تجربة : أي ندر من تحمده وتشكره بعد تجربتك له وتبيان حقيقته .

قال في هجاء البخلاء :[1]

إذا غمر المالُ البخيلَ وجَدْتَهُ يَزيدُ به يُبساً وإن ظُـنَّ يَرْطُبُ
وليس عجيباً ذاك منهُ فإنـــهُ إذا غمر الماءُ الحجارةَ تَصلبُ

يرطب : يندي وهي خلاف اليبس. تصلب : تشتد صلابتها وتزيد . ومعنى البيتين : إذا كثر مال البخيل يزيد بخلاً مثله مثل الحجارة المغمورة في الماء ، فإنه يزيدها صلابة وقساوة .

نجده في بعض الأبيات يعاتب ثم يهجو :[2]

عجبتُ لقـوم يقبـــلون مـــدائحي ويأبوْن تثويبي ، وفـــي ذاك مَعـــْجبُ
أشِعْرِيَ سَفسافٌ فـــلمْ يَجْتـــبونه ؟ وإن لا تـكن هـاتي فَلَـمْ لا أُثـوَّبُ ؟
حلفت بمن لو شاء سـدَّ مفـاقِـــري بـما ليَ فيه عـن ذوي اللؤمِ مَرْغَـبُ
فَمَا آفتي شعرٌ إليهـــم مُبَغـّـــَضٌ ولكنـــه منـــعٌ إليهـــم محبـــب
وأعجبُ منهم معشرٌ لـيس فـيهـــمُ بشعري ، ولا شيءٍ من الشعر مُعجـب
بَراذينُ ، ألهاها قـديماً شعـيـــرُها عن الشِّعر ،تستوفي القضـيـمَ وتُركَب
من اللائي لا تنفكّ تجري سواكنـــاً بفرســـانها تِلقـــاءَ نـــارٍ تَلهَّـب
تقومُ بـفـرسان ٍ تَحـركُ تحتـهـا أفانين ، فالركبان لا الظهرُ _ تـتـعب

يأبون تثويبي: يرفضون مكافأتي . سفساف:غث وقوله لم يجتنبونه : أي لماذا يختارونه . أثوب : أكافأ .سد مفاقري : أعانني على ما ألقيه من عوز .وأراد بالمفارق : الفقر.

([1]) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ج١ ، ص ١٤١

([2]) المصدر نفسه ج١ ، ص ١٤٧

مأخذهم عليَّ ليس في أنهم يكرهون شعري وإنما في حبهم البخل ومنع العطاء ، إنهم أناس لا يعجبهم شعري ولا شعر غيري وهذا معجب .برذان : جمع براذن وهو نوع من الدواب يتخلل بياضه سواد ، عظيم الخلقة غليظ الأعضاء .شبه القوم بالدواب المشغولة بالشعير لا بالشعر تأكل الكلأ وتجتره ثم تركب . تجري سواكن : أي تتحرك وهي ثابتة .إن هؤلاء القوم من البراذين التي تحاول الجري بركابها فلا تستطيع إزاء نار تلتهب .شبه المهجوّين بأغصان شجرة ثابتة ، فالأغصان تتحرك وتتعب والشجرة راسخة لا تتعب

وقال يعاتب ويهجو : [1]

ليس عــن شــرّكم ولا عــن أذاكُــمْ مُسْــتمازٌ ولا ذَرَّي للجَــنـــــوبِ
قلَّ مِــن خيــركم نصْــيبي ، ولكــنْ أنا من شَــرّكم كثيــرُ النصــيب
إن تباعــدت نــالني مــن بــعيـــدٍ أو تقرَّبتُ نالني مـــــن قريــب

مستماز : منعزل . الذرى : المرتفعات . طالما أن الريح الجنوبية تحمل شركم وأذاكم فلا مهرب منهما . أصابني شركم وأذاكم .

قال في هجاء عيسى:[2]

أكلتُ رغيفاً عند عيســى فملَّنــي وكان كهمِّــي مــن محــبٍّ مقــرَّبِ
رآني قليل الخوف مــن لحظاتــه وذلك مــن شــأني لــهُ غيــرُ مُعجــب
يُريدُ أكيــلاً رُزْؤُهُ مـــن طعامه كرزءِ كتــابٍ مــن تــراب مُتــرب
إذا لَحِظْتهُ عينُــهُ عنــد مَضْــغِةِ طوى الأُنس طــيَّ الخــائف المترقــب
يُحبُّ الخميصَ البطن من أكلائــه يُضحي ويُمسي بطنُــه بطــنَ مُقــرب
وما أُنسُ ذي أُنسٍ لعيسي بمؤنسٍ و لا وَقْعُ أضــراسِ الأكيــل بمُطــرب
تــزَوَّدْ إذا آكلتَــهُ فهــي أكلــةٌ ومـــا أختُهـــا إلا كعنقـــاءِمُغْرب

ملني : ضجر مني وسئم مني . لحظاته : نظراته .الأكيل : الذي يشاركه الأكل . ورزأ الرجل طعامه: أصاب منه شيئاً . يريد عيسى من هذه الأبيات أن من يشاركه الأكل أن ينال من أكله شيئاً قليلاً جداً ، شأنه شأن الكتاب الذي يترب بالتراب فيلحقه بعضه. وما

---

[1] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ١٥٤

[2] المصدر نفسه ، ص ١٥٤

يريده عيسى من الأكيل أن يتوقف عن الأكل مخافة ضرره عند كل نظرة إليه . وكذلك شبه عجز البيت الخامس أن بطن عيسى ممتلئاً بالطعام كبطن الحبلى التي قربت ولادتها . كما يفسر لنا البيت السادس الأنيس لا معنى من أنسه عند عيسى ، كما أن الأكل عنده لا يشعر بلذةٍ في أكله . عنقاء : مغرب اسم لطائر لم يوجد يضرب مثلاً عند ندرة الشيء ويقصد من هذا البيت إذا تيسر لك وأكلت عند عيسى فأكثر من الأكل حتى تشبع فهي أكلة العمر لن تعود أبداً.

مدح أبا العباس بن ثوابة وهجا الكوكبي:[1]

أنَّـــي هجـــوتَ بنـــي ثوابَـــةْ يـــا صـــاحبَ العـــينِ المُصـــابةْ
أهـــلَ الســـماحةِ والرجاحـــة والأصالـــــــة اللَـــبـــــاب
القـائلـيـــــن الـفـــــاعلين أُولـــي الريـــــاسة والنـــقابـــــة
ولـــــه نعـــــاجٌ لا يـــــزال مُـخـلـَّيـــــا فيـهـــــا ذئابـــهٍ

ابن ثوابة : هو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة كاتب نصراني الأصل . كتب للمعتضد ، وكان من الثقلاء البغضاء وله كتاب مدون مستهجن مستثقل ، وأيضاً له كتاب رسائل مجموع ، ورسالة في الكتابة والخط .توفي سنة ٢٧٧هـ . والكواكبي هو أبو على الحسين بن القاسم بن جعفر الكاتب صاحب الأخبار والحكايات المتوفى ٣٢٧هـ .

مدح دُريرة وهجا نزهة :[2]

دُريرةُ تَجْلُبُ الطَّربا ونزهةُ تجلُبُ الكُرَبا
تغني هذه فيظْـلـلُ عنك الحزنُ قد عَزَبا
وتعوى هذه فتُطيـلُ منك الحزنَ والوَصبا
أقول لجامعٍ لهـمـا : لقد أحضرتنا عجـبا
أتجمعُ بين مُختـلفِيْن ذا صعداً وذا صَبـبا

هجا أبو جعفر : [3]

أبا جعفر واصفحْ عن الفاء إنها تزيدك في جَعْرٍ من الأفِّ جانبا
رأيتـك للفعل الجميل مُجـانـبـا فآليـــت لا ألقـاك إلا مجانبـا

([1])عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ١٥٥

([2]) المصدر نفسه ، ص ١٧٦

([3]) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤

قال هجائياً : [1]

إن كنتَ من جهلِ حقّي غير معتذرٍ وكنتَ من ردِّ مدحي غيرَ متّئبِ
فأعطــني ثمن الطِّرسِ الذي كُتبتْ فيه القصيــدةُ أو كفــّارةَ الكذِب

كذلك قال هجائياً :[2]

مُجَــرَّبٌ أنـــــهُ إذا نــَســـَبُ عـــفَّى علـــى اســـمٍ فإنـــهُ لَقَــبُ
يدعو به الســاخرون صاحَبــــهُ ومـــا لهـــم فـــي دعـــائـــــهِ أرَبُ
أُفْطُنْ لداعيهِ كيــف يَنْــسـبـــهُ فـــي مـــوطنٍ لـــيس حقَّـــهُ النّسَــبُ
هُزءاً وسُخراً بما تتحــلَّ والنــاسُ إذا مـــــا تهكّـــــمُوا قـلـــــــبوا

قال هاجياً :[3]

هبُوا أبـــا يــوسفٍ هجاني فالشـــاعرُ العـــالم الأديـــبُ
ولا بنِ بورانَ وجهُ عــذرٍ لانـــه مُـطـــــرِبٌ مُصـــيبُ
وخالدٌ فهو قحْــطــبيٌ مثلهـمـــــا هـــاهَ أو قريـــبُ
ورَّاقُ ساباطَ لِمْ هجــاني ؟ عُثنونُـــهُ فـــي اســـتهِ خضـــيبُ

قال هاجياً : [4]

لهف نفــسي على رَصـــاصٍ مُـذاب وكَــرانيبَ في يـــدي صَبـــــــّابِ
وهِــزَبــــرٍ غَضــنـــفـــر في كتافٍ فاغرٍ فاهُ ، كـــالــحِ الأنـــيــابِ
فَيَصُـــــبُّ الصَّبــابُ في فيه بـــالكَرْ نيب مـــن ذلك العذاب المُـذابِ
قال ذاك الصبَّاب: قل لي أبا الحارث قــل لي يا حاطــمَ الأصـــــلابِ
وننناديه نحـــــنُ كيــف أبــو الحارث أم كيـــفَ صـــبـــرُهُ للـــعــذابِ ؟

([1])عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٢٦٣
([2]) المصدر نفسه ص ، ٢٩٩
([3])المصدر نفسه ، ص ٣١٢
([4]) المصدر نفسه ج١، ص ٣٢٧

قال في هجاء أبو أيوب :[1]

ماكـنـتَ بخس الجـزاء بمشيـةٍ إلا كنـيـَّك ، يـا أبـا أيـوب
وأراك أيضـاً مثـلَهُ في جـودهِ للراكبين بظـهـره المـركـوب
أصبحت كالجمل الـذي لا يرُتجـى لجـزاءِ عارفـةٍ ولا تـثـويـب
ما أنت الأحيـاء بـالحيّ الـذي يُطـرى ، ولا بالميـت المنـدوب

قال يحذر من التعرّض هجائه : [2]

ألم تر أننـي قـبل الأَهـاجي أُقـدِّمُ فـي أوائـلها النسـيـبا ؟
لتخرق في المسامع ثـمّ يتلـو هجـائي مُحْرقـاً يكـوي القلوبـا
كصـاعقةٍ أتتْ في إثـر غيـثٍ وضِـحكُ البـيض تُتْبِعُـهُ نحيبـا
عجبت لمن تمَرَّسَ بي اغتـراراً أتـاح لنفسـهِ سهماً مصيباً
سَأُرْهِقُ من تَعَرَّضَ لي صعُوداً وأكوى مِـنْ ميـاسمَي الجنوبـا

قال في هجاء أبو القاسم الوزير المرَجَّي[3]

قل لأبي القاسم المُرَجَّـي : قابلَكَ الـدهرُ بالعـجائبْ
مات لك ابنٌ ، وكان زينـاً وعـاش ذو الـنقص والمثالِـبْ
حياةُ هذا كـمـوتِ هـذا فلستَ تخلو مـن المصـائبْ

قال في هجاء بني خاقان :[4]

أموركُم بنـي خاقـانَ عنـدي عُجابٌ في عجابٍ فـي عجـابِ
قرونٌ فـي رؤوس فـي وجـوهٍ صِلابٌ في صلابٍ فـي صـلابِ
هجـرتكُمُ وهجركُـمُ ورائـي صوابٌ في صوابٍ في صـوابِ

---

(1) المصدر نفسه ، ج١، ص ٣٣١
(2) المصدر نفسه ، ج١، ص ٣٨٠
(3) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ص ٤٠٩
(4) المصدر نفسه ، ج١ ص ٤١١

قال في هجاء أبا على بن قرَّة:[1]

قل للأميـــــر أدامَ اللهُ دولتـــَهُ وزادَهُ في علوّ القدرِ والصيتِ:

ماذا يقول امـــــرؤ الإلهُ لـــهُ : من اجتبيتَ لتجديد المواقيـــتِ ؟

من ذا نُقيمُ مواقيتَ الصلاة به حتى يقومَ على رغمِ الطواغيتِ

ماذا يكون جوابُ المرء حينئذٍ أعـــاذك الله من لـــؤم وتبكيـــت

([1]) المصدر نفسه ، ج١ ٤٤٠

قيل : إنه أول شعر قاله من بحر الرجز[1] :

أصـــلع يكنـــى بـــــــــــأبي الجلحـــت
حبلـــقٌ كـــالمـــــاعـــــز الكَـــــلْوَخْتِ
ذو هامـــــةٍ مثـــل الصَّـــفاة المـــرتِ
تعـــــــــرفُهُ الأنبـــــاط بالبَـــذْنَقـــــْت
أحســـــبَ حُسَّـــــاب بنـــــي نَوْبخـــــتِ

قال في هجاء البين[2]

إلفٌ لنا بارعُ الصفات غرابُ بينِ المُغنيَّـــاتِ[3]
مكدح شهـــرنـــــَا بكيٌّ مطفَّلٌ فائـــقُ الثـــبـــات
يا مسلمونَ انفروا جميعاً إليه أو انـــفـــــروا ثُبـــات
ووجهُ مظلومـــةٍ هـــــــواهُ وهمُّها في بني الفُرات

قالهاجياً :[4]

فقدتُكِ يا كنـــيـــزةُ كـــلَّ فقدٍ وذُقتِ الموت أولَ من يموتُ
فقد أوتيتِ رحبَ فـــمٍ وفرجٍ كأنكِ من كلا طَرْفَيـــك حُوتُ
ويابسةُ الأســـافلِ والأعـــالي كأنكِ في المجالس عَنكـــبوت
عظامٌ قد براها السّـــلُّ بـــرياً فمـــا فيها :لبعض الطير قوت
سأقترحُ السكوتَ عليك دهري فأحسنُ ما تُغنـــيـــنَ السكوت

قال أيضاً في هجاء إنساناً ضرط بحضرته، فضحك ابن الرومي ،وغضب الضارط:[5]

بُليتَ بفلتـــــةٍ فضـــحـــكـــتُ فَلـــتهْ فلا تغضبْ كلا الأمرين بَغْتَهْ
ولي فـــلٌ علـــيـــك لأن فعـــلـــي بغير أذىً عليك ، فلِمْ كرهَتهْ ؟

---

(1) المصدر نفسه ، ج١ ص ٤٤٢
(2) البين : هومحمد بن على . كان يتردد على مجالس عبيد الله بن طاهر .أشاد ابن الرومي بعلمه باللغة الشعر .
(3) المصدر نفسه ج١ ، ص ٤٤٤
(4)عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٤٤٧
(5) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٤٧

أتُسمِعُني الأذى وتشمَّنيهِ وتجشِمُنى رضَى ما قد فعلته
وتغضبُ أنْ ضحكتُ بغير عمدٍ ولم تسمعْ أذاي ولا شممته؟

قال أيضاهاجياً :[1]

تنْفَّس في وجهي فكدتُ أموتُ وأعرَضَ عنّي ساعةً فحييتُ
وأنَتني حتى ظننتُبأنني وحقِّكما يا صاحبيَّ خَريتُ
فإن لم أكن فتشتُ حقاً غُلالتي لأغسل عنها سَلْحها فعميت

قال أيضاً في هجاء لابن بشر المرثدي : [2]

نجا يونسُ في اللجَّة من حاوية الحوتِ
بتسبيحٍ له مُنجًّ وعتهُ أذنُ الحوتِ
فكم نوع من الآفات مصروفٍ عن الحوت
وحيتانِكُمُ نَسْلٌ أتى من ذلك الحُوتِ
وقد حُزنَ من التسبيح ميراثاً عن الحوت
فما إن يطمع الصَّيادُ في ذُرِّيةِ الحوت

قال في هجاء بني طاهر [3]

رُمْتُ نداكم يا بني طاهر فرمتُ مُخَّ الذَّرَّ في عُسْرَتِهْ
أمُلْتُ من رفد سُلَيْمانِكُمْ ما أمَّلَ المعتزُّ مِنْ نُصرَتِهْ

قال في هجاء إبراهيم بن المدبر: [4]

تبحثْتُ عن أخبارِه فكأنما نبشتُ صداهُ بعد مرِّ ثَلاثِ
تلقْتَني الأنباءُ عَنه شبيهةً نواشرَ أرواحٍ لهن خباثِ

قال في هجاء بعض من زعم أنه عنِّين :[5]

عاقبَ الله كلّ مَن قال : إني مُخَنّثُ

([1]) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٤٨
([2]) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٤٩
([3]) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٤٥٨
([4]) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٧٣
([5]) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٧٧

بمَبـيـتي مع أمّـهِ ليـلـــــةً لا تُثلـــــــَثُ
لو رأى ثم ويحـــَهُ أرضَـــها كيـــف تُحـــرَث
لَدري هـلْ مُـذكَّر فـــــــوقَها أم مـــــؤنث

قال في هجاء دُرَيْرَة جارية هواها:[1]

ويلكِ يـا قـــــدَّ البـَستـــُوجَه ما أنت والله بمغـْنـــُوجه
قد أفضِـــى الطيـــزْ إلـــى فَقْحَـــةٍ مفتوقة بـــالطعن مضـــروجهْ

قال في هجاء شَيْخاً بَتَّرِياً :[2]

يَا بَـــانِـــي الدَّرج الـــذي أولى به هـــــدمُ الـــدَّرَجْ
بئس البنا هـــي فـــي المســـا جد والديار فـــلا تَلـــجْ
لو أن قـــمـــل رؤوســـكـــم ذات القـــــرون إذا درج

قال هجاء أبا القاسم عبيد الله بن العباس :[3]

هب على رأســك العـــنا قيـــدَ والقـــارَ والسَّـــبَجْ
هب على رأســك الـــدُّجَى ثَبَـــجـــــاً فوقَـــه ثبـــج
جُمـــَّةً فـــوق جُـــمـــــَّة دَرَجـــاً خـــــــلفه دَرَجْ

قال في هجاء أخرى :[4]

لأنتِ شَيْنُ القيانِ يـــا غَنْجَـــهْ ذميمةُ القدِّ في الـــورى سَـــمْجَهْ
رأيت كل القيـــان تـــألفُني وأنـــت عنـــي أراك منعرجـــه
ثم تجـــودي لكـــل ملتمـــس بفـــقحة لا تـــزال مختلجـــة

قال في هجاء ابن أبي الجهم :[5]

لابن أبي الجَهْم وجه سُـــوءٍ مُقَبَّـــحٌ ظـــاهـــر قُبـــُوحُـــــهْ

([1])عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج٢ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ١٢
([2]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٥
([3]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦
([4]) المصدر نفسه ، ج ٢ ،ص ٣٤
([5]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦١

يعلوه بُغْـضٌ له شـديـــد علـــى قلـــوب الـــورى طُفُوحُـــه
بـــغـــض تـــراهُ ولا يـــراه ولم يُقَصـــــــرَّ بـــــه وُضُـــوحُه
لولا عَـــمـــَي نَاظِرَيْهِ عـــنه لَذابَ حتى يَخِـــــــفَّ رُوحُـــــــه

قال يخاطب قوماً لاموه على الهجاء:[1]

قِيلَ لِي :لمْ ذممْتَ كُلَّ البَرَايَا وهجَوْتَ الأنَامَ هَجْواً قَبِيحاً؟
قلت : هَبْ أَنَّني كذبْتُ عليهم فأروني من يستحقُّ المديحا؟

قال في هجاء بعض الشعراء، وهو البحتري :[2]

ما تَجْزَعُ الشَّاةُ إذا شُحِطَتْ من ألمِ الذَّبْحِ ولا السَّلْخِ
ولا من التَّفْصيلِ مَنْكُوسَةً ولا من الشَّيِّ ولا الطَّبْخ
لكنها تجزع من خَلَّةٍ تَقْدَحُ في الأحَشْاءِ بالمرْخِ
لشْفِقُ أنْ يُكْتَبَ في جلدها شِعْرُك يا ذا القَرْنِ والكَشْخِ

قال في هجاء سوار بن أبي شراعة :[3]

أرى العصفُورَ يعبثُ بالفِخَاخ وما لخِنَاقِهِ فيها مُرَاخِي
وقال الشعرَ يُغْرِب فيه حتى لِخيلَ من اليمامة أو أضاح
ولم تجنِ المسامع منه معنى وهل تُجْنَى الثمارُ من السِّبَاخِ؟

قال في هجاء ابن المدبِّر :[4]

ردَدْتَ عليَّ مدْحِي بعد مَطْلٍ وقد دنَّسْتَ ملبسَه الجديدا
وقلتَ : أمْدح به من شئتَ غيري ومن ذا يقبل المدْح الرَّديدا؟
ولا سيمَا وقد أعمَقْتَ فيه مخازيكَ اللواتي لنْ تَبيدا

قال في هجاء ثقيلا :[5]

رجل وجهه كضرع المردِّ حاش لله ، أو كسَحْر المُغِدِّ
جَدَلِيٌّ إذا تُنُوزعَ شِعْرٌ شاعرٌ حضرةَ الجدال الألَدِّ
مستجير من ذكر هذا بهذا ما لديه لسائلٍ من مَرَدِّ

([1])عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٢ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٩٦
([2]) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٩٧
([3]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٠٥
([4]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢٧
([5])المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٨٤

قال في هجاء أبا بكر الرقي:[1]

لأبي بـــكـــــر كـــلامٌ واحـــدٌ لا يتـــــعـــدى
ضـــرب الله علـــــيـــه دون لفظ الخلق حـــــدًّا
بعضه أشـــــركت بالله وأُعطِي الله عتهـــــــدْا

قال في هجاء بعض ولد ابن سيرين[2]

تُرَى ابن سيرينَ ما رأى حُلُمـــاً يبدُو له فيه غَيٌّ ما يَلدُ
فينَّـــقـــــي الله فـــي مشـــيئته فيختصي أو يَئيم أو يئد

قال في هجاء العميان :[3]

مجالسة العُمْي تُعْـدي العمـــى فلا تَشـــهدْن لهـــمُ مَشـــْهـــــدا
فإن أنت شـــاهْتهـــم مـــــــرةً فكن مِـــنْهُمُ الأبعـــد الأبعـــــدا
بحيـــث تفـــــوت إشـــارتهـــــم وإلا فانـــك منـــــــهم غـــــدا
لأن إشـــارتـــــــهم لا تـــــزال قد نفضت نحـــو عَـــيْنٍ يـــــدا

قال في هجاء حَمّـــالا :[4]

رأيتُ حمَّالاً مُبـــينَ العمـــى يعثـــر بـــالأكْم ، وفـــي الوَهْـــدِ
مُحتَمِلاً ثِقْلاً على رأْســـــه تضعُفُ عنـــه قُـــــوةُ الجـــــلْدِ
بين جِمَـــالات وأشباهِهـــــا من بشَر نـــامُوا عـــن المجـــــدْ

قال في هجاء بعض الكتَّاب:[5]

عَيْبُك الصُّلْعَ ليس مما يُغَـــبِّـــــي حُبَّكَ الصُّلعَ من أيـــور العبـــيـــــدِ
قد نَزفْتُ المنيَّ واستُكَ غَرْثـــــي كُلَّ وقت تقول : هـــل مـــن مزيـــدِ؟
طال تجديدُكَ القواليـــب لآســـت غيـــرِ محتاجـــــة إلـــى تجديـــــدِ
صَبرُها للأُيـــور يوهمنيـــهـــــا خُلقتُ مـــن حجـــارة أو حـــديـــــدِ

---

[1] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٨٨
[2] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٩٣
[3] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٠١
[4] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢١٤
[5] المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢٢٣

قال في هجاء القاسم :[1]

وصـــديقٍ أجـبتـــــهُ إذ دعـــاني نحو معروفــه فلــم ألــق رُشْــدا
لم يَدَعْ لي عــز القَنــوع ولا جــاد برفـــدٍ يَعُـــدُّهُ النـــاس رِفـــدا
جاد ثم التوى فلا أنـــا بالرَّاضـــي ولا المشــتكي فاشْفَـــي وجــدا
هاض حريتي ، وأوثــق بــالمنْزُور مـــن نيلـــه لســـانِيَ عَـــقْدا

قال فيهجاء خالدا القحطبي :[2]

لعــن الله خـــالـــداً بادئـــاً ثـــم عائـــدا
ألأمَ اللائمـــين نفْســـاً وأمّـــاً ووالـــــدا
رجـــلٌ لا يـــرى ألا هاً سوى الأيْــر واحــد

هجا أيضا أبا حفصٍ الوراق:[3]

قالوا : هجاك أبو حفصٍ ، فقلت لهــم استبطأتْ هامةُ الصَّفْعان عادتها
فأبلــغــوها ســلامي لأعدمتـــــكم واستنظروها سأعطيــها إرادتَها
لولا النــبــيــذ وأشغالٌ شُغلتُ بهـــا إذن لما أغفلــتْ كفِّي عيادتهــا

هجا والده :[4]

لو كان مثلك في زمان مُحمَّد ما جاء في القرآن برّ الوالدِ

هجا المبرد :[5]

ودَّ المبــردُ أنّ الــله بــدَّلــهُ من كلّ جارحــةٍ في جســمهِ دُبُــرا
فأعطِهِ يا إله الــناس مُنْــيتهُ ولا تُبقِّ له سمعــاً ولا بصـــــرا
لكي يُقضَّيَ أوطــاراً مُذمَّــةً من كل عَرْدٍ ترى في رأسه عُجــرا
بل لو يكون له ضِعفاً جوارحِهِ من الفِقاح لما قضّى بهــا وطـــرا
هيهاتَ ثمّ غليلٌ لا شفــاءَ لهُ أو يُجْعَل الكلُّ منــه فَقــْحةً وحِــرا

---

[1] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٢ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ص ٢٢٥
[2] المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩٣
[3] المصدر نفسه ،ج٢ ، ص ٢٩٣
[4] المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٠٥
[5] المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٠

هجا جاراً له وكان قد بنى درجة لمسجد يشرف منها على منزله إذا رقى الناس إلى عُلْو المسجد :[1]

يا باني الدَّرجِ الذي أولَى به ... لو كان يعقل هَدْمُها من دارِهِ!
لا تبنينَّ بنيةً قوَّادةً ... تُزْني بناتِ أبي البنات بجارِهِ
لم يَبنها إلا امرؤ متعصبٌ ... للكَشْخ يعجبته ارتفاع شنارِهِ
لكنهُ رجلٌ يبرِّجُ عِرْسَهُ ... وبناتِه ليزدْنَ فتي أنصارِهِ

هجا أبا حفص الوراق :[2]

زُوِّج شيخ لنا عجوزاً ... تُزَهي بطسَت لها وتَوْر
تُنزِّه الطرف في ذُراها ... فلا ترى ثَم غير ثور
قد بارها الدهرُ كلَّ بور ... وبارت الدهرَ كل بور
دارت تعاويذُها قديما ... في الحَزْن والسهل كلَّ دور

هجا عمرا :[3]

لا يغْضَبَنّ لعمرو من له خطرٌ ... فليس يرضى بضيمي من له خَطَرُ
لا سيما ولقولي فيه منزلةٌ ... من سيد مثّلاهُ الشمس والقمر
أيعجب الناس أن أضحكتُ سيدهم ... خليفةَ الله يُستسقى به المطر
سخرتُ فيك هجائي بعد ما ذَئِرتْ ... منك القوافي ، وقِدْماً عيفت القذَر

قال في هجا عبيد الله بن العباس الملقب بحجر الرجل: [4]

لم تكن مثل نعمة الله في العباس ... تنجو من آفة التكديرِ
كدر الدهرُ صفوفاً بعبيد الله ... وجهِ الحمار والخنزيرِ
غير أنا نرجو لراحتنا منه ... سريعاً لطف اللطيف الخبيرِ
يسرح الطرف من أخيه ومنهُ ... بين قرد وبين بدر منيرِ

([1])عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٣ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٣٢
([2]) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٠٦
([3])المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١١٠
([4]) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٣

لك وجــه كــأنه حــيــن يــبدو مستعارٌ مــن منكــر ونكــيــــــرِ

هجا نفسه ومدح القاسم : [1]

جزى الله عني قبح وجهي سعادةً كما قــد جــزاهُ ، والألــه قــديرُ
ذَعَرْتُ به قوماً فــأدَّوْا إتــــاوةً كــأني علــيهم عنــد ذاك أميــر
فدى نفسَهُ من قُبْحِ وجْهِي سَيّــــدٌ وزير ، أبــوه سِّــيــــدٌ ووزيــر
فلا يَقْطَعنَّ الرزقَ عنّــيَ قاســمٌ فليس له منّــي ســـواه خفـــير
لرَؤيُتهُ عندي أجــل مــن الــذي يَحُلُّ به مــن مُلـــكه ويسيـــرُ
وإلاّ فما لي حــاجةٌ في نــوالــه وإني إلــى مــا دونـــَه لفَقـــير

قال في هجاء العزيز:[2]

قلْ لِعمّــَار بن عــمــار أَلا تُعظِـــمُ قـــــــدري
بحِرِ أخْتِكَ وحِرِ والــدَتك لا تعْبَـــــثْ بشـــــعْري
وأذِقْني فــرجَ الزَّوْجـــة مُنـــــقاداً لأمـــــــري
وتــذكَّرْ حــين تنســى حـــر عمتـــك وأيـــرى
حِــرُ خالتــك للجيــران لكـــن لســـتَ تـــدري

قال يهجو على بن عيسى: [3]

أيامكمْ يا بني الجراح قد جَرَحَتْ كُلَّ القلوب ففيها منـــــكُمُ ثارُ
ما منــكُمُ رجلٌ تَمَّتْ رياســتُــهُ إلا مَشُومٌ عظيمُ الكِبرْ جَبَّارُ
لا قَــدَّس الله بالاقبــال دولتَكــُمْ فانَّ إقبـــالكمْ للــناس إدبــار

قال يهجو الناشئ : [4]

يُرجف القــرد بـــأني زائل العـــقل موســوَسْ
حاولَ القــردُ لعَمْــري عكْسَ أمــرٍ لــيس يُعْكَــسْ
أتـــراه يتظنّـــَى أن عــينَ الشــمسِ تُطـــمس ؟

([1])عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٣ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ١٨٣
([2]) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢١١
([3]) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٢١٢
([4]) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٢٨١

قال يهجو صاعداً وابنه أبا عيسي ،ويرثي داليته فيهما :[1]

راع قلبي مشيبُ رأس خليسِ راع جهلي والكَيْس بالتكيسِ
حالكٌغيَّرته جُونٌ وعِيسٌ فهو لونان بين جون وعيسِ
والليالي وناسِخاتُ الليي تُوشكُ القَدْحَ في الصحيح المليسِ
تركت آل مَخْلدٍ سخطةُ الله كطَسْم بحقّهم وجَديس
هل ترى رائياً لهم من خيال ؟ هل ترى سامعاً لهم من حَسيس؟

قال يهجو رجلاً عاب مشيه :[2]

أيعيبُ مشي جاهلٌ لو أنه يمشي لأصبحَ ضُحكةً في الناسِ
بل رُجمةً لهُمُ سماجة منظرٍ بل رحمةً لتتابع الأنفاس
لو رُمتها لنثرتَ فَرْتَكَ دُونَها من ضيق صدرٍ واتساع مَفاسي

قال يهجو كنيزة :[3]

كَنَز الله في كنيزةَ نتناً خالص النوع ليس ما يُغشُّ
بخَرُ يصدع الصُفا ، وخُشامٌ وصُنانٌ ، فإنّما هي حَشٌّ
ثمّ من أقبح البريّة طُراً زفَّها عاجلاً إلى القبرِ نَعش

قال يهجو إبراهيم البيهقي المؤدب ،كان شاعر عبيد الله بن عبد الله :[4]

لا ترجُ يا بيهقيُّ إفْراشي لن يَقبلَ الموتُ رشوةَ الراشي
أضرمْتَني ثم حِلتَ تُطفئني هلاّ تضرعتَ قبل إكماشي
يا هارباً والصباحُ فاضِحهُ هلاّ ترحّلْتَ تحت إغباشي
لم تَتْرك البغي يا حُذَيْفَتَهُ حتى أظلتّك خيلُ قِرواش

قال يهجو رجلاً : [5]

ضيِّقُ الصدر بخيلٌ ضيَّق الله معاشهْ

([1]) المصدر نفسه، ج٣ ص ٢٩٥
[2] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٣ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٣١٤
[3] المصدر نفسه ، ج٣ ص ٣٣٠
[4] المصدر نفسه ، ج٣ ص ٣٣٨
[5] المصدر نفسه ، ج٣ ص ٣٤٥

وكساه الخوفَ والذلْـه وابـــتـــــزَّ ريـاشَـــهْ

قال يهجو نفطويه :[1]

هَجَرتنـــي ظُلمـــاً لتحـــميلِ واشٍ وأطـــالتْ بهـجـــرِها إيحـاشي
هيَّجتْ لي ضـــدين : مـــاءً ونـــاراً دمع عينـــي يَهْمـــي ولوعـــةَ جاشـــي
ما أرادَ الـــوشـــاة منـــّي أراني الله بالسُّقم والضنـــــى كـــلَّ واشـــي
نفّروا من هَويتُـــه ربمـــا أبصـــرهُ نحـــو خلَّتـــــي ذا انـــحيـــــاش

هجا ابن فراس [2]

نظرتُ إلي الرغيفِ فردّ رُوحِي لدي حجرٍ يرُضُّ ولا يُرَضُّ
فتًى ما زالَ ينهـــضُ للمخازي وليس له إلى العَلياءِ نهْـضُ
سجيَّتُهُ طِـــوالَ الدهـــر قبـــضٌ وكلُّ سجيَّةٍ بســـطٌ وقـــبضُ

هجا ابن الخنساء صاحب الطائي :[3]

نُبئِّتُ أن ابن خنـــــساء قـــد تـــنـــــاولَ عِـــــرضي
وقد رأى الناسُ جِـــدي فـــــي الحادثـــــات ونَهْضِـــــي
وقال قـــومٌ : عَهِـــدْناكَ لا تُـــــــــرامُ فتُغضـــــــــي
فقلتُ : وترى إيّـــــاه قـــد تقـــــدّمَ نقـــضـــــي

قال أخبث ما جاء في الهجاء :[4]

آيستُ من دهري ومن أهله فليس فيـــهم أحـــدٌ يـــُرضيَ
إن رُمتُ مدحاً لم أجدْ أهله أورمتُ هجوا لم أجد عِرضا

هجا خالدا القحطبي [5]

أعقب القربَ من حبيبك شـــحطُ ولأيدي الخطـــوبِ قـــبضٌ وبســـــطُ
خانكَ الدهرُ أسوةَ الناسِ ، كـــلا بل وفي ، إنّ مـــا تـــرى منـــهُ شـــرط
شرطَ الدهرُ فجْـــعَ كـــل مُحـــبٍ وهو فظٌّ على المحبِّـــيـــــــن سـلُط

---

[1] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٣٤٥
[2] ، المصدر نفسه، ج٣ ، ص ٤٩
[3] المصدر نفسه، ج٤ ص٥٠
[4] المصدر نفسه ، ج٤ ص ٦٣
[5] المصدر نفسه ، ج٤ ص ٧٤

هجا الورد:[1]

وقائلٍ لمْ هجوتَ الوردَ معتمداً؟ فقلتُ :من بُغضِهِ عندي ومن سِخطِهْ
يا مادح الورد لا ينفكُّعن غَلطِهْ ألستَ تُبصرهُ في كفِّ مُلتقطِهِ
كأنه سُرمُ بغلٍ حين يُخرجُه عند الرياث وباقي الروث في وسطِهِ

قال في المجون يهجو مُدركاً:[2]

قلت لخودٍ ضفْتُها مرةً من أهل بيت الشرف الأرفع
وقد بدت ساقٌ لها خدلة كأنما تمشي على خروع
يتبعها ردفٌ لها راجح ينوخ فيها أكثرُ الإصبع
يا ربةَ المنزل هل عندكم من مَطْعم للزُّبِّ أو مطمع؟

قال يهجو مغنية : [3]

بتُّ وباتَ الصبيانُ في أرقٍ من بحةٍ لم تزل تُفزِّعُنا
يبكون من خوفها ويُسهرني بكاؤهم ، فالبلاء يَجْمَعنا
نحتال للنوم كي يواتينَا بكل شيء وليس ينفعنا
لا حفظ الله تلك مُسْمِعةً ما يكره السامعون تُسْمعنا

هجا أبو حفص : [4]

لا تحسب الشيخَ أبا حَفْصلٍ يعيش من أقلامه الصُّلَّع
لكنْ من الله ومن زوجه تستدخلُ الأصلع في المخدع
ليستْ بذي بأسٍ ولكنها قوَّامةُ الليل على الأَربع
من كسبها عاش أبو حفصلٍ وطال من عاش مع الجوَّع

قال يهجو شنطف : [5]

وجهك يا شنطفُ هولُ المُطَّلَعْ

---

(1) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٩٣
(2) المصدر نفسه ، ج٤ ص ١٣٥
(3) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ١٨٤
(4) المصدر نفسه ، ج٤ ص ١٨٦
(5) المصدر نفسه ، ج٤ ص ١٨٧

يـــــــــــأخذني منـــــه انتـــــــفاض وفـــــزْع
ويطلـــــــــــع النـــحس بـــــــــــــــه إذا طلـــعْ
يا ويـــــــــــــح أثـــــــــــوابك لو قـــد تُنْتَـــزع
لنـــــــــــــُزعتْ عـــــــن بـــرص وعـــن لمُـــع

وقال يهجو ابن معدان : من الرمل [١]

يا تناهٍ والتّـــَـــناهي انقـــــطـــاعُ كنْ كما ســـمَّاك مـــولى لَكـــاعُ
كـــنْ لدنـــيـــاهُ انقـــطاعاً وشيـــكاً وانقلاعاً ليـــــس فيـــه انخـــداع
وانصداعاً ليـــــس فيـــــه التئـــامٌ وافتـــراقـــاً ليـــس فيه اجتمـــاعُ
خنه ما اعطاكَ معطي العطـــــايا مثلما خـــان الســـحابَ انقشـــاع

وقال في كبير اللحية :من السريع [٢]

ولحـــــية يحـــملهـــــا مائـــــق مثل الشـــراعيـــن إذا أشـــرعا
تـــقـــوده الريح بهـــا صاغـــــراً قوداً عنيفـــاً يُتعـــب الأخـــداعا
فإن عـــدا والـــريح فـــي وجهـــه لم ينبعث في وجهـــه إصـــبعا
لو غاص في البحر بهـــا غوصـــةً صاد بها حيتانـــــَه أجمعـــــا

وقال يهجو أبا إسحاق البيهقي من البحر البسيط :[٣]

قالوا هجاكَ أبو المزَّاق ،قلتُ لهـــــم : ولمْ هجاني ؟ فقـــالوا : للـــــذي بَلَغَـــهْ
أَنْهي إليه نصـــيـــحٌ غيرُ متَّـــــهتـــــمٍ أنْ قد تركتُ مَغيضَي عِرســـه رَدَغـــهْ
فقلتُ :ما ناك مثلي مـــــثل زوجتـــــه لكن إخـــال عـــدواً كـــــاشحا نزغـــه
ومـــا أراه علـــى حـــالٍ تعـــفُّ لـــه أنثى ، ولو حَمُقتْ حتى تكـــون دُغَـــه

وقال في عمر النصراني من البحر مجزوء المنسرح :[٤]

شهدتُ بعض المخانيـــث والطـــــــريفُ طريـــــفُ

---

[١] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ص ١٨٨
[٢] المصدر نفسه ، ج٤ ص ١٩٢
[٣] المصدر نفسه ، ج٤ ص ١٩٥
[٤] المصدر نفسه ، ج٤ ص ٢٦١

فقام من جنْبِ عمـــرو وللشِّـقـــــيِّ حفيـــفُ
فقلت : أنَّي ، ولِم قُمـتْ خائفاً يـا سخيـــــفُ؟
فـقال : لا تلحيـنـّـي فـأنفُ عمـــرو مُخيـفُ

وقال يهجو أهل الزمان من البحر الكامل: [1]

قل للَّذين مدحتُـهـــم فكأنمـــا مُسِـخوا كلابـاً غيـر ذاتِ خَـلاق
رُدُّوا عليّ صحائفاً سـوَّدتُـها فـيكم بـلا حتـقٍّ ولا استحقـاق
ما كان مثلي مادحاً أمثـالَكـم لـولا اتهـامي ضامـن الأرزاقِ
أسخطتُ خلاَّق البرية فيـكـمُ فبلغتـمُ مني رِضـى الخـلاَّق
أغرقتُ في نَزعي لكـم ولربمـا حُرِم الرُّمـاةُ الصيـدَ بـالإغراق

وله من المدح والهجاء من البحر الطويل : [2]

أبا جعفر هل أنـت قـابـلُ شاعـرٍ كذوبٍ يـُريد الانقـياد إلى الصـدق
مضت حقـبـةٌ وهو الخبـيـث مآكلاً يحاول طيب الرزق من مطلب الـرزق
وقد كان ممـن يشـهـدُ الـزور مـرةٌ بأنـزرَ مـنـزورٍ ومـا ذاك بـالطلق
ويعرض علق الصدر من حُرِّ شعـره على القـوم لا يـدرون ما قيمة العلـق
أحلَّ حرامَ المدح فـي غـيـر أهلـه فجوزي حرماناً فلـم يـؤتَ من حـذق
وليس له من توبة غـيـرُ مـدحه ذكياً كريم الفـرع مـثـلك والعـرق
فـأعتقه مـن رق المذلـة إنـه على ثقةٍ في نفـسـه منك بالعتـق

وقال يهجو إسماعيل بن بلبل :[3]

سائل أبا الصـقر إذا جئتـه عن أمِّـه ذاتِ البسـاتيق
وضرْبِها الكامخَ في طيزهـا بين دنـانٍ ودواريـق
قاد أبا الصقـر إلى مـا أرى من فعلـه قائـدُ توفيـق
يا عجباً ليـس لأنْ ردَّنـي من بعد إيماضٍ وتبريـق

---

[1] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج٤ ص ص ٢٦٨
[2] المصدر نفسه ج٤ ص ٣٣٤
[3] المصدر نفسه ج٤ ، ص ٣٣٤

وقال يهجو ابن عمار : [1]

ومعاشر بصقــوا على ما قلــتــــُه لم أرضَ أوجههم مَمجَّ بصاقي
فبصقتُ في الأحراحِ من نســوانهم وطعنتهـــــن بأيمــا مــرزاق
ومججتُ في أرحامهن مجــاجـــــةً أوجدتـــــهُن لها ألــذَّ مذاق
وكذاك أجزي كل مُنفــق بصقـــــةٍ في غير موضعها من الإنفــاق

وهجا صاحب لحية : [2]

ومائقٍ فوق صدره هَنــةٌ جازتْ بشبرٍ مشكّ منطقتِهْ
إذا أراد الكرى توسَّدهــا فقد كفتــْه مــكانَ مَرْفــقته
علامةُ الفسق طولُ لحيته وآية الفحلِ طول شقشــقتة

وقال يهجو خالد القحطبي كما هجاه في حرف الدال والسين : [3]

أخالدُ : قد أصبحت قيَّم نسوةٍ كَملْنَ خلاعل السؤ مثلَ كمالِكا
لعينيكَ ما يفعلْنَ غيــرَ مُكاتَم وما ذاك إلا مــن هَون سِبالكا
نساءٌ إذا ما أظهــر اللهُ آيــةً تحاذرُ منها الصالحاتُ المهالكا
رفعنَ لمُرتادِ الزنا أرجُلَ الزنا عُروضاً ويدي الداعياتِ هُنالكا

وهجا أبخر من البحر المجتث : [4]

سمَّاك خُرءا بخلا شـــــكَّ شيخٌ معــفلْ
لأن في الخُرء نفعاًللنخلِ والخلِّ يؤكـــل
وأنت ما فيك نَفــــْعٌولا للنــفــعٍ تُؤمّــلْ
فلسْت خُرْءًا بخــلٍّ لكن صديدٌ بحنـــظل
وإنّ هذين عنــدي في الخَلْقِ منك لأمثل
وللمنافِع إن عُــدْدَتِ المنــافـــعُ أخْيــلَ

---

[1] المصدر نفسه ، ج٤ ص ٣٣٧
[2] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج٤ ص ، ص ٣٣٨
[3] المصدر نفسه ، ج٥ ص ٧٨
[4] المصدر نفسه ، ج٤ ص ١٣٦

وقال يهجو بني ثوابة من البحر المتقارب :[1]جاء الأبيات متناولة صفات الهجاء الساخرة، ممثلة في الكذب والفجور وأن زواجهم من النساء فاسد مشبهاً ذلك بفساد الماء الذي تغيرت رائحته، وهذه الأبيات تدل على ذلك .

بناتِ ثوابةَ ما في الأنامِ أخْلقُ منكم ولا أثقلُ
جمعتُم لشِقْوتكم أُبنةً إلى ثِقلٍ ماله مَحْملُ
ثُقلتُم فلو كنتُم تُنكَحون باتت نساؤكم تُطحَلُ
ولكن خُلقتم بلطفِ اللطيفِ لأن تحمِلوا لا لأن تُحمَلوا
وكانَ البِغاء دواءَ الثقيلِ كيما يكونَ هو الأسفلُ
ألم تروا الأرضَ إذ ثُقّلتْ كتثقيلكم خُلقتْ تجملُ

هجا ابن فِراس من البحر المتقارب :[2]

بخيلٌ يُصَوِّمُ أضْيافَهُ ويَبْخَلُ عنهمْ بأجرِ الصيامِ
يدُسَّ الغلامَ فيوليهمُ جفاءً فيُشْتَمُ مَوْلى الغُلام
فهم مُفْطِرونَ ولا يُطعَمونَ وهم صائمون وهم في أثام
فيحتال بُخلاً لأن يُفْطِروا على رَفَثِ القولِ دون الطعام
لقد جاء باللؤمِ من فصهِ وتمَّ له البُخلُ كُلَّ التمامِ

وقال يهجو رجلاً عاب أكله :[3]

كم جارعٍ جُرعَ المكاره عالماً أنَّ المكارهَ يكتسين مَكارما
يا صاحباً رضي النذالةَ صاحباً وغدا يُعِدَّ مؤاكليه أراقما
قد كان للجودِ المُبَيَّن حاتمٌ وأراك للبخل المُبين حاتما

وقال يهجو أبا سويد بن أبي العتاهية [4]

أيُّها القائلُ بالجسْمِ لأنَّ الأيرَ جِسمُ
أتَّقِ الله ففي قوْلِكَ عُدوانٌ وإثم

---

(1) المصدر نفسه ، ج٥ ص ١٥١
(2) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ج٦ ص ١١
(3) المصدر نفسه ، ج٦ ص ٧٥
(4) المصدر نفسه ، ج٦ ص ١٣٦

أهـويـــتَ الأيـــر حتَّـــى قلـــت : إنَّ الله جِـــرمُ؟
ضـــلَّ حِلْـــمٌ لـــك أضـــحى يعبُـــدُ الأيـــر وعلـــم

وهجا ثقيلا : من البحر الخفيف [1]

كـــان للأرض مـــرةً ثِقـــلانِ فلها اليـومَ ثـــالثٌ بـفُلانِ
أتَّقِي غصـــةَ اسمـــه علـمَ الله فأكنِي عـن ذكـره بالمعـــاني
يا ثـقيـلَ الثِّقالِ أقـذيتَ عَيْنـي ليتَ أنِّي كما أراك تـــراني
من يكـن عانيـاً بحُـبِّ حبيـب ففؤادي ببغضك الـدهر عـاني

وهجا أبا حفص الوراق من البحر البسيط :[2]

قالوا : هجاك أبوحفصٍ ، فقلتُ لهـــم: أخي وخلِّي ونَدماني وصَعفـاني
عِرضي له الدهرَ يهجـوني وأصْفـعهُ وإن أبي زدتُه أعـراض إخواني

وهجا أبا حسان الزيادي ،من البحر السريع:[3]

إبليس إن كنتَ مـن المُنْظـرينْ وكُنتَ لا تهـلكُ فـي الهـالكينْ
هذا أبـــو حسانَ سيفُ الـردى كَلِّمهْ إن كنـــت من الصادقين
والله لـــو راجعـــْته لفظـــةٍ ما رِمْت أو يقطع منك الـوتين

وهجا ابن بوران من المتقارب:[4]

وشيخ يبيتُ غـــلامٌ لـه يُنعِّمـــهُ بنعـيمٍ مُهيـــنْ
يقلقل أحشاءه بـــاركا بعرد طويل غلـيظ متـين
ويشفي غليلَ استِه بـالمَنيِّ ورُب شِـفاء بمـاءٍ مَهـين

وقال يهجو مغنية :[5]

مغنيـةٌ حقـاً بإسقـاطِ نقطـةٍ إذا ما شَـدَتْ ظلَّتْ وأشداقُـها تُلْوَي
لها نكهةٌ تحكي بها إنْ تَكلـَّمتْ فأهدتْ إلى المُشْتِّم من رِيحهـا الفَسْـوَي

---

(1) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٢١٥
(2) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج٤ ص ، ص ٣٢٥
(3) المصدر نفسه ج ٦ ص ٣٢٦
(4) المصدر نفسه ج ٦ ص ٣٢٦
(5) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٣٤٦

إذا شهدت للقوم في اللّهو مَعْرَساً غدا مأتماً يمحو بـأحـزانه اللـّهوي
وإنَّ امرأً يقوى على لَثْـم ثَغْرِها على الضغط والتعذيب في قبـره يَقْـوَى
جَفَتْ هامةٌ منها ودُقِّـق سـاقُها فـما صلحت إلا لِبَنْجـَقِـها مَـلْوي

وهجا ابن أبي العتاهية :[1]

إنَّ عبـدَ القوي عبـدٌ قويٌّ في استهِ يأخذ الكتابَ بفوهْ
أشبَهُ العالمينَ في أخذه الكُتْبَ بيحي النـبّـِي حاشا النُّبوه
يكرُه الصـومَ والصلاةَ جميعاً ويرى الكفرَ والبـغاءَ مُروَّه

(1) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٣٤٧

ويبدو أن العقاد قد صنع عن ابن الرومي أفضل الدراسات التي كتبت عن شعره ، وخاصة عن سيرته الشخصية ، وفي ذلك يقول الدكتور طه حسين [1] :

" وأما العقاد فكتب عنه كتابا من أحسن ما كتب عن ابن الرومي إلى الآن، وإن كان الأستاذ عني بالشاعر أكثر مما عني بالشعر، فشخصية ابن الرومي من أحسن الشخصيات الإنسانية التي يجب أن تدرس ، فالباحثون يجب أن يعنوا بابن الرومي، ولا أقول في الأدب وحده، بل في الأدب والفلسفة وعلم النفس.فالأستاذ العقاد، في كتابه على عنايته بالشاعر قد أحسن إلى ابن الرومي ، وإلى الأدباء المعاصرين إحسانا لا حدَّ له " على سبيل ما أعطى من الشعر ،ففي أدبه لمحات إنسانية تهم علم النفس وعلم الفلسفة،على ضوء هذا المزاج الغريب الذي كانت تنبع منه تصرفات ابن الرومي الشخصية ، وعطاؤه الفكري في آن واحد

توفى والده وهو في مطلع حياته أتجه إلى التعليم فألتحق ببعض الكتاتيب التي كانت تهتم بتحفيظ القران الكريم وتلقين الناشئة النحو وبعض الأشعار والخطب وشيئا من الحساب ونال حظه من هذا كله ثم اتجه إلى حلقات العلماء في المساجد فكان يستمع إلى بعض المحدّثين والفقهاء ورواة التاريخ والأخبار وقد كثرت دراسة الآداب والعلوم والشعر وعاش في هذا العصر جهابذة من الشعراء والنابهين كابي تمام والبحتري والحسن بن الضحاك وعلى بن الجهم ودعبل الخزاعي وابن المعتز وابن الرومي وأوشك أن يكون كل متعلم متأدب شاعرا ينظم الأبيات والمقاطع في بعض أغراضه فمثلا الخلفاء كانوا ينظموا للغزل والغناء والأمراء والوزراء يتطارحون الأشعار ويحفظون منها الشيء الكثير ولهذا قال ابن الرومي في محمد بن عبدالله بن طاهر، أراد (وضح)أن ملوك هذا الزمن أدباء وشعراء لا يكرمون الشعراء المادحين بدافع من الغيرة ، وأن هؤلاء الملوك يلومون الشاعر إذا أساء المديح ويعيبون شعره .

لأنه كان يشعر بالمنافسة ولا يشعر بالعطف من جانب هؤلاء الزملاء وربما نظموا في أوزان الشعر الفارسية كالدوبيت والرباعية وتفننوا في التسميط والتو شيح والازدواج على نحو ماراه من كلف بعض الشعراء المعاصرين باختراع الأوزان و الأعاريض.

---

[1] " من حديث النثر والشعر " للدكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ص ١٥٠

ويذكر معاصرو ابن الرومي انه كان ضيق الصدر سريع التغير والانقلاب واثر ذلكانه كالمتوجس المذعور إذا رأوه، كأنما أصابه شيء من الاختلال ولعل ذلك هو الذي أعده لا يصبح اكبر شاعر متطير في عصره ،وتفتحت موهبته الشعرية مبكرة وهو لازال حدثا في الكتاب إذ تروى له أبيات في هجاء غلام عباسي يسمى جعفر كان زميلا له وكان ذلك إرهاصا بان الهجاء سيغلب عليه طوال حياته .

أصبح الشعر يتخذ حرفة يكتسب بها وعرضه على كبار الموظفين ورجال الدولة وفى مقدمتهم أبو العباس محمد بن الطاهر حاكم بغداد منذ سنة ٢٣٧ فاخذ ينقد بعض أشعاره ابن الرومي يوجه إليه مثل قوله[١]

مـــدحت أبـــا العبـــاس أطلـــب رفـــده فخيبني من رفده وهجـــا شـــعري

ويبدو أنه كان بخيلا، وان بخله هو السبب الحقيقي في انصرافه عن الشاعر متعللابأنه لا يعجب بشعره مما جعل ابن الرومي يصب عليه سياطا حاميه من الهجاء، وهو يعمم فلا يقف بهجائه له وحده بل يعم به أسرة الطاهرين جميعا من مثل قوله[٢]

إذا حسنت أخلاق قوم فبسئما خلفتم به أسلافـــــكم آل طاهـــر

جنوا لكم أن تمدحوا وجنيتم لموتا كم أن يشتموا في المقابـــــر

ثم يتجه إلى سامراء حاضرة الخلافة ومجمع كبراء رجال الدولة ووزرائها العظام ويمدح أحمد بن الخصيب وزيره إلا انه وجد الباب أمامه مغلق، ونهض يحى بن عمر العلوي بثورة عارمة في الكوفة ضد الدولة وأخذ يجند جيش كثيف لحرب العباسيين ويلتقي به محمد ابن عبد الله بن طاهر لسنة ٢٥٠ ويقتل في ساحة المعركة ويغضب له ابن الرومي غضبا شديدا ويرثيه بجيمية طويلة يندبه فيها ندبا حارا مصورا حرقة حزنه عليه، ولا يبكيه وحده بل بكى العلويين منذ شهدهم الحسين المقتول في كربلاء، وعلى هذا النحوأصبح ابن الرومي يجاهر بتشيعه ولعل هذا الجانب فيه هو السبب الحقيقي في أنه لم يحاول المثول بين الخلفاء مادحا ،ثم بعد ذلك وقف مع عامة الشعب في بغداد لسنة ٢٥٠ حين لجأ إليها

---

(١) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج ٣ ص ١٩

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ص ٨٠

الخليفة المستعين ووقعت الحرب بينه وبين أهل بغداد ،وبين المعتز والجند في سامراء وصور لنا ابن الرومي هذه الحادثة بدالية يرثى فيها الخليفة المستعين بعد قتله وعزله في سنة ٢٥٢ افتتحها بقولة[١].

إن المنيّة لا تُــبقى على احد ولا تهاب أخا عـــزٍّ ولا حشد

وجمع الأتراك أمرهم على خلع المعتز وأرسلوا إلى سليمان حاكم بغداد أن يبعث إليهم بمحمد الواثق ليبايعوه بالخلافة وكأنما يجد ابن الرومي في ذلك نكثه لبيعته للمعتز فيصليه قطعة من هجائه قائلا[٢]

جاء سُلَيْمَان بَني طَاهِر فَاْجتاح مُعْتَز بَنْي المُعْتَصِمُ

كَاّنَ بَغْداد لَدُنَ أَبَصْرَتَ طَلَعَتَهُ نَائِحَــة تَلـــــتْدمُ

وأخذت المنافسة بينه وبين البحتري تمتد وأنقسم الأدباء إلى قسمين:
قسم من اللغويين وهم أنصار البحتري وهم الأكثر وآخر مقابلا له وهم أنصار ابن الرومي ونراه هجاء خصمه ببائية طويلة :يقول فيها إن الحظ أعمى ولولا ذلك ما نال البحتري ما نال من الشهرة بشعره الغث في رأيه ،ويزعم أنه ليس فيه شي فكله أغارت وسرقات ونهب من دواوين أسلافه ويستعدى عليه العلا بن صاعد الذي أمّن الطرق من اللصوص قائلا:[٣]

مــا أنسَ لا أنْسَ هنداً آخـــرَ الحِــقَبِ على اختلاف صروف الدهر والعـــــقب

ليستْ من البحــتُرياتِ القصــارِ بُــنيً والشّـــَاربــات مــع الرُّعيان بالعــُلب

ولــم تــلــد كــوليــدِ اللــؤم فالــقَــةً عن رأْس شَــرٍّ ولــيــدٍ شـــرَّ ما ركَــبِ

البُحْتُريُّ ذَنــُوبُ الوجــهِ نعــرفُــــهُ وما رأيــنا ذنــوبَ الـــوجـــه ذا أدب

أيســرقُ البحتــريُّ النَّــاسَ شــعرَهُمُ جهراً وأنت نَكــالُ اللّــص ذي الـــــريّب؟

---

[١] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج ٢ ص١٥٢
[٢]المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٨
[٣]المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣٠٠

يعيب شعري، وما زالت بصيرتُه عمياءَ عن كلِّ نورٍ ساطعِ اللّهبِ

والبيت الثاني ما يدل على أن البحتري كان ينقذ شعره وأشعار البحتري حاميه مما أخذ عليه أنه غير مثقف بالثقافة الفلسفية الحديثة مثل ابن الرومي والذي تعمق الفلسفة والمنطق ، وما زالت المنافسة مشتده بينهما فتداخل بعض الأدباء فأصلحوا بينهما وأعترف كل منهما بفضل صاحبه .

تناول ابن الرومي شعره في المدح مثل مديح أبى الصقر مدحا رائعا[1] :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت ، كلا لعمري ولكن منه شيبان

ظن أنهيعرض به لأنه كان يدعى نسبه من شيبان ولم يكن شيبا نيا حقيقة فقال هجاني ورجعه بعض الحاضرين قائلا له :إن هذا من أحسن المدح ألا تسمع ما بعده[2] :

وكم من أب قد علا ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان

ولم أقصر بشيبان التي بلغت بها المبالغ أعراق وأغصان

لله شيبان قوم لا يشوبهم روع إذا الروع شابت منه ولدان

فقال :إنا بشيبان ،وليست شيبان بي ،وملاه الغيظ والغضب على ابن الرومي فقيل له ألم تسمعه يقول[3]:

لله شيبان قوم لا يشوبهم روع إذا الروع شابت منه ولدان

فاستمر في غيّه وسوء فهمه، وقال والله لا أثيبه على هذا الشعرووواضح إن أبا الصقر لم يفهم معاني القصيدة ولا مراد ابن الرومي في البيت الأول وغيره من الأبيات.فنجد أن ابن الرومي لم يبتعد عن الناس وعطاياهم ولم يهجر الدنيا وملذاتها بل كان يتهافت على الحياة مما يشبع شهواته ويسرف في ذلك كل الإسراف ويرمى على بنفسه على أبواب الكبراء

---

(1) عبد الأمير على مهنّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ج٦ ١٧٨

(2) المصدر نفسه ج٦ ١٧٩

(3) المصدر نفسه ج٦ ١٧٩ .

والوجهاء طالبا رفدهم ،ممنياً نفسه بالحظوة عندهم ومع ذلك نجد شعره ناقما أو ساخرا عابثا ، ليس له منزله توجب احترامه ،لان في طبعه ما يستدل من شعره ما كان ينفره من الناس وينفر الناس منه وهذا الطبع هو الذي جنى عليه وألزمه حالة الحاجة والخمول وقد أصاب في وصف نفسه ،إذ قال [1]:

أسخطت إخواني وأخفق مطعم فبقيت بين الدوّر والأبواب

عقليته وأثرها في شعره:

لابن الرومي[2]مع فرط أدبه وتوقد قريحته عقلية غريبة فهو لبيب مفكر يأتي بالحكم والأقوال الساحرة ولكنه في بعض الأحيان عصبي المزاج شديد الانفعال :فإذا هاجه هائج أضاع لبّه فإذا عاتب كبار الرجال تجده مُرّ أليم اللسان ويتجلى مزاجه العصبي في عتاب إسماعيلبن ونجت (وهو احد ممدوحيه) يوازن بين نفسه وسواه من الشعراء فيصفهم بالجيف النتنة والغثاء الطافي على وجه اليّم ،وانه أحق منهم ببلوغ الأماني ثم يخاطب إسماعيل فيقول :[3]

واجبي أن أرى جوابي عتباك فلا تجعل السكوت جوابي

إن في إن تعقني بعض إغضابي وفى أن تهيننني إغضابي

كنت تأتي الجميل ثم تنكرت فعاتبت مجملا في العتـــاب

ومثل ذلك قصيدة يعاتب إسماعيل بن بلبل وقد شعر بشي من الجفاء منه قال فيها:[4]

فمـــا لعطايـــاك أضـــحت حمّـــى علـــــىّ وأضـــــحت لغيـــــري نهابـــــا

قبلـــــت مـــــديحي وأنشـــــدته أناســـــا وأمســـــكت عنـــــي الثوابـــــا

فللـــه أنـــت ومـــا جئـــــته إلـــىّ لقـــــد جئـــــــت شيـــــــئا عجـــــابا

أتهتـــك ســـتِرى عـــن خـــــلتي وتغلـــــــق دون عطـــــــــاياك بابـــــا

حلفـــــت لـــــئن لـــــم ترضـــــني لتنصـــــــــرفن القـــــــوافي غضـــــــابا

---

[1] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج ١ ص ٢٦٧ .

[2]أمراء الشعر العربي في العصر العباسي تأليف أنيس المقدسي ص ٢٨٩ .

[3] المصدر نفسه ، ج١ ص ٣١٦ .

[4]المصدر نفسه ، ج ١ ص (٢٠٢)

وأقلّ ما يقال في هذا العتاب انه تهديد، وان صاحبه ممن إذا غضبوا لا ينظرون إلى العواقب، ومما عرف عن ابن الرومي من الهجاء هو اثر من تلك الطبيعة الشديدة الانفعال التي يخرج بها الإنسان عن طور الرشاد.

وقد غالى بعضهم في هجاء ابن الرومي وجعلوه فنا من فنون الشعر فلو اقتصر فيه الشاعر على تصوير المساوي، ولكن الشعر العربي الهجائي في كل أطوراه لم يصل إلى تلك الدرجة الراقية إلا نادراً.

فالهجاء الفني يقتضى أمرين :الفكاهة أو الدعابة ، وحسن التصوير فالفكاهة ترفعه عن الخشونةوالإقذاع ، والدعاية تضعه في صف الفنون الجميلة ،ولكن أكثره من قبيل الطعن الشخصي الذي يراد به الحط من كرامة الشخص أو أهله ، لا لقصد إصلاحيي بل تشفيا أو تفاخرا (١).

وهكذا كانت نقائض جرير والأخطل والفرزدق ،وعلى هذا النمط جرى أكثر الهجائيين عند العرب ولم يشذ ابن الرومي عن هذه القاعدة وقال ابن رشيق :" وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به وحتى صار يقال أهجى من ابن الرومي ، وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر ولكن قليل الشر كثير.

هجاء ابن الرومي فيه شيء من الدعابة وحسن التصوير، ولكن معظمه فاحش لا يرتفع إلى أن نسميه فن أدبي ،ومن دلائل ضعفه العصبي اعتقاده بالطيرة :كان يتشاءم من بعض الألفاظ أو الحوادث ، وكان لهذا الطبع اثر شديد في تصرفه مما جعله سخرية في أعين العقلاء ، ونفسر هذه الظاهرة العقلية التي تضعف إرادة الإنسان وتحملها على ربط الحوادث بغير أسبابها إلا بقولنا أن صاحبها شاذ في عقليته وان في جهازه العصبي ضعفا خاصا .

وقد تناول أبو العلاء المعرى تطير ابن الرومي في رسالة الغفران وانتقده ولم يتعدّ دائرة الصواب إذ قال عنه "إن أدبه أكثر من عقله "وقال ابن رشيق :كان ابن الرومي كثير الطيرة ربما أقام المدة الطويلة ليتصرف تطيرّا بسوء ما يراه ويسمعه ،حتى بعض أخوانه من الأمراءافتقده فأعلم بحاله في الطيرة، فبعث إليه خادما ليتفاءل به. فلما أخذ أهبته

---

(١) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ،ج ١ ، ص ٢٩٢ وما بعدها

للركوب قال للخادم :انصرف إلى مولاك فأنت ناقص ،ومنكوس اسمك لأبقا "ونلمح ذلك عندما سقطت ابنة بعض أصدقائه من السطوح فماتت ،فكتب إلى صديقه يقول فيها:[1]

لا تَهْـــاونَ بَطِيَـــرة أيَّهـــا النّظّـــار واعَلْـــــــمَ بـــَأنـــــــــَّها عُنَـــــوان
قـــف إذا طيـــرة تلقّتـــك وانظـــر واستمع ثمّ مـــا يـــقـــــول الزَمـــان
فتْحـــك المهرجـــان بالحـــــوُل والعُور أرانـــا مـــا أعقـــب المهرجـــان
كـــان مـــن ذاك فقـــد ابنتـــــك الحـــرّة مصبـــوغـــة بهـــا الأكفـــان
وتجـــافى مؤمـــلٍ لـــي خليـــل لـــجّ منـــه الجـــفـــاء والهجـــران

عقلية [1]كهذه لا تستطيع ربط الأسباب بالمسببات ،بل تميل إلى الوهم والذعر ، لا ينتظر أن يكون صاحبها ذا إقدام وعزيمة صادقة برغم من تجده في شعر ابن الرومي من ذكر المجد والعلا فإنه لم يتعدّ في ذلك حد الكلام ، فكان ذا موهبة شعرية حادة مقرونة بضعف عصبي حاد ، وقد تولد من امتزاجهما ذلك الخوف الصبياني وتلك الغيرة الشاذة التي كانت توهمه فوق العالمين ،وانه جديد بكل إكرام وتعظيم وان من لا يكرمه فقد نقص قدره وحق عليه أن يهجوه ويحط م كرامته ،وأننا لنوافق الأستاذ العقاد في شاعرنا :"كان حسن النية رقيق القلب لم يخلق شريرا مطويا على الشكس والعداوة"ولكن الرجل يجمع في نفسه نقائض من الأخلاق فهو مسالم شديد العداء.رقيق القلب أليم البغض ،وفيّ ساخر ،شجاع جبان إلى آخر هذه الصفات الغريبة التي يقف المنتقد الأخلاقي لديها حائرا ، والتي لا يمكن لنا إلا نعزوها إلى اختلال في جهازه العصبي جعله غريب الأطوار شاذ الأخلاق ،ميالا إلى الإسراف في كل شيء .

ويعتبر ابن الرومي ودعبل الخزاعي من أشهر الهجائيين في أدب العصور الإسلامية عامة في القرن الثالث للهجرة وقد جمع المعرى بينهما في بيت واحد وضرب
بهما المثل لهجاء الدهر لبنيه فقال[2]:

([1]) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٠٣

[1] أمراء الشعر العربي ، أنيس المقدسي ص ٢٩٢
[2] ابن الرومي حياته من شعره ، لعباس محمود العقاد منشورات المكتبة العصرية بيروت ،ص ١٩١

لـــو أنصـــف الـــدهر هجـــا أهلـــه كأنـــــــه الرومـــــــي أو دعبـــــل

وليس للمؤرخ الحديث أن يضيف أسما جديد إلى هذين الاسمين، فان العصور التالية للقرن الثالث لم تخرج من يضارعهما في قوة الهجاء والنفاذ في هذه الصناعة فنجد ابن الرومي لميكن مطبوع على النفرة من الناس ولم يكن قاطع طريق على المجتمع في عالم الأدب ،ولكنهكان فنان بارع أوتى ملكة التصوير ولطف التخيل والتوليد وبراعة اللعب بالمعاني والأشكال فإذا قصد شخص أو الشي بهجاء صوب إليه "مصورته الواعية فإذا ذلك الشخص أو ذلك الشي صورة مهيأة في الشعر تهجو نفسها بنفسها وتعرض للنظر مواطن النقص من صحفتها ،فكل هجوه تصوير لإشكاله أو لعب بالمعاني ، والفرق بين مذهب الشاعرين فقد كان دعبل بدويا نافرا بفطرته وكان ابن الرومي حضريا أنيسا بفطرته، فإذا تبرم ابن الرومي بالناس فإنما يتبرم بهم ويأنس إليهم ويعانى ما يعانى من عشيرتهم ثم يسخط عليهم لأنه مقيد بهم لا يستطيع الفكاك منهم فسخطه أساسه المودة والألفة وليس أساسه القطيعة والنفرة ،كما كان السخط في نفس صاحبه دعبل الخارج على الجماعة ولهذا الفرق أثره في موضوع المسالب التي يلقيها كل منهما على مهجويه فدعبل يسلب المهجو جميع الفضائل التي تغتر بها النفس الصارمة البدوية :يسلب النخوة والكرم والبأس .وابن الرومي يسلب مهجوة الفطنة والكياسة والعلم يلصق به كل عيوب الحضارة التي يجمعها التبذل والتهالك على اللذات ،فإذا حذفت من هجوه كل ما أوجبته الحضارة والخلاعة الفاشية في تلك الحضارة فقد حذفت شر ما فيه ولم يبق منه إلا ما هو من قبيل الفكاهة والتصوير ،والبدوي يخاف الذم والحضري قلما يخافه ،فما يرتاح للمدح ولا يرتاح للشتم كما قال ابن الرومي في بعض مهجويه ،فالإفحاش وليد الحضارة والغلووالتهتك ،ومتى غلا الشاعر في القذف بأدناسالتبذل والخلاعة فهناك عيبان محققان هما عيب البيئة التي أشاعت تلك الأدناس أو جعلت الذم بها ذما على الأسماع فلا بد فيه للشاعر من المبالغة والإغراق .

والثاني نبحث عنه في قائل الهجاء ومدمنه ،فإنه لا عيب فيه لما اضطر إلى الهجاء ولا أدمنه وأفرط فيه .فما هو ابن الرومي ما عيوبه التي أولعته بالهجاء والإفحاش وصيرته عنوان لزمانه في السفاهة والبذاءة ، فعيبه الأول هو الشهوانية والتهالك على اللذات وهى التي هونت عليه الإقذاع وسوغت له خوض الفضائح فأوغل فيها غير مستكره ولا متحرج ،ثم أعانها الضعف وهو عيبه الغالب عليه الذي تبدأ منه وترجع إليه جميع عيوبه .ففي

هجائه صفة ذميمة يشمئز منها القارئ في كثير من الأحيان ولكنها صفة الضعف والخفة وغيرها وتشعر بان قائل هذا الهجاء رجل متألم يدفع الألم عن نفسه وليس برجل السوء الذي يعنيه أن يوقع بغيره ويعتد إيلام الناس غرضا له مقصود لذاته .

لابن الرومي فن واحد من الهجاء كان يختاره ويكثر منه لو لم تحمله الحاجة وتلجئه النغمة إليه ،ونقصد به فن التصوير الهزلي والعبث بالأشكال المضحكة والمناظر الفكاهية والمشابهات الدقيقة وهو مطبوع على هذا كما يطبع المصور على نقل ما يراه وإعطاء التصوير صفة من الإتقان والاختراع ونقرأ له قوله[1] :

ما استب قط اثنان إلا غلبـــــــا شرهما نفسا وأما وأبـــــا

فلا تصدق أن قائله ابن الرومي هجاء اللغة العربية وقاذف المهجوين بكل نقيصة، وفى بعض الأحيان يسكن إلى رشده فيسام الهجاء ويعافه ويود الخلاص منه حتى لو كان مهجوا معدودا عليه ويعتزم التوبة عن الهجاء مقسما[2]:

آليـــتَ لا أهَجُـــو طـِــــــوَالَ الـــدْهَر إلا مِـــــــنَ هَجـــاني
لا بـــــل ســـأطَرحَال هجـــاءان رمـــــــــاَنِي مَـــــــن رمـــانِي
أمـــن الخلائِـــقُ كُلَـــــــــهُم فَليْأخـَــــــذُوا منـــى أمـــانـــــِي
حلمـــي أعـــــــــــزَّ علـــى مـــنَ غضـــبى إذا غـــَــضَـــبِى عرانـــي
أولـــــى بجهلـــــي بـــــــــعدمامكنّت حُلِمِـــــي مِـــــن عنـــاني

هذا أشبه بابن الرومي لأنه في صميمه خلق مسالما سهلا ولم يخلق شريرا على العداوة فلو كان أكثر شرا لكان أقل هجاء ،لأنه كان يؤمن جانب العدوان فلا يقابله بمثله ،فكان يستخدم هجاءه للدفاع وليس للهجوم .

ومن قرأ مراثي ابن الرومي في أولاده وأهله فهو رجل مفطور على الحنان ورعاية الرحم والأنس بالأصدقاء والإخوان فمراثيه هي التي تدل عليه حق الدلالة وليست مدائحه التي كان يمليها الطمع والرغبة أو أهاجيه التي كان يمليها الغيظ وقلة الصبر على خلائق الناس ،ففي هذه المراثي تظهر لنا طبيعة الرجل لا تشوبها المطامع والضرورات ،فنرى فيه

---

[1]) عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ج١ ص ٢٤٠

[2]) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٢٩٨

صورة الولد البار والأخ الشفيق والوالد الرحيم والزوج الودود والقريب الرؤوم والصديق المحزون ولا يكون الرجل كذلك ثم يكون مع ذلك شريرا مغلق الفؤاد مطبوع على الكبد والإيذاء.

فإذا اختلف القولان بينه وبين أبناء عصره فأحجى بنا قبل أن نصدق كلامه هو في أبناء عصرهقبل أن نصدق كلامهم فيه لأنهم كانوا يستبيحون إيذاءه ويستسهلون الكذب عليه لغرابة أطواره وتعود الناس أن يصدقوا كل ما يرمى به غريب الأطوار من التهم والأعاجيب في حين أنو كان يتحامى تلك التهم ويغفر الإساءة بعد الإساءة مخافة من كثرة الشكاية وعلما منه بقلة الإنصاف ، فهو لم يكن شرير ولا ردى النفس ولا سريع إلى النقمة، فكان مستغرق في فنه يحسب إن الشعروالعلم والثقافة وحدها كفيلة بنجاحه وارتقائه إلى مراتب الوزارة والرئاسة.

فهو شاعر فذ في ابتكاره وإبداعه وسمو خياله وشّدة حِسّه ونفوذ بصره وطول نفسهواستقصائه، وفهمه للأشياء فهما خاصا يفضى به إلى الشذوذ، واعتباره لها على خلاف ما درج عليه الشعراء فهو أطول شعراء العربية نفسا وأكثرهم استقصاء، كثير التوليد للمعاني مغرم بإيراد الأقيسة والحجج على معانيه ويتناول المعنى فيتوسع به ،ويقيم الأدلة على ما يدعيه له في قصيده ،ثم يأخذ المعنى نفسه ،وفى قصيده ثانيه ويرعى خلاف ما ادعاه في الأولى ويورد له الأدلة والبراهين والناظر في شعر ابن الرومي يتبّين حسن الوصف ودقة الملاحظة كما يتبين أثر الثقافة الواسعة في العلوم الإسلامية والآداب العربية فهناك ذكر الفرق والمذاهب والمقالات الدينية واستخراج المعاني الشعرية والحجج الخطابية من اختلاف آرائهم وأقوالهم قال[1]:

لـــــولا دلـــــــيلُ كبيـــــاضِ الفَجـــــرِ يَشْـــــرَح بالإيمْـــــانُ كـــــلَّ صـــــدْرِ

لقلـــــت بالـــــدهرِ كأهـــــلِ الـــــدْهَرِ ممـــــا أرْى مِـــنَ سُـــوءِ هَـــذْا القـــدْرِ

ومن الشواهد الدالة على سعة ثقافته :

قال المرزبانى في معجم الشعراء (ابن الرومي أشهر أهل زمانه بعد البحتري ،وأكثرهم شعرا وأحسنهم أوصافا وأبلغهم هجاء وأوسعهم افتنانا في سائر أجناس الشعر

---

[1]عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج٤ ص ، ج ٣ ص ١٧٠

وضروبه وقوافيه يركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره ويلزم نفسه ما لا يلزمه ويخلط كلامه بألفاظه منطقيه يحمل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف وأعذب لفظ في الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره غزارة قول).

وقال المسعودي في مروج الذهب :

(ابن الرومي كان من مختلقي معاني الشعراء المجودين في القصير، والطويل، متصرف في المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر).

وفهم ابن الرومي للشعر وطريقة تناوله يخالف ما أصطلح عليه شعراء العربية ولعل أحسن إيضاح لهذه القضية أن نورد رأى البحتري في الشعر وهو متفق على أنه أحسن ممثل للروح العربية في الشعر وقال[1]:

كَلْفَتَمُونَا حُـــــدُود مَنْطِقَكم فِي الشَّـــعْرِ يَكْفَـــى عَـــنْ صَـــدقَة كَذْبَـــهْ

ولَمْ يَكْنَ ذُو الـــــقُرْوحْ يْلَهْـــجُ بَـــالمَنِطْقْ مَـــا نَوْعَـــه ومـــا سَـــببَهْ

والشَّـــعـــــر لمـــح تكـــفى ولـــيس بالهَـــذرِ طولـــت خطبـــه

فيستعمل ابن الرومي الأقيسة المنطقية ويصطنع براهن أهل الجدل ،ولا يعتبر الشعر كما يعتبره البحتري لمحا وإشارة ويعتبره ككائن حي يشتمل على عناصر شتى من حسن وجهامة وقوة وضعف ورقة وخشونة فتارة يمثله بالعمر ، ولذلك طالت قصائده ،وأختلف ترتيبها عن طريقة الشعراء وقلت عنايته بالموسيقى اللفظية على سعته مفرداته وأنكر الناس عليه في أيامه ترتيب قصيدته ، وهو يمثل المعاني أشخاصا تفيض بالحياة يخاطبها ويسمع لها وينطقها بشتىّ الأحاديث وأنواعها.ولعل أظهر خصائص هذا الشاعر بعدما تقدم ثلاث:الاختراع وسعة التفرد وسعة الخيال، والاختراع هو أن يؤتى الشاعر بمعنى حسن جديد لم يسبقه إليه الشعراء من قبل.والتوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة وخاصة الاختراع لا تأتى بالتعليم بل تستدعى مخيلة مبدعه وفكرا مولدا وهى منأهم الخصائص وأندرها في الشعراء حتى في كبارهم وفحولهم مثل البحتري وأبى فراس الحمداني[2]والشريف الرضي[3] فإنهم لم يذكروا باختراع على علو منزلتهم في

---

[1]الفن ومذاهبه في الشعر العربي تأليف شوقي ضيف ، ص ١٩٦

[2]أبو فراس الحمدانى :أمير وشاعر ولد بالموصل سنة ٩٢٢ ومات قرب حمص عام ٩٦٨ نشأ مع ابن عمه الأمير سيف الدولة وإستصحبه في معاركه أسروه الروم ونقلوه إلى خرشنه وديوان

الشعر .ونجد أن ابن الرومي يفوق الجميع في هذه الخاصية فهو أكثر شعراء العربية اختراعا وتوليدا وأحق من تسمى أشعاره بنات فكره.ولو صحّ أن يسمى المخلوق خالق لجاز أن يقال أن ابن الرومي مخلوق خالق لكثرة ما أبتكره من المعاني التي لا محل لاستقصائها ولكن نورد أمثلة منها، منها قـــــــــــــــوله:[٤]

عَدُوَكَ مَن صَدَيْقَكَ مُسْـــــتَفَادٌ فَلاتَسْتَكْثَرنّ مِنَ الصِحَـــــاب
فإن الداء أَكَثْرَ مَا تَرْاهُ يَحْوِلَ الطعَامِ أو الشـــــــــــرَّابِ
من الطَعامِ أو الشَّـــــــــــرَابِ وتَلْقَى الرَّي فِي النُّطُفَ العَذْابِ

وقـــــوله [١]:

عَيْنِي لعَيْنَك حِيْنَ تَنْظُر مَقْتَل لكن لحظك سهم حتف مُرَسِلُ
ومَنَ العَجْائِبْ أنّ مَعْنَى واحَداً هُومِنكَ سَهْمُ وَهْوَ مِنِّى مَقْتُلُ

وإذا صح قول النقاد : أن الشاعر سُمّى شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به الناس فنجد أن ابن الرومي أحق الناس بهذا الاسم لأنه تلبّس بهذه الصفة إلى أقصى حدودها فهو يشعر به بما لا يشعر الناس ،ويرى ما لا يرون ،وتعتبر الأشياء على خلاف ما يعتبرون فيرى للمعنى الواحد أوجه شتى وصورا متباينة ،ويفهمه على أنواع مختلفة ويحلّه حلا ينُّم على ذهن متوقد ونظر بعيد وخيال سام وخاطر غريب وقال يصف شعره ، وسمع البحتري يوما شيئا من شعره فأستحسنه وتعجب منه وقال "هذا من خاطر الجنِّلا من خاطر الأنس ".وقد تقضي خاصة التفرد إلى الشذوذ، فيحسن القبيح ويقبح الحسن ويقيم الأدلة الخطابية على ما يدعى. وخاصة التفرد أعظم عنصر في نبوغ ابن الرومي ولا نجدها واضحة جلية كما نجدها فيها وليس بمستعبد أن يكون تظاهر على تكوين هذه الخاصة فيه مزاجه وجنسه وثقافته لأنه كثيرا ما يستعين بأقيسة المتكلمين وأهل الجدل في بعض ما يخالف به عرف

شعره يسجل تاريخ حياته وهو من شعراء الطبقة الأولى وشعره الروميات التي نظمها في أسره من أروع شعره

[٣]الشريف الرضي :محمد بن الحسين العلوي أشعر الطالبين على كثرة المجيدين فيهم مولده ووفاته في بغداد سنه ٤٠٦ شعره من الدرجة الأولى بيانا ورصفا

[٤]عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ج١ ص ٢٤٦

[٢] د يوان ابن الرومي، ص ١٣٠

وأمثلته تدل على خاصة التفرد والشذوذ : مثلا درج الناس على الحزن عند المصائب وهو يرى أن حزنه على نفسه يشغله عن الحزن على غيره إذ يقول[٢]:

رأيتُ الدَهر يجرح ثم يأسوا يُعوض أو يُسلى أو يُنسى

أبت نفسي الهلاع لفقد شيء كفى حزنا لنفسي فقد نفسي

أتهلع وحشة لفراقألفا وقد وطنتها لحلول رمس

وهناك نوع من شذوذه كأنما أراد أن يغيظ به الناس فعمد إلى ما أجمعوا على استحسانه، فهجنه وقبحه كقوله يهجو البدر، وكأنه كان يريد أن يمتحن مقدرته الفنية في تقبيح الحسن.[١]

لو أراد الأديب أن يهجو البدر رماه بالخطة الشنعاء

قال يا بدر أنت تغدر بالساري وتزري بزورة الحسناء

أما إذا تناولت الخيال فهو مادة الشاعر، وعلى أجنحته يسمو ويحلق به في سماء الشعر ولولاه لأفقر الشعر من السحر والاختراع والإبداع والشعراء يعيشون بخيالهم أكثر من الفنانين ولولا ذلك لكانت الحياة عبئا ثقيلا أشد الناس إحساسا وشعورا.

ومظهر الخيال في الشعر العربي على حالين :دنيا وعليا وأما الدنيا في المجاز وفروعه من تشبيه واستعارة وكناية ،وأما العليا ففي اختراع المعاني وإبداع الصور ونفخ الحياة فيما يخلقه الشاعر ويتخيله ،وخيال ابن الرومي خصب واسع في المظهرين يرفده حس مستيقظ ،ومزاج عصبي فيسمو ويحلق ويتسلسل ويصور ويخترع بل يعيش في عالم خيالي مسحور خلقه لنفسه بأرضه وسمائه ومرئياته ومعنوياته وبث الحياة في جميع عناصر ذلك العالم وجعلها تتأثر وتعمل فالماء والهواء والكواكب والتراب والأشجار والأعشاب والأزهار أحياء تتجاذب الحياة وتحس وتفهم وتلد وتحب وترضى كالإنسان ولسان حالها لا يقل عن لسان المقال قال

---

[٢]عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ج٣ ٢٥٢

[١] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ، ج١، ص ١٢١

الهجاء وموضوعات وسمات شاعرية ابن الرومي:

شاعرية ابن الرومي.[٢] تختلف عن شاعرية من عداه من شعراء العرب ، في انه لا يعير الصياغة اللفظية ، والأسلوب التعبيري ، الاهتمـــام الذي كان يعيره للعمل العقلي ، وللمعنى العميق الدقيق. ومن هنا أنه ضحى بالإجادة البيانية في كثير من الأحيان ، في سبيل استكمال الصورة التي يصفها أو الشعور الذي ينّم شعره عنه أو العاطفة التي تفعم فؤادهفهو ترجمان حياته والحياة عنده أوسع من أن تحصر وراء أبواب وفصول لأنه نظم في كل معاني الحياة فهو أكثر الشعراء معاني ونواحي وخاصة الاختراع والتفرد وسعة الخيال والاستقصاء شائعة في جميع ما قال ،ومما لاشك فيه أنّ إحسانه في بعض الأبواب أظهر كالوصف والتصوير إجادة لم يسبقها إليه شاعر ،والشكوى والعتـــاب وبرع في الهجاء ، حتى عُدَّ سيِّد شعرائه في الأدب العربي ، ولقد تعرض ابن الرومي لموضوعات ليست جديدة في الأدب العربي، ولكنه أفاض فيها ووسع معانيها وطورها. فهو أول شاعر تبسط في وصف الحياة والناس ،وكذلك أول شاعر تغلغل في طبقات المجتمع وأصناف الناس ، فمثلا صور الأحدبوالأصلع وما شابه ذلك وعبر عن كل شكل من أشكال الطبيعة ،وعن كل حركة تمور فيها »[١].وإذن ابن الرومي شاعر مجدد ، بكل مافي التجديد من معنى ؛ لقد انطلقت شاعريته في الآفاق التي أحبتها ، لم تقيد نفسها بأغراض رتيبة تعاهدها الشعراء ، فما حادوا عنسبيلها ،ولا وجدوا لأنفسهم منها فكاكا، ودراستي المنهجية لهذا الشاعر تقتضي الوقوف عند ثلاثة من أغراضه رئيسة وهي الوصف والرثاء والهجاء والسخرية والوقوف على خصائص الشاعر العامة لا يمكن أن يتحقق بصورة جدية ومتكاملة ، ونضيف إلى هذه الأغراض الثلاثة ، لمحات موجزة عن بعض الأغراض الباقية التي تناولها ابن الرومي ،وسكب عليها فيضاً من شاعريته، فلقد جوّد في هذه الأبواب الثلاثة ما شاء ،واتى بما يأت به أحد ونفرد هذه الأبواب في سطور :

وإن شاعرا بلاه الدهر هذا البلاء ، وأصابته سهام الأقدار تلك الإصابات ، لحري به أن يستفيد من تجارب الحياة وعبرها دروسا لا تنسى ، بل دروسا يجدر ببني الإنسان أن يحفظها ، ويعتبر بها ، فيفهم حقائق غابت عن باله ، ويطلع على أسرار لا يتأتى له كشفها

---

[٢] الأعلام والفنون الأدبية : للدكتور فوزي عطويدار الكاتب العربي١٩٦٦م ج١ ص٧٩

[١] الحديث في الأدب العربي ، لشفيق النقاش طبعة ١٩٥٢، ص١٧٣

بالسهولة واليسر ،فإذا وقف ابن الرومي مرشدا ،واعظا ،مدليا بالحكمة الإنسانية الخالدة ، فإنما هو المتحدث بلسان الحقيقة التي لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان .

وابن الرومي ، وإن لم يكن فيلسوفاً ذا منهج واضح متجه إلى هدف محدد ،فهو شاعر الخاطرة الناجمة عن تجربة ، وشاعر الحكمة النابعة من إدراك لحقيقة إنسانية مطلقة ، ولأنهكذلك ،فإن آراءه تتنوع بتنوع تجاربه .إن إدراكه البديهي لتركيب الكيان البشري من روح وجسد ،جعله يؤمن بأن امتزاج هذين العنصرين هو امتزاج الخير والشر في الذات البشرية [٢]

النَّفَسُ خَيْرَكَ، إنَّها عَلَوية والجْسَمُ شِرَّكٌ لَيس فِيه تَمْارُ
فَانِفَذْ لخَيْرَكَ لا لشِّرك،واتْبع أولاهما بالقادر
فالنفس تسمو نحو عليو مليكها والجسم نحو السفل هاو هاري
رأيت جناة الحرب غير كفأتها إذا اختلفت فيها الرماح الشواجر
كذاك زناد النار عنها ينجوه ولكنما تصلى صلاها المساعر

في كل ذلك كما ترى المعجب المطرب، مما يخاطب العقل ويناجى القلب ويثير العاطفة ويهز النفس ويمتع النظر ويطرب السمع ويلذ الذوق.ولو أتيح لابن الروميفي جملة شعره من حسن النسج وجمال الديباجة وسحر الألفاظ ما أتيح للبحتري لما تقدم عليه شاعر.

ولم يكن الهجاء قبل[١] ابن الرومي استجابة لرغبة فنية، أو لنزعة وجدانية لدى الشاعر، وإنما كان الهجاء يتَّسم بالميسم السياسي أوالعشائري ، وبذلك لم يكن يخلو هتك ستر ،أو فضح سر ،فضلا عن تعابيره البذيئة المقذعة التي تمعن في المهجو إيلاما وإيذاءًأما ابن الرومي، فلم يكن يدفعه إلى الهجاء دافع منهذه الدوافع؛ ولعل في رأسالأسباب التي جعلته لا ينظم شعرا من هذا القبيل، كونه يوناني الأصل، وإن كان يدين لبنى العباس بالولاء.وإنما دفع الشاعر إلى الهجاء ،مزاج شخصي فيه ،ورغبة ملحاح في الاستجابة للفن الوصفي المشوه الساخر، ثم دفعه إلى ذلك الهجاء ما كان في نفسه من نقمة على الناس والمجتمع، بسبب الحرمان الذي عانى منه والحاجة التي عضته بنابها، والازدراء الذي لقيه من بني البشر والنكاية التي أحاطوه بها من كل جانب. وهجاء ابن الرومي ناجم عن فنه وبراعته

---

[٢] المصدر نفسه ج ٣ ،ص ٨٥

[١] (ابن الرومي شاعر الغربة النفسية) د فوزي عطوي ص ٧٠

في التصوير الساخر،وفي تجسيم المعايب ،وإبراز الجوانب المخزية في شخصية من يصب عليهم هجاءه وغضبه ؛ كما أن إبداعهفي ذلك الفن ناجم عن جراح الدهر الذي آذاه ،وعن مصائب الزمن الذي برح به ،وعن لوعة الألم الذي ناء عليه .

ويقول الدكتور شوقي ضيف ،موضحا العلاقة بين الشاعر وفن الهجاء عنده[٢]"فقدأعد مزاجه الحاد لضرب من الهجاء يمكن أن نسميه الهجاء الساخر ، إذ كان يعبث بمهجويه عبثا لاذعا يشبه الصور الكاريكاتورية .

فهو يقف عند نواحي الضعف، ويكبرها، ويظهرها في أوسع صورة لها، حتىيثير الضحك والإشفاق على من يتناوله منهم، إذ يصنع بهم صنيع أصحاب الصورالكاريكاتورية : فهم يضعون راسا كبيرا على جسم صغير ،أو يخالفون في أعضاء الجسم ، فيركبونها عليه بالطول ، وتارة بالعرض ،وهو تركيب مضحك في جميع صوره وهيئاته ؛ وكذلك كان ابن الرومي يتناول من يهجوه ، فيشوهه تشويها غريبا ". ولقد هجا ابن الرومي[١] شعراء عصره، حسداً ونقمة، لأنه كان يراهم رافلين بحلل النعمة والعزة، وهو راتع في بؤسه وذله. كذلك كان شأنه مع البحتري ، على الرغم من أن البحتري شاعر مجيد مبدع ، ومن يقرأ قصائده، يصطدم باللهجة العنيفة المؤلفة التي لا تنطلق من مقاييس نقدية سليمة،ولا ترتكز إلى أصول بلاغية عامة. وكان أجدر بابن الرومي بدل أن يتعرض للبحتري في شؤون مظهرية خاصة، أن يدلّنا على جوانب النقص التي تعتريشعره، أو إلى المعاني المسروقة التي يتهمه بها في البيت الأخير،ولم يكن لهذه الأبيات من القيمة النقدية مالها من القيمة الهجائية الساخرة التي لا يهم سوي التشويه بصرف النظر عما إذا كانت كلماتها صادقة النبرة ،أو كاذبة اللهجة .

فإذا نظرنا إلى هذه الأبيات من هذا المنظار، أدركناأن ابن الرومي في هجائه الوصفي،أو في وصفه الهجائي ،فقد حالفه التوفيق، ولقد سبق لنا قول في حديثنا على شعر المتنبئ: إن النظرة الفنية إلى عمل من الأعمال الفكرية، وخاصة إلى العمل الشعري،وكان ابن الرومي لايبارى في الهجاء لذلك طبع عليه فكان أول قال من الشعر ،وهو في الكتّاب وختم به حياته ،لأنه كان سبب موته ،جود ابن الرومي الهجاء،لأنه كان عصبي المزاج مفرط الحس

---

[٢]((الفن ومذاهبه في الشعر العربي)) للدكتور شوقي ضيف ص ١٤١ ١٤٢.

[١](ابن الرومي شاعر الغربة النفسية)) د فوزي عطوي ، ص ٧٨

كثير الوساوس شديد الاعتداء بنفسه عاكسه الدهر في كل أمانيه وجفاه وأغرى به بعضهم يهزؤون به ويسخرون منه فعظم عليه هذا الحرمان ولم يطق احتمال هذا الظلم فنقم من الدهر وأهله هذا الجور الأعمى ،وانتقم لنفسه بالهجاء أشد انتقام كان في أهاجيه يخوض حربا زبونايعد لها جميع أنواع السلاح والحيل لقهر عدوه فيهاجمه في نفسه وعرضه وشرفه ومرؤته ونسبه ويرمى الرجل بكل نقيصة ويقذف النساء بكل فاحشة ويفحش ويقذع ويختلق ويكذب ويخترع لهذه الشتائم صورة مبتكرة تبكى تارة وتضحك أخرى .وهو في هجائه خصم قاس شديد عالم بالمقاتل تام العدة يرمى فيصميولا يقف عند حد في خصامه فإذا رمى فريسته مثـــّلبها أشنع تمثيل، وهجاءه في جملته بجمع كل عناصر الهجاء التي تقاسمها الشعراء منذ الجاهلية إلى عصره تجد فيه التقريع الأليموالشتيمة الموجعة والتهكم اللاذع والسخرية الممضة وهتك الحرمات فهو الغاية التي بلغها هذا الفن في جميع أطواره وهجاؤه ممض [٢]،كيف ما أداره ولعل أبدع ما فيه عنصر السخرية والتهكم فهو مصور وممثل هزلي بارع يصور المهجو ويمثله أضحوكة تستثير الضحك ورأيهفي ذلك رأى جرير القائل :إذا هجوت فأضحك "

ولو خلا هجاء ابن الرومي من الفحش والإقذاع لكان من أنفس الفنون الأدبية ،لما فيه من الفطنة والبراعة وخفة الروح والنقد والابتكار والذوق واللباقة على أنه فيإقذاعه فنان ساحر ويعتبر إقذاعه الذي يستثير الإعجاب فهو عمل سيئ ولكنه والحق يقال متقن فيه شعر وإبداع وأي شيء أدل على براعة الفنان فلا يزال يريق عليها من سحره حتى يجعلها فتنة للناس قال يهجو طنبورياً[١]:

أَبْو سُلِيَمانَ لا تَرضَـــي طَرِيقَتَـــهُ لا فِي غِـنَاءٍ ولا تَعْلِيَمْ صِبْـيَـــــانِ

لَهُ إِذْا جَاْوَبَ الطنبور مُحَـتِفَلاً صَـوْتَ بِمَصْـــرِ وضَـــربِ فِـــي خُرَّســـانِ

عواء كلب علـــى أوتـــار مندفـــه فـــي قـــبح قـــرد وفـــى اســـتكبار هامـــان

وتحسب العين فكيـــه إذا اختلفـــا عنـــد النـــــغم فكـــــي بغـــل طحـــان

---

[٢]) ابن الرومي ، لخليل بك مردم ص ٥٧

[١] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ،ج٦ ،ص ٢٨٨

والهجاء عند ابن الرومي يأخذ لونين :لونا قائم كله على الإقذاع والسب وهتك للإعراض وقد يطيل فيه إلى مئات من الأبيات ،ولونا زاهياً ينحو فيه منحى السخريةوالإضحاك وهو اللون المهم في هجائه لأن اللون السابق كثيرا مانجده عند سابقيه ومعاصريه ،أما الهجاء الساخر فقد نماه إلى أبعد حد تسعفه في ذلك قدرة بارعة على استغلال العيوب الجسدية في مهجويه حتى ليصبح شبيها أدق الشبه بأصحاب الصور الكاريكاتورية ،فهم يستغلون العيوب الخلقية ويبروزنها بالطول أو بالعرض أو التضخيم أوالتصغيرإبرازاً مضحكا في كل صورة ،وكذلك كان ابن الرومي هجاء ساخر يعرف كيف يصور العيوب الجسدية[٢]والمعنوية تصويرا مضحكا مثل تصويره لبعض مهجويه بحيوانات مجترة ،وكذلك لم يعجبه بعض المغنين فصوره في تحرك فكيه قي غنائه بالبغل حين يحرك فكيه للأكل فذات يوم له جارأحدب فرؤيته كانت تؤذيه فانتقم لنفسه منه بقوله[٣]:

قصـــــرت أخادعــــه وغــــاب قذالــــه ... فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنمـــــا صـــــــفعت قفـــــاه مـــــرة ... وأحس ثـــانية لها فتجمعا

فجعله الدهر مصفوعاً يحاول أن يتقي صفعه بتجميع قفاه إلى ظهره ،وكانت تؤذيه اللحى حين تخرج عن مقدارها الطبيعي فيهجوها ويهجوأصحابها هجاء ساخرا وله مقطوعات غزليه قصيرة وطويلة ومن أطرفها وأجمعها للهزؤ والسخرية قوله في لحية بعض مهجويه[١]

أنْ تَطْـــــلَ لِحيــــة عليـــــك وتعــــرض ... فالمخـــــــالي معروفــــــة لِلحَمِيَـــــــرِ

عَلَّـــــقَ الله فـــــي عـــــــذْارِيك مُخــــلاِة ... ولكِنــــْـهَـــا بِغَـــيـــــرِ شـــَعْيـــَــــرِ

لـــــو غـــــدا حكمهــــا إلـــــي لطــــارت ... فـــي مهـــب الريـــاح كــــل مطيــــرِ

لحيـــــة أهملــــت فســــالت وفاضــــت ... فإليهــــــا يشـــيــــــــــــــر كـــــــف

أرْوَعُ مِــــــــنها المــــــوسِي فانــــــكَ ... مِنَهـــا يَشْـــهَدُ اللهُ فِـــي آثـــامِ كَبِيْـــرِ

مــــا تلقـــــــاك كــوســـــج ق إلا ... جـــــــــــــــــــــــــــــرر الله

لحيــــــةأهملت فطالــــــت وفاضـــــــت ... فإليـــــــــهــــــــــــــا تشــــــير

---

[٢]تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي لشوقي ضيف ص ٣١٥
[٣]ابن الرومي ، تأليف خليل بك مردم ،دار صابر بيروت ،١٩٨٨ م ص ٦٠
[١]ديوان ابن الرومي ج٣ ص ٣٢

ما رأتها عيـــــن امـرئ مـا رأتهـا قَـــــــــــــــــــــــــــــطْ إلاّ
روعـــــة تستـخـــفه لـم يرعهـا مـن رأى وجـــــه منـــــــكر
فـــاتِق الله ذَا الجـــلالَ وغـَـيـــرَ منـــــــكرا فيـك ممكـــــــن
أو فقصـــر منهـــا فحســبك منهـــا نصـــف شبـــــــــر علامـــة
لـــو رأى مثلهـــا النبـــي لأجـــرى فـــي لحـــى النـــــــاس سنـــــــة
واستَـحْـبَالإِخـفْـــــــاءِ فِيـــــــهن والحلـــق مكـــان الإعفـــاء والتْـــوفِيَرِ

فتلك لحية أهملت وفاضت في وجه صاحبها وكأنها مخلاة شعير فارغة متدلية في رقبة حمار ، وهذه اللحية مهما طالت وعرضت فلن ترفع صاحبها أو تزيده إكراماً . و شبه الشاعر بقوله "بغير شعير" على أن بيته الأول لا يخلو من غمز للمخاطب إذ يشبهه من طرف خفي بالحمار . وهذه اللحية الكثة المفرطة في الطول والعرض تزيد الشاعر إيماناً بانعدام العدل في كل شيء ، إن هذا الضرب من هذه اللحى لا يزيد صاحبه إلا بشاعة وقبحاً. فمن يلقه يملأ الفزع نفسه ، وهو يرى فيه ما هو أبشع وافزع من مرأى منكر ونكير يوم القيامة . ولكن بدون شعير ونصح صاحبها أن يجعل الموس يرعاها ويأخذها من جميع أطرافها وجعل محافظته عليه إثما كبيرا فإن الكوسج خفيف اللحية إذا رآها نسب إلى الله الجور والظلم في قسمة الأرزاق ،وقد طالت حتى غدت فرجة للرائحين والغادين متعجبين بل يصيحون الله أكبر للروعة الشديدة التي تأخذهم ،وأنها لأكثر هؤلاء من وجه ملكي القبر منكر ونكير ويدعوه أن يتقي الله ويغير هذا المنكر الذي يحمله في ذهابه وإيابه أوليقصرها على التذكير والرجولة ،يقول أن الرسول عليه الصلاة والسلام لو رآهالأبدل السنة وهو يشير في البيت الأخير إلى الحديث الشريف (احفوا الشوارب وأعفوا اللحى).

وقال ابن الرومي يهجو الشعراء[1] :

يقولـــون مـــا لا يفعلـــون مســـبَّة من الله مســبوبٌ بهـا الشـعراءٌ
ومـــا ذاك فـــيهم وحـــده بـــل زيـــادة يقـولون مـا يفـــعل الأمـــراءٌ

[1] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج١ ص ٥٢

وكذلك من أنواع الضرب الهجائي الفني الكاريكاتوري القائم على المبالغة في الوصف والتصوير المعبر عن الازدراء والتحقير ما قاله ابن الرومي في أنف المدعو (دبسا) وكان أنفا طويلا للغاية :[٢].

قولا لدبسٍ شرٍّ من يطأ التراب و يرمسُ
تبّا لدهر أنت فيهمقدم ومرأس
لو أنّ إبليسا رآك لكاد ذعرا يبلس
وإذا جلست أذى خشامكمن يضم المجلس
وإذا نهضت كبا بوجهك للجبين المعطس
فالأنفُ منك لعظمه أبدا لراسك يعكس
حتى يظن الناس أنك في التراب تفرس
إن كان أنفك هكذا فالفيل عندك أفطس
إذا جلست على الطريق ولا أرى لك تجلس
قيل: السلام عليكما فتجيب أنت ويخرس

ومن روائع هجائه القصيدة اللامية الشهيرة التي تعرض فيها لعمرو ، صاحب الوجه الطويل ؛وفي هذه القصيدة من الخفة والرشاقة والحركة والحيوية ، ما يُدمي المهجو ،وينتزع إعجاب القارئ أو السامع ،بالتجربة الفنيةالمكتملة لدى الشاعر ،حيث تتجسد في المهجوّ، عبر القصيدة ، ألوان الخزي الخُلقي والعائلي ، مضافة إلى قُبح الشكل والمنظر[١]

وجهك، يا عمرو، فيه طولُ وفي وجوه الكلاب ِطولُ
مقابح الكلبِ فيك طرّا يزول عنها ولا تزول
وفيه أشياءُ صالحاتٌ حماكما الله والرسولُ
فالكلبُ وافٍ، وفيك غدرٌ ففيكَ عن قدره سُفولُ
وقد يُحامي عن المواشي وما تحامي ولا تصول
وأنتَ من أهل بيتٍ سوءٍ قصّتهم قصةٌ تطولُ

---

[٢]المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٢٧٨.

[١] عبد الأمير على مهنَّا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج٥ ص ١٨٧

وجوهُـــهـــم للـــورى عِظَـــاتٌ لكـــــنَّ أقفـــــاهم طـــــبولُ
نستـــغـــفـــرُ الله قـــد فعـــلنا مـــا يفـــــعلُ المـــائق الجهـــولُ
مـــا إن ســـــألنا مـــــا ســـألنا إلا كمـــــا تُســـــأل الطُّـــــلولُ
صمَّت وعـــيَّت، فـــلا خطـــابٌ ولا كتـــــابُ، ولا رســـــولُ
مستفعـــــلنْ فـــاعلنْ فعـــول مستفعلـــــنْ فـــاعلنْ فعـــــول
بيـــتٌ كمعنـــاك لـــيس فـــــيه معـــــنى ســـوى أنـــّه فضـــول

الملاحظ ، أنه بدأ وصفه بتقرير حقيقتين :وجه عمرو طويل ، ووجوه الكلاب طويلة ؛ ثم يربط بين هذين الحقيقتين بحرف العطف ،فإذا بوجه الشّبه قد انعقد بين المهجو والكلب . ثم يمضي ابن الرومي في المقارنة والموازنة بطريقة منطقية متسلسلة : إن مهجّوه والكلب يشتركان في جميع مقابح الكلاب ، ولكنهما يختلفان بعد ذلك في أن الكلب ربّما تخلى عن مقابحه ،أمّا المهجو فمقابحه لا تزول؟ ويختلفان أيضاً في أن الكلب يتحلى بميزات صالحة يفتقر إليها المهجو؟ وهنا يبدأ ابن الرومي بالتفصيل وإيراد الحجج والأدلة والبراهين فيعرض لأخلاق المهجو: الكلب وافٍ والمهجو غادر ، ويعرض لشهامة المهجو :الكلب ذو نخوة والمهجو جبان نذل ،حتى إذا انتهى من شخص مهجّوه في شكله وأخلاقه وعزيمته التفت إلى أسرته ووصفها بأنها أسرة سوء . ثم يعرض لمنزلة المهجو فيجعله تافهاً لا قيمة له ولا حاجة إليه مثل مستفعلن فاعلن فعول .

ومثال آخر ابتلاه سوء حفظه بلسان ابن الرومي ،وهو أبو سليمان الذي كان مغنياً ومعلم صبيان . يقول [1]

أبُو سُلِيمانَ لا تُرَضَىَ طَرِيقَتُـــهُ لا فِي عَنَـــاءٍ ولا تَعلِيـــــمِ صِبْيـــانِ
له إذا جاوب الطنبـــور محـــتفلا صوت بمصـــر وضـــرب فـــي خُرَسَـــانِ
عواء كلب على أوتـــار مندفـــة في قبح قرد وفي استكبار هَامَـــــــانِ
وتحسب العين فكيـــه إذا اختلفـــا عنـــد النـــغم فكـــي بغـــــل طَـــحْانِ

(1) ديوان ابن الرومي ج ٦ ص ٢٨٨

فالشاعر بعد أن وضع العنوان وهو أن أبا سليمان غير نافعٍ في الغناء وفي التعليم ، بدأ بالتفصيل فتناول أولاً جهل أبي سليمان بأصول التلحين والملاءمة بين العزف والغناء ؛ ثم وصف صوت وعزف وشكل وأخلاق أبي سليمان ، وإذا في البيت صورة جمعت من عناصر القبح ما لا يمكن تخيله .وكأن ابن الرومي قد شعر بأنه لم يوفِ بعد أبا سليمان حقه فإذا به يتتبعه وهو يغني حتى يقف عند حركة فكّيه فيرى بغل طحّان . ولا يخفى ما في هذه التفصيلة من إمعان في التشويه .

وكذلك مثالاً آخر التقطته ريشة ابن الرومي ورسمته بهذه الصورة :

تخالـــه أبـــداً مـــن قـــبح منظـــره مجاذباً وتراً أو بالعاً حـــــجرا

كأنـــه ضـــفدع فـــي لجـــة هـــرم إذا شدا نغما أو كـــرر النظـــرا

فصور ابن الرومي المغني في ثلاث صور هي :صورة لجهد المغنّي وانتفاخ أوداجه كأنه يجاذب وتراً صعباً، وصورة لاختناق صوته كأنه بالع حجراً ضخماً ، وأخرى لصوته ونظراته وهو يغنّي كأنه ضفدع هرم ينقّ في الماء نقيقه الخشن المبحوح . ولا يخفي ما في هذه الصورة من تشويه للقبح : فالضفدع قبيح أصلاً ، إلاَّ أن ابن الرومي يزيد على هذا القبح عنصري الهرم والماء.

الفصـــــل الرابع

الهجـــــاء عند بن المعتز

الفصل الرابع

الهجاء عند بن المعتز

مولده ونشأته :

كان الشاعر العباسي عبد الله بن المعتز واحد من أولئك الشعراء الذين مثلوا تلك الطفرة التي عرفها الشعر العربي من شعر قديم ، فيأخذ أحذ شعرائها في بناء قصائدهم ومعجمهم وإيقاعهم وصورهم.

ولد في بيت الملك وموئل الخلافة ونشأ في باحة من النعيم ، فكان نبيل النفس دقيق الحس ، قوي الشعور بالجمال ، ولعاً بالأدب والموسيقى.عاصر ابن المعتز بعد وفاة والده أربعة من الخلفاء العباسيين هما المهتدي(٢٥٥-٢٥٦)، والمعتمد(٢٥٦-٢٧٩)، والمعتضد(٢٧٩-٢٨٩) ،والمكتفي (٢٨٩-٢٩٥)،عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ولد قبل وفاة جده بسامراء المتوكل عام (٢٤٧ هـ ٨٦١ م)للهجرة وبعد وفاة جده تولى الحكم بعد المنتصر والمستعين في الفترة ما بين (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) وعمره ما يقارب العشرين عاما كان جميل الوجه مرهف الحس رقيق الذوق والمشاعر ،مما انطقه بالشعر المصفـــّى، ونشئ في الحلية والزينة ،وعاش معيشة مترفة ناعمة وكان اتصاله بالدرس منذ نعومة أظفاره فمدحه البحتري وهوفي التاسعة من عمره قائلا:

أبَا العَبْاس بَرْزَتَ عَلَى قَوْمِكَ آداباً وأخْلاقاً وتِبـْـــــريـزاً [1]

فَأمَّا حلبة الشعر فَتسَـــتَولِي على السبق بها فَرَّضاً وتمييزاً

كان غزير الأدب وأفر الفضل ، حسن الأخلاق ، وقد أصاب من كل علم من العلوم وكل فن من الفنون وكان إلى ذلك شاعر مطبوعا رقيق الألفاظ مشبوب العاطفة، لقد أرهفت ابن المعتز وحياته وأبياته وثقافته ووجدانه بطبعه ملهم الشاعرية الفخري والاخوانيات، وخمرياته في دقة معاني ورقة تصوير، وكثرة تشبيهات وبلغ كذلك ابن المعتز في الوصف حد الجودة والإبداع ورسم صور صادقة لكل ما وقعت عينيه من مناظر طبيعية ومظاهر الحضارة ووصفه وصف وجداني، له موسيقي عذبه وفيه رقة وسلاسة وابتداع في

---

[1] تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ٣٢٥

الأسلوب وتجديد في التشبيه والاستعارة ويمتاز أسلوبه : بكثرة التشبيه وجودة التصوير وجزالة اللفظ ورقه يفيض بها شعره مع جمالا في ترف البيان وألوان البديع وتشيع في أسلوبه الصياغة الفنية الممتلئة روحاً وحياة وموسيقي ووضوحاً في دقة تصوير وقرب مآخذ وجودة قريحة في بعد فكرة ووحدة خيال.والمدرسة الأدبية التي يمثلها ابن المعتز هي مدرسة المحدثين التي قاد زمامها أبو تمام والبحتري[1]والتي امتازت بميزتين:

الأولي: هي التعمق في المعاني واستنباطها.

الثانية: هي صناعة الشعرالتي تطلب ألوان الجمال في الأداء وتعتمد علي الترف البياني في الأسلوب ومن جناس وطباق وتشبيه واستعارة وتمثيل، وألوان البديع عند ابن المعتز تشمل الاستعارة والتجنيس و المطابقة ورد العجز عن الصدر و المذهب الكلامي ، لقد أجاد في الشعر السياسي ، فنشأ شاعراً وناشراً حكيما بليغا وهو القائل في عبيد الله بن سليمان بن وزير المعتضد

وأبَهْجنَا ضَرْبَ الدنَانِيرَ بَاسِـمَهِ وَتَقْلِيْدَهُ مِنَ أَمَـرَنَـا مَـا تَـقَّـلَـدَا[2]

عَلِـيـمٌ بَأَعَـقْابِ الأَمُورِ كَأَنَّه شَعَرَهُ ذَاْتَ الظَنَّ يَسْـمَعُ أو يُـرَى

إذا أخذ القرطاس ظلت يمينـه تـفتح نـورا أو تـنظم جـوهرا

من سيرة شعره وكتاباته :

لنشأة ابن المعتز أثر ظاهر في شعره . فهو رقيق اللفظ ، سهل العبارة ، صافي الأسلوب ،لرقة طبعه وسهولة خلقه وصفاء خاطره . وهو بليغ الاستعارة رائع التشبيه دقيقالحس، ولطيف الشعور ،وامتلأ ذهنه بروائع الجمال وبدائع الخيال ورونق الحضارة .

كان يقول الشعر إرضاءً لنفسه وتصويرا لحسه ، فبري من كذب المدح ولؤم الهجاء ، وانصرف إلى وصف الطبيعة ومجالس الأنس ومطاره الصيد ومراسلة الإخوان . وله ولع بالبديع في حسن صوغ وقلة تكلف . ونثره لا يقل عن التخيل في نقاء الأسلوب وجودة اللفظ ودقة التخيل [3]

ولابن المعتز كتاب الزهر والرياض ، وكتاب البديع في صناعة الشعر وهو أول مصنف في هذا الفن ،جمع سبعة عشر نوعا منه ،كتاب مكاتبات الإخوان بالشعر ، كتاب الجوارح

---

[1] الحياة الأدبية في العصر العباسي تأليف الدكتور محمد خفاجي الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م ،ص ٢٢٥

[2]ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٤٠

[3] تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٢٠٤

والصيد ،والسرقات ،وأشعار الملوك ،وحلى الأخبار ،وطبقات شعراء المحدثين ، والجامع في الفناء ،وأرجوزة في ذم الصباح وقد طبع ديوانه بالقاهرة في جزأين لأبن المعتز الخلافة لليلة واحدة ثم قتل وكان ذلك سنة ٢٩٢ هـــ ٩١٠ م[١]

وقد يكون في ذلك مبالغة على عادة الشعراء في المديح ومن البيتين نرى إن ابن المعتز كان يهتم بالقراءة وأن موهبة الشعر بدأت تستيقظ في نفسه وهو صغير السن وكان أباه معجباً به مما جعله يضرب باسمه الدنانير ويسجل ذلك البحتري في مدحه طويلة يصور فيها جمال طلعته وشمائله الكريمة ثم يقول

وفي الشطر الثاني ما يصور إرهاصالبحتري لِلمعتز بأن يولـــِّى عبدا لله العهد ومضى يصرح بذلك ويطالب به ويهتف في وضوح ونراه في قصيدته يقول[٢]

ومَلْيتُ عَبْدالله أنَّ سَمَاحَة هُو القُطْر فِي إسَبْاله وأخُو القُطُرِ
شفعتُ إليهِ بالأمامِ وإنَّما تشفعتُ بالشمس اقتضاءِ إلى البْدرِ

دائم الإحساس بآلام الحياة وما تكتظ به من كوارث وفواجع ،كبرها في نفسه وخياله ما كان ينعم به في صباه من ترف وحياة لاهية لم تلبث أن حفت بها الدماء المسفوكة ،دماء أبيه ،وكذلك النفي والتشريد ، فإذا النعيم يصبح جحيما ، وينقضي عهده إلى غير مآب ، وبذلك يقول ابن المعتز باكيا صباه بدموع غزار[٣]

لَهْفِي عَلَى دَهْرِي الصبَا القَصيِر وغَضْة ذِي الوَرْق النَّضيِرِ

وسُـــكْـــره وذنبـــــه المَغْفُور ومـــرح القلوب في الصُدُورِ
وَطُولُ حَبْلُ الأمَـــلَ المَجَرُور في ظـــل عيش غافل غَدِيرِ

ومضت الأيام وتولى المعتمد الخلافة لسنة ٢٥٦ وأخذت شئون القصر تستقيم ،فلم يعد للأتراك تسلطهم ولاستطاعتهم على الخلفاء ،فاهتمت جدته المعتز بتربيته وتعليمه وأحضرت له المعلمين في الفقه والحديث والأدب واللغة ، ويبدو أنه كان يلتقي بالمبرد وثعلب في أثناء زياراتهما لسامراء قبل انتقاله ونزوله ببغداد لسنة ٢٧٦ .

وقد نشأ منذ حداثته علي المكرمةً وأصبح يأخذ من أعلام عصره مثل المبرد وثعلب أحمد بن سعيد الدمشقي ، ويظهر انه لم يُعْنَ بالثقافات الأجنبية إلا قليلا،وقد ذكر لنا

---

(١) موسوعة شعراء العصر العباسي عبد عون الروضان الجزء الأول ص ٢٩
(٢)تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ص ٣٢٦
(٣)المرجع نفسه ، ،ص ٣٢٦

مواد ثقافته في شعر يخاطب به مؤدبه ابن سعيد إذ يقول [1]

أصبحتَ يا ابن سعيد حُزْتَ مكرمــةً عنها يقصِّر مَنْ يَحْفَي وَيَنتَــعْــــــلُ
سَرْبَلْتَنْــي حكمةً قــد هذّبتْ شِــيمَي وأجَّجَتْ غَــرْبَ ذهْنــي فهْــوَ مُشْــتَعِلُ
أكــون إن شئتُ قُساً في خطــابــته أو حارثاً وهُــو يــوم الفخــر مُرتْجــلُ
و إن أشأ فكزيدٍ في فرائضهِ أومثــل نُعْمانَ ما ضاقتْ بــــــيّ الحِيـــــــل
أو الخلــيــل عروضيــاً أخــا فطنٍ أوالكــسـائيِّ نحــويًّا مركبــَهــــا
تغلي بداهة ُذهنــي في مركبــــَها كمثل ما عـــرفــتْ آبــــــائيَ الأوَلُ
عُقبْــاك شكرٌ طــويــلٌ لا نفاد لــه تبــــقى معـــالمُه ما أطّلــَت الإبــلُ

ونلمح من هذه الأبيات إنه تلقــَّن عن ابن سعيد ما يكون به خطيبا فصيحا ،ولايقل عن قُسّ إياد في خطابته التي اشتهر بها بين الجاهليين وشاعرا كالحارث بن حلــِّزة في شعره وبداهته ، وماهرا في علم الميراث كزيد بن ثابت ،وفي علم الفقه كأبي حنيفة ،وبارعا في العروض كالخليل بن أحمد الفرهيدي وفي النحو واستنباط علله كالكسائي وهذه هي مواد ثقافته وهو في سن الثالثة عشرة ،ولم يذكر بينها فلسفة ولامنطق وهذا يدل على أنه كان نهما بالقراءة وطلع على شيء من الفلسفة وبعض كتب الفلك والتنجيم مما يظهره واضحا في شعره، ولعل من الطريف أن نجده يقول[2]

ولا تفزعن من كل شيء مفزع فما كل تربيع النجوم بضائر

وكأنه كان يتشكك في حسابات المنجمين وما يزعمون من طوالع السعد والنحس ومنح جل وقته للشعر والأدب وانصرف عن السياسة وشئون السلطان ففرّغ نفسه للحياة الأدبية ، وانفق في ذلك أعواما كثيرة .

كان يقرا كتابات سابقيه ويفكر فيما يقرأ ناقلا ومحللا ، فما أدى ذلك إلى تأليف كتابه " البديع " وضع فيه الفنون العلمية الدقيقة فهي منثورة في القران الكريم والحديث النبوي وأشعار الجاهليين والإسلاميين، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب الزهر والرياض ومكاتبات الإخوان بالشعر وكتاب الجوارح والصيد وكتاب فصول التماثيل في الشراب

---

[1] الفن ومذاهبه تأليف د شوقي ضيف دار المعارف بمصر ص ٢٦٣
[2] تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ،ص ٢٤٩

وآدابه، وكتاب السرقات و" طبقات الشعراء " ذائع مشهور وهو يصور ثقافة واسعة بالشعر العباسي الحديث وكانت له نظرات نقدية طريفة وذوقا مهذبا صافيا .

وكان يهتم في بداية حياته بالغناء والموسيقي ،وفي ذلك يقول أبوالفرج الأصبهاني " كان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقي والكلام على النغم وله في ذلك من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه "

وكان ابن المعتز يأخذ بنصيب غير قليل[1] من متاع الحياة وكأنه ورث عن أبيه كل مزاجه ، إضافة إلى حياة القصور المترفة التي كان يعيشها إلى اللهو ،مما جعله يفتح بيته للندماء ، وكان أكثرهم من الشعراء أمثال النميري ، وكانت تجري مراسلات شعرية طريفة ،وعلى مهدي الأصبهاني وبينهما مكاتبات بالأشعار ومجاوبات وأن مجلسه لم يكن لهو خالصا فقد كان يقصده علماء اللغة والأدب وفي مقدمتهم المبرد وثعلب أستاذاه وصديقاه ويقول الصولي في ترجمته له بكتابه الأوراق :" كانت داره مغاثاً لأهل الأدب وكان يجالسه منهم جماعة " ولعل فيما سبق هذه هي العناصر التي كونت لنا شخصية ابن المعتز الأدبية فهو عربي عباسي يعتز بعروبته وأسرته،ولد في القصر العباسي واخذ عن أبائه الرشيد والمتوكل وحياة اللهو والطرب وقد يكون في ذلك بعض البواعث عنده على الإحساس المادي للأشياء ويعتبر هذا الوصف الذي يلاءم مزاجه المترف ،كما كان يلاءم عقله الذي يعيش في النعيم فلا يستطيع أن يتعمق الأشياء وإنما كان يقف عند ظاهرها الحسي المكشوف ،وقديما أشار ابن الرومي إلي تأثير بيئته المترفة في شعره فهو الذي يصف به بيئته، لأنه ابن الخلفاء وهو مشغول بالتصرف في الشعر وطلب الرزق به فنجده تارة يمدح ويهجو ويعاتب وأخري يعطف وابن الرومي يلاحظ التأثير المادي المترف للبيئة على ابن المعتز.

وعنصر آخر اشترك في تكوين شخصيته الأدبية بقوة ،وهو عنصر ثقافته الإسلامية ،وقد جعله ذلك أقرب إلى ذوق المحافظين منه إلى ذوق المجددين ،مما أدى ذلك إلى انقسام بيئات النقاد في عصره إلى مجددين مسرفين في التأثر بمقاييس البلاغة اليونانية وتحكيمها في الشعر العربي من جماعة المترجمين ومن التف حولهم ،ومحافظين مسرفين في رفض هذه المقاييس والتأثر بالمقاييس العربية الخاصة من جماعة اللغويين أمثال ثعلب والمبرد

---

[1] تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ٣٢٨

والبحتري من الشعراء ،ومعتدلين يتأثرون بالضربين من المقاييس دون إفناء الشخصية الأدبية العربية في المقاييس الأجنبية من أمثال أبي تمام وابن الرومي وجدناه يأخذ صف المحافظين لتعمق إحساسه بعروبته وتغلغل الثقافة العربية الإسلامية في نفسه .

ويصرح بذلك في كتابه البديع الذي أنشاه ، و يثبت أن كل ما استحدثه العباسيون المستظهرون للثقافة اليونانية الفلسفية ليس مستحدثا في حقيقته ،بل هو مستمد من أصول قديمة في الشعر الجاهلي والإسلامي والقرآن الكريم والحديث النبوي وعلى الرغم من ذوقه المرهف وحسه الرقيق كان ينحو نحو المحافظين في فهم الشعر ونقده ونظمه ، وكتابه "طبقات فحول الشعراء المحدثين " يدل على ثقافة واسعة بالشعر العباسي ؛ إذ سخرها كما يتضح في كتابه " البديع " لإثبات أن العباسيين لم يأتوا بشي ذي بال ،وان كنوز الشعر العربي لا تزال مفتوحة على مصاريعها ليشتق العباسيون منها.[1]

ويدور شعر ابن المعتز حول ماكان ينعم به من رغد العيش ،وعنى خاصة بالغزل والخمريات ومجالس الشراب ،ولم ينس خصوم أسرته من العلويين ،فوجه إليهم تهديدات شديدة اللهجة ،وله منظومة في ذم الصبوح ،وهي أقرب إلى الهزل منها إلى الجد ،وقد دافع عنه أبو الفرج الأصبهاني فقال :" وشعره غني فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين وفيه أشياء تجري في أسلوبه ،ولايقل عن مدى السابقين، مثل أشعار الملوك في جنس ماهم بسبيله ،وليس عليه أن يشابه فحول الجاهلية ،بين ندامى وقيان ،وعلى ميادين من النَّور والنرجس ومنضود من أمثال ذلك وأن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السَّبْط (السهل) الرقيق الذي يفهمه كل من حضر إلى جعد الكلام ووحشيِّة وإلى وصف البيد والظبي والظليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة ،وإذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مسيء ،ولا أن يُغْمَطَ حقُّه كله إذا أحسن الكثير وتوسَّط في البعض وقصر في اليسير ،وينسب إلى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطيّ المحاسن فلو شاء أن يفعل بما تقدم لوجد مساغاً"

ويتميز ابن المعتز بأنه شاعرا محسنا ،غير أنه أميرا مترفا ،ولم يتح (يتيح) له ترفه أن يتعمق الثقافة والفلسفة ،وعلى نحو ما تعمقهما أبو تمام وهو كذلك لم يتعمق وسائل

---

[1] موسوعة شعراء العصر العباسي عبد عون الروضان ٢٢٩

التصنيع الحديثة ، نفاه لم يعرف العمق في شيء ، إنما عرف اللهو والنعيم وعبر عن ذلك أجمل تعبير بقوله :[1]

شَرْبَنَا بالكَبْير وبالصْغِيرِ ولَــمْ نَحْفَلُ بأحـــــــدِاثَ الدُهُورِ

لقد رَكْضَتَ بِنَا خَيْلُ المَلاهِـــي وقد طرنا بأجنحـــة السِــرُورِ

فحياته كانت مترفة ، ومثل هذه الحياة لا تؤهله لتفكير عميق ولا لتعقيد في التفكير ،إذ تقوم على الأشياء القريبة ، وقلما تعب صاحبها في حياته العقلية والمادية .

وليس معنى ذلك أن ابن المعتز كان من ذوق الصانعين ،فقد كان من المصنِّعين ،فالتصنيع والزخرف أساسيان في حياته وفنه ،ويحدثنا صاحب الأغاني أنه بدت فيه منذ نشأته نزعة إلى الغناء والموسيقي ضاعفت حسه بالجمال ، وذكر له كتب في الغناءكما ذكر له ادوار غنَّى فيها ،وأن من يعيش مثل هذه المعيشة ولا يمكن أن يكون ذوقه بسيطا ،فالترف لا يتيح بساطة في الحياة ، بل هو يتيح ضربا معقدا من التصنيع في شئونها .

كان ابن المعتز شاعرا مصنَّعا من أصحاب مذهب التصنيع ،وكان يعجب به إعجابا شديدا دعاه إلى أن يكتب في أدواته وزخرفة كتابه (البديع) وهو يشهد بأنه كان فنان عالما يحسن وضع المصطلحات الفنية ، ولكنه لم يتعمق في فهم جوانب التصنيع وزخرفه عند أبي تمام ،فهم الزخرف الحسي ّ زخرف الجناس والطباق والتصوير والمشاكل ،لكنه لم يفهم الزخرف العقلي ، ولذلك لم يسقط في كتابه أي تعريف بلون من ألوانه سوي ما سماه بالمذهب الكلامي وقد نقله عن الجاحظ دون فهم واضح له ، عابه بما فيه من تكلف ، ولو أن ابن المعتز كان متعمقا في فهم وسائل التصنيع وزخارفه وكم هذا التصوير الذي كان يستغله أبا تمام في التعبير الرمزي عن أفكاره العميقة.

وهو كذلك ليس هذا التصوير الفلسفي الذي يُمزج بتوافر الأضداد ولا التصوير الحسي الذي يحلله أبو تمام إلى أصباغه التي تحدثنا عنها من تجسيم وتدبيج وتشخيص ، إنما هو تصوير من نوع آخر لا يحتاج تأملا عميقا ، أو بعبارة أدق صبغ آخر من أصباغ التصوير ويقصد به " صبغ التشبيه"وكان النقاد القدماء يعرفون له هذا الجانب ،يقول ابن رشيق : إن ابن المعتز يغلب عليه التشبيه ويقول صاحب معاهد التنصيص هو " أشعر الناس في الأوصاف و التشبيهات،وامتلأت به كتب النقد والبلاغة بأوصافه ، وأشاد به عبد القاهر

---

[1] د شوقي ضيف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) ص ٢٦٥

الجرجاني في غير موضع من كتاباته، وطبيعي أن يعدل ابن المعتز بتصنيعه إلي التشبيه لأنه لا يحتاج بعدا في الخيال ولا عمق في التصوير ، وليس من شك في أن مقدرته ممتازة ، تلك التي استطاع بها ابن المعتز أن يحول صبغ التشبيه أليماً يشبه اللون الأخضر ممثلا في الطبيعة واظهر بذلك مهارة واسعة في هذا النوع من أنواع التصوير إذ عرف كيف يحول صبغا محدودة إلي صبغا واسعة ثم أخذ يستخرج منه أوضاع آخري حتى لا يحس قارؤه بتكرار في المنظر ؛ فهو لون ونوع واحد ، ولكن الشاعر جعلنا نخطئ في الحس والتقدير ، ونظن أننا نرى لونا واسعا له أوضاعه الكثيرة التي تنقلنا من عالمنا الحسي إلى عالم خيالي واهم ، إذ يقول في النرجس[1] :

كأنَّ أحْدَاقَهِا فِي حُسْنَ صُوْرَتَها مَدْاهُنَّ التِبر فِي أوْرَاق كَافُــورِ

أو يقول فيه [2]:

كأن عيون النّرجْس الغَضِّ حولها مداهنُ دُرٍّ حَشْوُهنَّ عقيقُ

ويقول في النارنج [3]:

وأشجار نارنج كأن ثمارها حقاق عقيق قد ملئن من الدرِّ

وأول ما نقف عنده المديح الذي تتضح لنا فيه شاعريته التي تعبر عن عاطفة صادقة حارة وخير مدائحه رائيته التي يستهلها بقوله

سَلْمْتَ أَمَيرَ المُؤمِنِينَ عَلى الدَّهَرِ ولا زِلَتَ فِينَا بَاقَيْا وَاسِــعَ الــعُــمْــــرِ[4]

حَلْلَتَ الثُرَيَا خير دار ومنـــــزل فلا زال معــمــورا وبــورك من قِصَــرِ

فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا بني الناس مشبـــــه ولا في ما بناه الجن فــي ســالف الــدْهَرِ

والثريا مجموعة من الدور والقصور بناها المعتضد ومن حولها البساتين والرياض ،وقد صورها ابن المعتز تصويرا رائعا ، إذ يقول في نفس القصيدة[5] :

وأنْهَارُ مَاءِ كَالسَّـــلاسَل فَجْـــرَّتَ لِتُرضعِ أَوْلادَ الرَّيــــَاحِين والزَهَـــرْ

جِنَّانٌ وأَشَــجْارٌ تلاقــت غصونـــــها فأورقن بالأثمــار والــوْرَقَ الخُضَــرْ

---

[1] الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، لشوقي ضيف ص ٢٦٨

[2] المرجع السابق ،ص ٢٦٨

[3] المرجع السابق ص ٢٦٨

[4] (تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف في العصر العباسي الثاني ، ص ٣٣٨

[5] المصدر نفسه ، ص ٣٣٨

تَرَىَ الطير فـــي أغصـــانهن هواتفـــاً تنقل من وكر لَهُـــنَ إلِـــى وكـــَـــرْ

أغراض شعره وموضوعاته:

أفرزت الحياة في الحواضر العباسية مفاسد ومقابح لم يكن للعرب عهد بها من قبل فكان بداية للتحلل الأخلاقي ،والإيغال في المعاصي والفواحش ، والإغراق في الخمرة ، كل ذلك وغيره كان من مظاهر الحياة الشاذة في الحواضر العباسية في ظل التأثر بالعادات الفارسية التي فرضت سماتها على الدولة الجديدة .

كل ذلك أدى لظهور الفتن السياسية بين الأحزاب،والصراعات حول السلطة ، ولعل ما غرقت فيه المدن من حياة لاهية ماجنة، وما تكالب عليها مترفوها من فسوق وانحراف وانغماس في الملاذ والشهوات،مما ألحق الله بهم العقاب بهم فصب غضبهم عليهم محنا ونكبات وحروب مدمرة ،عفت محاسنها ،وطمست على معالم بهائها وعمرانها وزينتها.وذلك حكم الله في كونه:يهلك القرى بظلمها ، مصدقا لقوله تعالى:﴿ وإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[1]

وفي هذا المعنى القرآني قال ابن المعتز[2] :

دَاْمَ كَـــرَّ النَّهَـــارَ والليَّـــلَ مَحْثَـــوثَينَ ذَا مُنـــَـــــْه وذَا مَنـــُـيـــَـــمُ
ورَحْىَ تَحْتـــَـــــنَا وأَخْـــرَى عَلْيَنـــا كـــل مـــن فيـــها طحـــين هَشِـــيَمُ
وســـــَـــرْورُوكـــــربة وافتـــقـــــار وبريـــق لزخـــرف لا يـــَـــــدْوَمُ
ومَعْـــــــافِى وذَو سِـــــــقَام وحـــــى وحبـــيس تحـــت التـــراب مُـــــقْيمُ
وغَـــــــوْى عـــــاص وبـــرتـــــقي واســـتبان المحمـــود والمَذُمَـــــومُ
وبَخيـــــــلْ وذو سخـــــاء ولـــــولا بخـــل هـــذا مـــا قيـــل هـــذا كَـــريمُ
وتَـــرْىَ صـــنعة تخبـــر عـــن خالقنـــا خالقنـــا أنـــه لطيـــف حَكْيـــــَم

يستهل الشاعر إحدى قصائده بمقدمة فنية تدبر فيها حكمة الخالق في كونه وخلقه ، فإذا سنة الحياة تقتضي ألا يدوم شيء على حاله ، وإذا رحى الأيام ترصد الخلق وتحركاتهم وتحيلهم هشيما، فلا يصفو النعيم لأحد وتفسر هذه الأبيات صنعة الخالق ،والمتدبرة في الكون وما اقتضته فيه سنة الحياة من تغير وتحول.

---

[1] سورة الإسراء الآية ١٦

[2] النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ،د . حسن عبد العليم يوسف ، ص ٢١١ .

فالرثاءنجده قليل في شعره وأن ما نظمه في صديقه المعتضد فقد حزن عليه حزنا شديدا ، إذ أحس أن أيامه أنسه عادت ظلاما فقد طوت المنية صديقه الحميم ، وطار قلبه فزعا ،واسودت الدنيا من حوله ،

وقد مضى يرثيه على ما بذله في الدولة وحمايتها يقول[1]

يـــا سَـــاكَنَ القَبْـــرَ فِـــي غَبَـــراءِ مُـــظلِمَةٌ بالطَاهِرِيَّةَ مَقْصِي الدَّارَ مُنْـــفَـــردَا

أيَـــنْ الجُيُـــوشَ التـــي قـــد كنـــت تســـحبها أين الكنوز التي لـــم تُحَصِـــها عـــددَا

أين السَرِيرُ الـــذَّي قَـــدْ كُنْـــتَ تَمْـــلَوهُ مهابة، من رأتـــه عَيْنَـــه ارتِـــعَـــدَا

أين الرِّمَاحُ التـــُّـــــــي غذيـــتها مُهـــجاً مُذَّ مُتَ ما وردت قلبـــا ولا كَبَـــدَا

ويصور لنا تحسره على قصره الثريا ووصائفه وملاهيه ، وكأنما أصبح طللا مهجـــورا، ولكنه لم ينظم فيه قصائد إنما ينظم أبياتا قليلة يبكي فيها قدرته الكتابية والسياسية في الحكم والتدبير من مثل قوله[2]

هَذَا أبو الـــقَاسَم فِـــي نَعْشِّـــه قُومُوا انْظُرُوا كَيْـــف تَسِـــير الجْبَـــالُ

يـــا ناصـــر الملـــك بآرائـــه بـــعدك للملـــك لـــيـــال طـــوال

ولقد استطاع ابن المعتز أن يسبق بزمن طويل شعراء الأندلس حين مزج عاشق:شعراء الطبيعة والرثاء فقال في صورة شعرية بديعة لقبر عاشق :

مررتُ بَقْبَرِ زاهرٍ وَسْطَ رَوْضـــة عَلِيه مِنَ الأنوارِ مِثْـــلُ الشَّـــقائِقُ

فقلتُ : لمنَ هذا ؟ فقـــالَ الثـــرى ترَّحمَ عليه أنَّه قَبْرُ عـــَـــاشـــق[3]

إن مثل هذه الصورة تعتبر مقدمة مبتكرة لمزج شعر الطبيعة بالرثاء عند شعراء الأندلس بعد ذلك بقرنين من الزمان[4]، وظهر في شعر ابن المعتز الفخري لون جديد من الشعر اكتسبه من الحضارة العباسية هو مزج بين الفخر والطبيعة

---

[1] تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ص ٣٣٩

[2] الديوان ص ٣٨٩

[3] ديوان ابن المعتز ٢/ ١٩٥

[4] الشعر والشعراء في العصر العباسي ، د مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ١ ، ١٩٧٩ ، ص ٧٨٧

وفي شعر ابن المعتز حنين،يصور شجاعته في الحروب وفروسيته وهو يحاكي القدماء في حماستهم ، ويفخر بأسرته وبجده العباس عم الرسول ﷺوبلائه في موقعة حنين ، وبشجاعة آبائه وعمومته وبلاغتهم ، وفي ذلك يقول:[٥]

إنَّا لِنْـنَـــتَاب العـَـــدْاة وإنِّ نَــأوا ونَهْزَ أحْشَــاءِالبِلاد جــُمُوعـــاً
ونـــَقْول فوق أَسُـــــرة ومَنــَابـــر عَجَباً من القول المصيب بَــدِيَعْاً
قَـــوْمٌ إذْا غَضِـــبُوا علـــى أعـــدائهم جروا الحديــد أزجه ودَرُوعـــاً
وكـــأن أيــديـــــنا تنـــــفر عنـــه طيرا على الأبدان كـــن وقوعا

و كان كثيرا ما يوجه فخره بأسرته إلى العلويين ، مبين أن بيته أحق بالخلافة فظل في صراع مع العلويين طوال عصره مما جعل يكثر من وعيدهم وتهديدهم يحاول في هذه المقطوعات وقصائد مختلفة أن يستل البغض من نفوسهم على شاكلة قوله :[١]

بَنْي عَمْنَا عَودُوا نَعُد لِمَــودِة فإنَّا إلِى الحُسْنَى سِرْاعُ التَّعَطَفْ
لَقَدْ بَلْغَ الشَيْطَانُ مِنَ آل هَاْشِم مبالغة من قبل في آل يُوْسِــفْ

فهم في رأيه بيت واحد وإخوة يجب أن يتحابوا ولا يتباغضوا ويتقاطعوا كما حدث بين إخوة يوسف عليه السلام وبينه ،ويبدو لبعض معاصريه لامه على ما يوجه للعلويين من لؤم وأشاعوا انه يسب علي بن أبي طالب .

وفي ديوانه مقطوعات غزلية ولكنها لا تنبئ عن حب حقيقي كان يكتوي بناره ، وإنما هي استهلالات لقصائد تصدر عن ود ، وكأنه مثله من أبناء القصور لا يستطيع الحب أن يتعمقه، لذلك كنا نفقد عنده الإلحاح في الطلب والأمل والشوق المبرح والتضرع الحار ،وكل ما نجده هو حب الشباب المترف الذي لا ينبع من أعماق النفس والقلب أو قل هي أبيات نشر و شره علي سبيل الدعابة من مثل قوله:[٢]

وابلائي من محضر ومغيــب وحبيب مني بعيد قريــب
لم ترد ماء وجهــه العــين إلا شرقت قبــل ريها برقيب

---

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٨
[١] تاريخ الأدب العربي ،لشوقي ضيف ص ٣٤٠
[٢]المرجع نفسه ، ص ٣٤٢

فهي أبيات لا تصور عذابا في الحب ولا ألما من ناره المحرقة، إنما هي أقرب ما تكون إلي الدعابة وختم البيت الرابع بقوله " ويا" كما يقول الناس يا أختي ويا... مستغني بذلك عن الشرح وتحول هذا التعبير إلى لون من ألوان البديع سموه باسم الاكتفاء .

ولعل نشأته المترفة في قصور أجداده وما كانت تموج به جوار وقيان ،وما أشربت به نفسه منذ صباه من جمال ، ورهافة إحساس ، وميل طبيعي نحو اللهو والغناء . إلى جانب التأثيرات الاجتماعية القوية، وشيوع المجون والجواري في عصره ، فجاء ديوانه بمختلف ألوان الغزل .

لقد كان شعر التغزل الماجن هو اللون الماجن هو اللون الغزلي الذي تقدم فيه ابن المعتز فصار قبلة الشعراء من بعده ، ولا يتهالك في طلب الوصل كما كان شأن الشعراء العذريين ،وإنما تأبي نفسه إلا يعيش منعما وراء اللذة الحسية ،فقال[1]:

لَقَدْ نَشَزَتَ نَفْسَـــي اللُجُــوجَعلى عَقلـــي نَشْوزُ فَتَاةِ السُّوء صَدَتْ عن البْـعَـــــلِ
أبِّي الوْصَــلِ إلاَّ أنَّ أعَـــيْشَ مُنْــعَمَاً خِلَافِ مُحِبٍ مَــاتَ فِــي طَلَْــبَ الوْصَــلِ
بَرِيتُ إلى العُشَّاق مَنَ حَـــــبَّ واحــدٍ أصابره حـــتى يمل الهوى قَـــلْـــبِي
رَسُوْلِي إلى ذا لا يفـــر ونَظـــــرتي لهذا وقــلبي عـــند ذاك علـــى رَجُـــلِ
وكَمْ من حبيب قد قطـــعــت وصـــاله فـــمـــا ذهـــبـــت نفسي عليه ولا عَـــقْلِي
فَهْذَا هو الحب الذي فيـــه لذة وحـــب جمـــيل كان عـــنـــدي مـــــن الجَهْـلِ

وهولا يعترف بحب جميل ، نجده يتقمص شخصية عمر بن أبى ربيعة ، فإذا هو فتى يحظى بإعجاب النساء ومواصلتهن

وليست مواهب الشعراء واحدة في ميدان الوصف ، وإنما " الناس يتفاضلون في الأوصاف، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم من يجيد وصف شيء ، ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها ، وإن غلبت عليه الإجادة في بعضها :كامرئ ألقيس قديما وأبى نواس في عصره ، والبحتري وابن الرومي في وقتهما ، وابنالمعتز ، فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف "

---

[1] النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ،د . حسن عبد العليم يوسف ، ص ١٦٩

كان ابن المعتز أحد شيوخ الوصف في عصره، التقطت مخيلته كل ما وقعت عليه عينه من مظاهر الحضارة، فوصفه في شعره في رقة وسلاسة ودقة ملاحظة وتمكن من اللغة وحدة ذكاء وخصوبة ذهن.

لم يقف عند حدود وصف بيته الوارف النعمة والثراء وإنما تعدى للمدن والسفن ووسائل الثقافة وغيرها من مظاهر الطبيعة بمنتزهاتها وبركها وغاباتها وجبالها ورياضها وأزهارها وسمائها وحيواناتها ، وشعر الطبيعة كما عرفه أحد الباحثين هو " الشعر الذي يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه .والطبيعة تعني شيئين :

الحي مما عدا الإنسان ، والصامت كالحدائق والحقول والغابات والجبال وما إليها[1]

أما السماء فقد تصورها ابن المعتز وقد انتثرت فيها نجومها، برياض بنفسج خضله موردة، وما ورودها إلا نجومها المتلألئة:[2]

ومُوَقرةٍ بَثْقِلَ المْاءِ جَاءَتْ تُهَادِي فَوْقَ أَعْنَاقُ الرِّيَاحِ
فَجْاءَتَ ليلها سحا ووبلا وهطلا مثل أفواه الجَرِاحِ
كأنَّ سَماءِهَا لَمْا تـــــجلت خلال نجومها عند الصْبَاحِ
رِيَّاضُ بَنْفَسَ جَخضل نداه تفتح بيــنه ورد الأقـــاحِي

ومما قاله الشاعر في المزن في صورة حضرية طريفة قوله:[3]

ومُزْنَه جَادَ مِنَ أَجَفْــانَها المَطَر فَالرُّوضُ مُنْتَظَــمُ والقُــطْرُ مُنْــتَشِر
تَرَى مَوَاقِعْهَا فِي الأَرْضِ لائحةٌ مُثْــلُ الدَرِاهِــم تَبْــدو ثُــمَ تَسْتَــتَرُ
ما زالَ يَلْطُمُ خَدَهُ الأرض وإبلها حتى وقت خدها الغدران والخُــضِرِ

ولا تبدو ظاهرة الزهد التي استفاضت[4]في المجتمع العباسي ذات علاقة مباشرة بابن المعتز ولم تكن أطايب الحضارة ومباهجها وملاذها هبة لجميع الشرائح المجتمعية ،وإنما كانت وقفا على طبقة بعينها هي طبقة الوزراء والولاة والكتاب وكبار الموظفين والتجار وغيرها من كانوا من الطبقة العليا من المجتمع وهي طبقة استبدلت بالمال والثراء الفاحش ،

---

[1] شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د . سيد نوفل ، دار المعارف _ القاهرة ، ط٢ ، ص ٢٣ وما بعدها .
[2] المرجع نفسه ،ص ٣٠٥
[3] المرجع نفسه ، ص ٢٣٤
[4] النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ،د . حسن عبد العليم يوسف ، ص ١٩٧

وعاشت في مستوى من البذخ والإسراف ، في حين كانت الحضارة عبئا على الطبقات الدنيا في المجتمع وهي الشريحة التي حرمت من ضرورات العيش تكبدت الفقر

وكان ابن المعتز أحد هؤلاء الشعراء الذين بدوا حياتهم عاكفين على المجون مشتطين في طلب الملذات ، وانتبهوا من الغفلة عائدين إلى رحاب التوبة ، مستجيبين إلى نداء العقل فقال عن دنيا أقبلت نحوه زمنا ثم نكصت على عقبيها وأسلمته لوخز الضمير : "وعد الدنيا إلى خلف ، وبقاؤها إلى تلف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد أمانها الفجع ، طوَّاحة طرَّاحة ، آسية جراحة ،كم راقد في ظلها قد أيقظته ، وواثق بها خانته ، حتى يلفظ نفسه ،ويودع دنياه ،ويسكن رمسه ، وينقطع عن أمله ، ويشرف على عمله ، وقد رجح الموت بحياته ،ونقض قوى حركاته ، وطمس البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ،وصار كخط من رماد تحت صفائح أنضاد ؛ وقد أسلمه الأحباب ، وافترش التراب ، في بيت نجرته المعاول ، وفرشت فيه الجنادل ،مازال مضطربا في أمله ، حتى استقر في اجله، ومحت الأيام ذكره ،واعتاد الألحاظ فقده ويعمد ابن المعتز إلى زهدياته يحملها رسالة إلى ذوي السلطان ،يذكرهم فيها أن كل شي في الدنيا إلى أمد، وأن رحى الموت تدور بالضعيف والقوى ،تحصد ما يزرعه الإنسان في طور جبروته ، وتهدم ما يبنيه المرء في أوان قوته ،وأن كل الناس رهن للبلى ،وسكان للثرى ،وأقران للردى ، كانت نصيحة الشاعر للمكوك أن يلوذوا بالواحد الأحد ، مستغنين به عن الحياة الفانية ، ومن هنا توالت عظات الشاعر[1] :

كَمْ تَحْتَ أَرْضَ وكَمْ عَلَيْهَا وكَمْ ثَوْى مَعْشَرٍ وزْالُوا
وكَمْ مُلْوكَ في الأرض صرعى قد نغصوا لَذْة ونالُوا
وقَتْلَهُم البَّأس صافنات وأسْلَ ذبل طِوال
وكُلِّ ذِي شفرة رسوب سَالَ على متنته الصِقالُ
وجَحْفَل مُلِبْسَ حديدا تَهْتَزُ من رزه الجَبْالِ
فَتَلَكَ أطلاهم قفار تَحِنُ في ربعها الشَمْالِ
كَذْاكَ مَا تَصْنَع الليالي والدَّهْرُ في حَبْلِه انِفِالِ

[1] النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ،د . حسن عبد العليم يوسف ، ص ٢٠٢

الدهر خير قارع ومنبه للغافلين ، يهجم بالردى على الملوك الجبابرة في صياصيهم ، ويغصّ الرضيع بحلبيه ،ومن ثم يهيب الشاعر بالناس أن يقذعوا أنفسهم إن هي مالت إلى النزوات ،ويأخذوا حذرهم من يوم تشخص له الأبصار ،وتذهل له المرضعة عن رضيعها ، وأن ينزعوا إلى المتاب والفناء في عبادة الله ،فيقول [٢]:

يـــا دَهـــْـــرُ يـــا أبـــا العجب يا طـــارقا بالهـــمـــوم والكـــُـــــرُوبِ
يا خَـــائِـــناً عِنْد أَمَـــنْ صاحبه ويا معـــص الرضيـــــع بالحـــــَـــــلبِ
يا هَاجِـــمَاً بالردْى على الملك الجبـــــار خلـــف الأبـــواب والحُجِـــبِ
يا غازياً أنـــفس الأنـــام علـــى دهـــم وشـــهب يركضـــن بالعُطْـــبِ
يا رَافَعْاًوهـــده بـــوضع ربـــى وجـــاعـــل الـــرأس تابـــــع الذَنَبِ
يا كُلَّ شيءٍ يَسُوء يا شـــر من أكـــد ميـــثـــاقـــه لمـــَـــطـــَـــلْبِ
حِذاراً يَا مَعْـــشَـــرَ العبـــادِ ولا يغـــرركـــــم بالخـــــداع والكِـــذْبِ
لا تَحْسَبُوا كل مـــوقد لقـــرى إيـــــَّـــاكُمُ يا فَـــراشَ مِـــنَ لَـــهْبِ
يا أرضُ كم وافد أتـــَـــاكَ فلـــم يرجـــَعُ إلـــى أهـــلـــه ولـــم يـــؤُبِ
يَحْثَهُمُ مِـــنَ عليـــهـــم فـــلك يـــدور دور الرحـــى علـــى القطْـــبِ
إنـــَّا إلى الله ما يـــــرد بنـــا ونحـــن فـــي غفـــلة وفـــي شغـــْبِ

يختم بإسداء النصيحة إلى كل معتبر، مهيبا به أن ينزوي عن مفاتن الدنيا ومغرياتها، وينزع المتاب إلى الله ، فعما قليل يقوم للموت قاعدة فيزور الرمس واللحد، وتلك نصيحته:

لا شَيء يَبْقَـــىَ ســـوى خيـــر تقدمـــه ما دامَ ملكُ لإنسانِ ولا خَلـــدا
فَامهد لنفسك والأقـــــــلام جاريـــة والتوب مُقتبلَ فالله قَد وعَـــدا
لا تَفَخـــرَنَّ بـــــــدنيا أنـــت تاركهـــا عما قليل تَزُور القَبر واللحدا[١]

ولم يكن ابن المعتز خاليا من إحساس عامة الناس في عصره ببؤس العيش في ظل حضارة عصر كانت تكاليفها عبئا على السواد ، فحياة الشاعر لم تكن كلها نعيما خالصا ، خاصة

---

[٢] المرجع نفسه ، ص ٢٠٣

[١]النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ،د.حسن عبد العليم يوسف ، ص ٢٠٥

بعد قتل الأتراك والده ،تجرع حسي الفقر والحرمان بعد أن تقلب جنبه في دعة القصور وبذخها، ويعجب القاري حين يقرأ للأمر المترف أبياتا يصور فيها عجزه عن إعادة بناء داره التي تداعت سقوفها وحيطانها فقال :

ألاَ مِـــنَ لـــنفسِ وأحَزانهِـــا ودارِ تـــــــــدَاعَت بِحْيطَانَهَـــــــا

أظلُّ نهـــاري فـــي شمســـها شقـــــــيا لقيـــا بـــبـــنيـــانهْـــــا

أســـودُ وَجْهـــي بتبييضـــها وأهـــــدم مـــــالي لعمرانهْـــــا [٢]

ومن هنا عمد الشاعر إلى التنفير من حب المال ، بعد أن وجد في القناعة خير عزاء ، فآلي على نفسه ألا يطلب رزقا من غير الله فهو الكفيل به ، فكان قوله [٣]:

ألا يا نفس إن ترضي بقوت فأنت عزيزة أبدا غنية

دعي عنك المطامع والأماني فكم أمنية غلبـــت منية

ويحض على ترك الحرص فيقول:[١]

أيا بني الدهر كم ذا الجهد والتعب الله يرزق لا الحـــــــــرص والتعـــب

أما حيـــاء أمـــا ديـــن أمـــارعة أمـــا تـــفـــكـــر معـــقـــول أمـــــا أدب

وثمة ظاهرة استفاضت في ديوان ابن المعتز، هي ظاهرة المقطوعات الشعرية ، حتى قيل أنه شاعر المقطوعات في العصر العباسي الثاني فديوانه يشتمل على ألف وثلاثمائة وثمانين مقطوعة .

ولم يكن الشعر عند ابن المعتز بضاعة مزجاة في سوق المديح ، فلم يلتزم بالمنهج الصارم الذي حدده النقاد من امتداد في طول القصيدة أو قصرها أو التوسط حسب الموضوع ، نظم ابن المعتز قصائد كثيرة مستغني عن المقدمات التقليدية،لذلك يكثر من شعر المقطوعات لأنها تمثل الحس الحضاري الذي يكشف عن حياة الشاعر العابثة ، وتصور تجربة من تجاربه الغزلية بإيجاز بليغ ، بل أحيانا يعمد إلى المفاخرة ، أو المديح ، أو الوصف أو الهجاء أو الرثاء ؛ مفرغا لمعانيه الشعرية في أشكال تعبيرية مجددة

---

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٦

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠٦

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٦

الهجاء وسمات شعره الفنية :

أكثر ابن المعتز من أوضاع هذه التشبيهات والصور في شعره حتى تظهر في قصائده على هيئة صفوف متلاحقة ، لم يضع ابن المعتز همه في إحداث تنويع واسع في زخرف شعره ،فقد رفض الزخرف العقلي أو بعبارة أدق لم يستطع إن يستخدمه بل لم يستخدم جميع أوعية الزخرف الحسي ، فقد انحاز إلى التشبيه ، وذهب يطرز به قصائده ، ويوشي به أبياته ، وأظهر في ذلك براعة لم تتح لشاعر من قبله وقد أبرع في هذا التشبيه إذ يقول :[٢]

ريمٌ يتيهُ بُحسْن صـــــورتـــــهِ عبَثَ الفؤادُ بلحـــــظ مقلتهِ

وكأنَّ عقربَ صُدغه وقفـــــتْ لما دنت مـــن نار وجنته

فهي صورة رائعة تعكس ما فيها من جمال وبعث من نار، هي نارالوجنات أوهي نار الفن.

ويقول في تشبيه أحداق هذه الزهرة بمداهن الذهب في أوراق كافور[٣] :

أمَّا تَرى النْرَجس الميَّاس يَلحظنا ألحاظُ ذِي فَرحٍ بالعُتِبِ مَسْرُور

كأن ظل الـــندى فيـــه لمبصره دمع ترقرق من أجفـــان مهجور

ويميز ابن المعتز أنه يكثر في تنويع الموضوع الواحد وهذا ما نلمحه في التشبيهات التي افردها للنجوم وحدها استلهمها من طبيعة عصره المتحضرة يقول في النجوم المتلألة في صحن السماء:

وكأن أنجمه فرادى نرجس خضل تطلع في رياض بنفسج [١]

ولعل ترفع ابن المعتز عن توظيف شعره في التكسب وإراقة ماء الوجه هو الذي جعله يترفع عن توظيف الشعر في الهجاء المقذع ؛ فالشعر في تصوره ، ما فرغ من كل لفظ قبيح فارتفع لذلك عن سلوك الغوغاء وسما شعره إلى شعر الخاصة التي لا تقول الشعر لقاء مغنم أو دفع مغرم ، وإنما تقوله موهبة وإحساسا صادقا ولا تستعمله إلا عند الحاجة وتعبيرا عن مكارم أخلاقها.

---

[٢] د شوقي ضيف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) ص ٢٧٠

[٣]ا لنزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ٣٩٧

[١]) المرجع نفسه ص ٣٩٢

ومن قوله في الهجاء [1]:

لِـــي صَـــاحبٌ مُختلـــفَ الألـــوانِ مُتَهَمِ العَيْبِ عَلْى الإخْـــــــوانِ
مُنْـقَـلبِ الـــود مــع الزمـــان يأكل عرضي حيــث لا يَلقَـانِي
وَهْـــــو إذا لقيتـــــه أرضَـــانِي فليتـــه دام علـــى الهُـجـــرانِ

قال ابن المعتز في وصف القلم في أبيات كتب بها إلى القاسم بن عبيد الله[2]:

قَـــــلْمٌ مَـــا أَراهُ أم فَلـــك يَـجْري بَمـــا شَـــاء قَـــاسِـــم ويَـسِـيـــــر
سَاْجْدٌ خَـــاشِـــعٌ يقبل قرطـــاسا كمـــا قبـــل البســـاط شـكُـــــــورُ
مُرْسَلٌ لا تـــــراه يحبسه الشـــك إذا ما جـــــــرى ولا تَفْـــــكَيـــرُ
وجليلُ المعنَـــى لطيـــف نحيـــف وكبيـــــر الفعـــال وهـــو صَغْيـــرُ
كَمْ مُنَايا وكم عطايـــا وكـــم عـــيش وحتـــــف تضـــم تلـــك السَطـــــورُ
نَقْشَتَ بالـــدجَى نِهـــارا فَمْـــا أدْرِي أخـــط فيهـــــــن أم تَصْـــويـــرُ

بيد أن العدد الأوفر من المقطوعات الشعرية في ديوان ابن المعتز استدعته ظروف ارتبطت بأسباب الحياة في ظل حضارة مجتمعه الجديدة. فكانت المقطوعة أبلغ استجابة لإيقاع عصره بملاهيه وملاذه ،كما كانت أكثر تناغما مع الواقع الحضاري الذي صرف الناس عن القصائد الشعرية الطويلة واجتذابهم إلى شعر الخاطرة السريعة ، والفكرة المعينة القصيرة التي كانت تستدعيها مجالس لهوهم ومجونهم.

ونلاحظ على مقطوعات ابن المعتز الذي حققت نوعا من الوحدة الفنية العضوية للبناء الشعري لقصائده . ونقصد بالوحدة العضوية :" وحدة الموضوع ،والمشاعر التي يثيرها الموضوع وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم به القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ،على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الواحدة الحية ، لكل جزء وظيفة فيها ، يؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل

في التفكير والمشاعر[1]

---

[1]) النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ص ٣٠٤
[3]) المرجع السابق ص ٢٤٩
[1]النقد الأدبي الحديث ، د . محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت _ لبنان ١٩٧٣ م ، ص ٣٩٤ .

وقد مثلت العديد من المقطوعات الشعرية في ديوان ابن المعتز مظاهر الوحدة الفنية العضوية ، وتجتزئ بالمقطوعة التالية في العتاب دليلا على ما ذهبنا إليه[٢]:

قَدْ شَبَّتَ بعدك والمشيب مصيبة ... وخضبت بعدك والخطاب عَنَاءِ
ورأيتُ صرف الدهر يخلق جدتي ... لا رعيَة منه ولا إبقَاءِ
في كُلِّ يوم حادث تبكي له ... عيني وتَألفها به الأقَذاءِ
فإذْا مَضْي يوم عددت مضيه ... عنماً وذلكَ للحياة فَنْاءِ
أتَألفُ الدنيا وأبسط عذرها ... جهدي كمْا تتألف الأعَداءِ
وأقولُ إنِّ أنكرت ضيقة معسر ... فلمعسر سعَة بها ورخَاءِ
ولكَلِ ليلٍ كاشف من صُبحه ... ولكل صبحٍ مُقبل إمِسَاءِ
كالبْدرِ تمحقه الليالي بعَدما ... ملأ العيون له سني وضِيَاءِ
حتَى يعود كما بدأ متحيَف ... يمضى وتخلف بعده الظُلمَاءِ
وتَطْرقَتَنى الحادثات فهل لما ... كلفت به وتطرقته بَقْاءِ
وتَنْكرتَ حال الصديق فَبعده ... عندي ومحضره على سِتَواءِ
وجَرْتَ على الأعادي غرة ومِن ... الصديق فضاضة وجَفاءِ
وألْفتُ ضَنك العيَشِ بعدَكَ فاسَتوتَ ... عندي به السراء والضَراءِ

إن هذه المقطوعة الشعرية من ديوان ابن المعتز تمثل مظهرا من مظاهر الفنية العضوية ،فقد سيطرت عليها وحدة نفسية شعورية قامت أساسا على هيمنة شعور نفسي واحد على جميع عناصرها. فالشاعر يصور مرارة ولوعه ، وفي نظرات فاحصة عميقة تتفحص في عمق طبائع الناس والحياة والكون، ما صبه عليه الدهر من محن وكوارث وحوادث وما عرفه من فترات ضيق .فتتدفق في القصيدة عاطفته منسجمة تسيطر على جميع أجزاءها، وهي عاطفة متفكر في كنه الحياة والناس والأصدقاء .

هذه الهيمنة للإحساس الواقعي الواحد على القصيدة كلها ،وتلك السيطرة لرؤية نفسية ذات لون واحد على أبيات المقطوعة ، جعلتنا نقرأ القصيدة ونحن نزداد بالتدريج دخولا في عاطفتها ،(فتركت) فينا أثراً فنياً موحداً متكاملا لم نشعر به بخلل أو تناقض أو انتكاس من

---

[٢] ديوان ابن المعتز ، ص (٨٨ ٢)

الشعر عن اتجاهه الذي كان يتخذه بل نرى فيها " صورة النبتة التي تحيا إلى يدركها الذبول والفناء ، ثم تعود للحياة من جديد" [١] وهكذا استندت طبيعة خصائص أهاجيه القليلة في ديوانه إلى التهذيب والثقافة وعفة اللسان ، بل هو كثيرا ما كان يعد سكوته عن هجاء خصومه أبلغ من هجائه لهم ، يقول[٢]:

عـــــلمِي بَـأنَّـكَ جَـاهَـــلٌ هــو جنــة لــك مــن عِقَـــابِي
والصَفْحُ عنــك وصَــرْمُ حُبُلــى منــك أبـــلغ مـــــن عِتـــابي
وجــوابُ مِثــلكَ أن تعـــــامل بالســـكوت عـــن الجَـــــوابِ

ويقول في هجاء ابن بسام وهو الهجاء المقذع بقوله [٣]:

مَـــــن رام هجـــو علـــى فشـــعر قـــــــــــد هَجـــــاهُ
لـــــو أنّــه لأبـــــيه مـــــا كـــــان يهجـــو أبـــــاهُ

وكذلك يقول لعلى بن بسام هجّاء عصره [٤]:

يَا قَذى في العِيـــــونِ يـــا حرقــةَ بين التراقى حزازة في الـفـــــؤادِ
يَا طَلَوعَ العـــــــذولِ ما بـين إلـف يا غريما وافــي علــى ميعـــــادِ
يَا ركــودا فــي يــومِ غــيم وصــيف يا وجوه التجار يـــوم الكســـــادِ
خِــلّ عنـــا فإنّـمــا أنــت فـــــينا واو عمرو أو كالحـديث المعـــادِ

يقول ابن المعتز في هجاء الزمان[٥]

مـــا أعجَـبُ الـدْهر فِـي تَصـرّفه ونَقْـــل سُلطِـــــانه ودولـــــته
مــن كَــانَ يَـدْرِي أن النَّعـيم إلـــى بـــؤسٍ رأي الهـــمَّ فـــي مســـرّته

وكذلك يقول في هجاء بغـــداد[١]

بغـــداد:كَيْفَ نَومِي وقـد حَـللتُ ببـــغدادَ مُقُيـــَـــــــم فِي أرْضَـها لا أريـمُ
بـــَـبـَلاءِ فيـــها الركـــايا علـيهن كالليـــل مـــن بعـــوض تَحْـومُ
جَوهِـــا والشِـــتَاءِ والصـــيف والفصـــل دخـــان ومـــاؤها يَحْـمُـــــــومُ

---

(١) فن الشعر ، د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ص ٢٥٠
(٢) النزعة الحضري في شعر ابن المعتز تأليف حسن عبد العليم ،ص ٨١
(٣)المرجع نفسه ص ١٨٠
(٤)) تاريخ الأدب العر بي في العصر العباسي الثاني ص ٣٣٩
(٥) أحلى ما قيل في الهجاء إيمان البقاعي ص ٥٤ وما بعدها
(١) أحلى ما قيل في الهجاء إيمان البقاعي ، ص ٥٧

وقال ابن المعتز في هجاء الأصدقاء [٢]

بلـــوتُ أخَـــلا هَـــذا الزَمـــان فَاقَلَلتُ بالهجر منهم نَصْـيبِي

وكـــــــــلهم إن تصفَْـــــــحتَهم صَديقَ البيان عدو المغيـــبِ

وقال ابن المعتز كذلك في هجاء الأصدقاء [٣]

وصـــاحبُ سُـــوء وَجْهِـــهِ لـــي أوجـــه وفِي فَمِه طَبَلٌ لسَـــــــــــري يَضْـــربُ

إذا مـــا قلـــى الإخـــوان كَـــانَ مَـــرارة يعـــــرض في حـــلقي مرارا ويَنْـــشَـــبُ

ولا بـــد لـــي منـــه فحنينـــا يَعْضِـــنَي وينســـاغ لـــي حنينـــا ووجهـــي مَقْـــضَبُ

كَمْاءِ طَرِيـــق الحْـــجِ فِـــي كُـــلَّ منهـــل يـــــذم علـــي مـــا كـــان منـــه ويَشْـــربُ

ويقول ابن المعتز في المغنين [٤]:

إيَّـــاكَ مـــن ناشـــي وأمثَالـــهُ فـــــالعيش مـــــع أمثالـــــه يَقْـــبَحُ

إذا تَغَنَـــى رافعـــاً صَـــوتَهُ حســـبته سِـــنَّورة تـــــــــذْبَـــــحُ

ويقول ابن المعتز في هجاء مغنية[٥]:

عنـــــاؤها يصلح للـــتـــوبة وريقها من زبد الحـــوبه

فعجَّلوا بالشرب قد أمسكت من قبل أن تلحقها النوبة

فقد استمد الشاعر ابن المعتز مواد صورته الشعرية من بيئته الخاصة ومن العالم المادي المحيط به والبيئة الاجتماعية التي عاش في ظل ظروفها ؛ وما دفعه إلى التأثر ببيئته الخاصة ومحيطه الاجتماعي وما زخر به من ماديات ومحسوسات ارتبطت بالحضارة الجديدة التي غزت المجتمع العباسي منذ مطلع القرن الثاني الهجري ، فلونت صور الشاعر بالحس الحضاري ، مما سجل في شعره كثيرا من أوجه المخالفة بينه وبين القدماء في مجال الصورة الشعرية، إذ جمع في شعره بين رقة الحضر وجزالة البدو ،وهو في كل الحالات كان يدرك مدى صعوبة الخلق الشعري وما يتطلبه من كد ومراس وإعداد سابق ،

---

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥

(٣) المرجع السابق ص ٩٥

(٤) ديوان ابن المعتز ص ١٨٧

(٥) المصدر نفسه ص ١٨٢

فلم يكن الشعر عند ابن المعتز ترفا وتسلية ووصفا " لماعون بيته " ! وإنما كان خلقا فنيا يتطلب التهيئ والاستعداد والروية ، وهو نفسه أقر[1] :

إنَّ ذَا الشعرِ فِيهِ ضَيْقٌ نِطَاقٌ ليسَ مِثْلُ الكلامِ مِنَ شَاء قَـــالا
يَكْتَفِي فِيه بالخفِي مِنَ الوْحِي ويحتـــَالُ قَـــائِـــلُوه احَتَـــيـــَالا

ومن هذه الأبيات عرف كيف ابن المعتز أن يطرف قارئه بالصور الغريبة وهي نادرة وهي ليست جامدة تلك التي تواضع عليها الشعراء وأصبحت متحجرة في اللغة ، إذ فقدت نضرتها وبهجتها بل هي حية ناضرة وكأنما نقشت رسومها بالأمس ؛ نقشها شاعر كان صبًّا ببعث الحياة والحركة في صورة حتى ليحس من يقرا في ديوانه كأنه يعيش في دار من دور الصور المتحركة ،فما يزال يرى مناظر وأشكالا وهي وجوه مستعارة ، ولكنها تعبر عن روعة الفن بأجمل مما تعبر عنه الوجوه الحقيقة ويصور الشاعر لنا صورة الليل وهذا الوجه الحبشي [2]:

قـــد اغتَدِى والليلُ في إهَابِة كالحْبشِي مالَ عَنَ أَصْحَابِه
الصُبْحُ قد كَشفَ عن أنيَابِه كأنـــه يَضحك مِن ذَهَـــابِه

ونلمح انه استعار الوجه واستغراق الحبش في الضحك بل انه كوجه حقيقي يعبر عن حقيقة مظلمة وراءه ،ولكن سرعان ما يخلفه وجه آخر ضاحك وهو وجه الصباح الجميل ،وعلى هذا النمط نرى في شعر ابن المعتز صورا متحركة قد أعطاها أوضاع تؤكد حقيقتها وتجعلنا كأننا نلمسها ونشاهدها.

---

[1](الفن ومذاهبه في الشعر العربي) ، د شوقي ضيف ، ص ٢٧٠
[2] المرجع السابق ، ص ٢٧١

قوله [1]:

ماء دارس الآثار خال كدمع حار في جفن كحيل

وحقا إنها لصورة تذهل كل إنسان إزاء هذه الروعة في التصوير، وكذلك نموذج آخر لابن المعتز يصف الرياض في منظومته" ذم الصَّبوح[2] إذ يقول :

أما ترى البستان كيف نــوَّرا ونثرَ المنثــورُ بــرداً أصْفــــــرا
وضحكَ الوردُ إلي الشَّــقَائق واعتنق الغصــن اعتنــاقَ وامِـــق
في روضة كحُلــــَّة العروس وخُـــــــــرَّمٍ كهـــامةِ الطـــاووس
وياسَمين ُفي ذُرى الأغصان منتـــــظمٌ كقــطــعِ العقيـــانِ
والسّرْوُ مثلُ قضب الزبرجــد قد استمدَّ المــاء مــن تُــرْبٍ نــدى
على رياضٍ وثــريً ثــرىّ وجــدولٍ كالمــبـــــردِ المـــَجْلىّ
وفرج الخشخاش جيبا وفتــق كـــــــأنه مصاحــفٌ بيضُ الــورق
صاركأقداحٍ من البـــلــوّر كــأَنما تجـــمســـــتْ من نـــُور

وقد استخرج من صبغ التشبيه أوضاع كثيرة يصف فيها تلك الرياض وما يجري فيها من تلك الصور المختلفة التي يغرق فيها البصر ؛ فهنا صفرة عسجدية ،وهناك خضرة زبرجدية ، وأخرى حمرة وردية ،وليس من شك في أن قاري ابن المعتز إذا كان مرهف الحس إرهافه علاه ذهول وحيرة إزاء تلك الصور والأوضاع لصبغ التشبيه التي يعرضها علينا في تلك الأشكال والطرائف النادرة .

---

[1] (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) د شوقي ضيف ،ص ٧٢
[2] ديوان ابن المعتز ص٣٠٧

الفصـــــــل الخامس

تقنيات شعر الهجاء في العصر العباسي وخصائصه الفنية

الصـــــورة والخيال

الرمـــــــز ودلالاته

الفصل الخامس

تقنيات شعر الهجاء في العصر العباسي وخصائصه الفنية

الصورة والخيال:

يعرف معجم (مجدي وهبة) الصورة البلاغية بأنها : " كل حيلة لغوية يراد بها المعنى البعيد – لا القريب – للألفاظ .. وتندرج هذه المعاني كلها في البلاغة العربية تحت علومها الثلاثة : المعاني، و البيان، و البديع " [١] أو هي " كل وسيلة بلاغية للتعبير عن المعنى المقصود بطرق التشبيه أو المجاز أو الكناية، وكل عدول عن الاستعمال المألوف للألفاظ بالزيادة فيها أو الحذف منها أو بهما معا، وذلك بقصد تجميل الجملة أو تقويتها " [٢]. كما يفرد مجدي وهبة للصورة البيانية تعريفا خاصا هو أنها هي " التعبير عن المعنى المقصود بطريق التشبيه أو المجاز أو الكناية، أو تجسيد المعنى " [٣].

ويُطلق مفهوم الصورة في الدراسات البلاغية العربية القديمة: " للدلالة على كل ما له صلة بالتعبيرالحسي" [٤]، وهي تأتي غالبا في التراث الأدبي مرادفة لما يدخل تحت علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية ، حيث تمتزج اللغة بذات الفنان وفكره مثيرة في ذهنه من الرؤى والأفكار ، ما لا يلبث المبدع أن يحيلها إلى صورة مبتكرة ، لاعهد

---

[١] مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، ص ١٧١ .

[٢] المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها .

[٤] مصطفى ناصف : الصورة الأدبية، ص٣.

للواقع المرئي بها، معأن عناصرها من هذا الواقع، ومن ثم تثير هذه الصور في وجدان المتلقي وفكره شتى الأحاسيس والانفعالات، محققة وضوح المعنى.

والصورة الناجحة لدى بعض البلاغيين القدماء هي ما كان لها القدرة على الجمع بين الصور المتباعدة؛ فتحرك المشاعر وتهز الوجدان كما يقول عبد القاهر الجرجاني : "وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت النفوسلها أطرب.. وذلك أن موضع الاستحسان أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين.."[1].

و سيقف الباحث عند الباعث البلاغي للصورة الفنية، من خلال دراسة علاقة علوم البلاغة العربية بمصطلحات شكلت صورة " الرثاء " الفنية، مثل التشبيه و الاستعارة والمجاز..[2]. ولا يمكن الفصل عمليا بين التشبيه والاستعارة و المجاز و الكناية إلا لغايات التدريس؛ لأن عمود الصورة البلاغية هو التشبيه، الذي يمتزج مع باقي الأنماط البلاغية

---

[1] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، مكتبة محمد على صبيح، القاهرة، ط(٦)، ١٩٥٩م، ص١٠١.

[2]للاستزادة ينظر في تشكل الصورة البلاغية المصادر التالية : ابن طباطبا : عيارالشعر، ص ٥ – ٧ وأبو هلال العسكري:كتاب الصناعتين، ص١٣٣–١٣٩، والجاحظ: البيان والتبيين، ص٩، و عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٣٤٧. واستفاد الباحث من ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م.

وفي المراجع الحديثة:

- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط(٦)، ١٩٩٣م، ص٨٢–٨٤.
- مصطفى ناصف: نظرية المعنى في النقد العربي ، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٣٨.
- عبد الحميد يونس: الأسس الفنية للنقد، دار المعرفة، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٢٤–٢٦.

الأخرى، فتتحقق وحدة فنية متكاملة للصورة الكلية التي قد نعد التشبيه خلالها صورة جزئية والاستعارة كذلك، وكذلك الكناية، ثم تشكل فيما بينها صورة كلية لبيت أو مجموعة أبيات في القصيدة، وهذا لا يندرج على الأبيات كلها، فيد يوجد في البيت تشبيه، ولا يوجد به كناية، وهكذا و تعامل ابن الرومي مع الصورة الفنية في الديوان من باعثها البلاغي من خلال علومها الثلاثة، و جعل منها أدوات ترسم الكلمة صورة يختلط إحساسه معها.

لقد اعتمد ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ) على التشبيه وعدّه ضربا مهما في عيار الشعر عند العرب، بل ربط ما يتشكل من صورة شعرية تشبيهية بعدة أضرب، فجعلها : صورة تشبيهية حركية، أو لونية، أو صوتية، أو سريعة، أو بطيئة، أو ذات هيئة أو ذات معنى .. لكنه تعتمد في تشكلها على التشبيه، وما يحدثه في الصورة من معنى وهيئة [١].

و عُدّ التشبيه من أهم أنماط بواعث الصورة البلاغية. وبه جاءت أحكام النقاد تكشف عن ذلك الميل وتوضيحه. وقد واكب الربط بين الشاعرية والقدرة على التشبيه، عند بعض اللغويين ربطا آخر بين الشاعرية والابتكار عند المبدعين الشعراء[٢].

ويستجلب ابن الرومي الصورة التشبيهية في معرض غرض الهجاء كثيرًا وهو عمدة البلاغة العربية، ومنه وهو يُخاطب في الهجاء:

لك أنف يا ابن حرب* * أنفت منه الأنوف

أنت في القدس تصلي * * وهو في البيت يطوف

---

[١]ابن طباطبا : عيار الشعر، ص ٢٣ .

[٢] إبراهيم عبد الرحمن : الشعر الجاهلي " قضاياه الفنية و الموضوعية "، ص ١٩٨، وما بعدها .

فيكون قد شبَّهَ ممدوحَهُ بتشبيهين ظاهرين يمكن استدراج تشبيهين آخرين باطنين؛ ففي الظاهر يبدو أنفه ذا شكل قبيح، تخشاه الأنوف، وهو من شدة كبره يبدو يطوف في البيت الحرام وصاحبه يصلي بعيدا عنه في بيت المقدس. وفي الباطن يمكن أن نقول عن ذم ابن الرومي لبعض أخلاقهِ، وهو بذلك يعقد مقارنة بين صورتين، أولاهما متألفة من محسوس مُبصَر، وهو المهجو، ومِن ذهني مجرَّد غير محسوس، وهو أخلاقه، بعنصرين محسوسيَن جميعهما (الطواف والأنفة) " فليست اللغة سوى فواصل، وليست الألفاظ سوى حركات لذبذبات النفس ومشاعرها " [1].

لقد كان ابن الرومي شديد الإحساس باللغة وهي تقف أمام مقاصده الشعرية، وقد جمع شعرُه الهجائي بين الفخامة والسلاسة في الأساليب والتراكيب اللغوية، كما كان كذلك في ما يتعلق بالصورة البلاغية، فلم يبالغ في الإغراب والعُمق والتعقيد في رسْمِ صورهِ البلاغية، ليكون كل ذلك مُعيناً له على التعبير عما يجول في خواطره بألطف الطرق وأبسطها، وهذا يمكن أن نطلق عليه الأسلوب، و بذا يصبح " الأسلوب يعني شخصية مؤلف النص و طبيعته " [2].

وقد ظهرت عناصر للتشبيه في صوره الشعرية، منها عناصر الصورة الحسية البصرية [3]، فلا يبتعد ابن الرومي في التقاطه لعناصر التشبيه في شعره عن ديدن

---

[1] عبد الفتاح نافع : لغة الحب في شعر المتنبي، دار الفكر، عمان، ط(١)، ١٩٨٣م، ص ٤١٣ .

[2] ريم الحسين: الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، وأحمد بدوي : من النقد الأدبي، مكتبة نهضة مصر، مصر، ط(٢)، ١٩٦٠م، ص ١٩٠ .

[3] استفاد الباحث من مقداد رحيم : الصورة البلاغية في شعر ابن زيدون، د.ت .

الشعراء، كما لا يبتعد عن أساليبهم في التشبيه جُملةً، إلا أنه يتميز بما تميزت به لغة الهجاء من مباشرة، وعدم إطالة في الوصف، وكثرة الصناعة، ففي قوله:

وجهك يا عمروفيه طــول * * وفي وجوه الكلاب طول

مقابح الكـــــلب فيكطــراً * * يزول عنها ولا تــزول

وفيــه أشياء صالحـــــات * * حماكها الله والرســـول

فالكلب واف وفيكغـــــدر * * ففيك عن قدره سفـــول

وقد يحامي عن المواشـــي * * وما تحامي ولا تصــول

وأنت من بيت أهل ســوء * * قصتهم قصة تطـــــول

مستفعلن فاعلن فعولـــن * * مستفعلن فاعلن فعـــول

بيت كمعناك ليســفـــيه * * معنى سوى أنه فضــول

يصور وجه ابن عمرو بوجوه الكلاب، إلا أنه يسلب منه صفة (الوفاء) التي هي صفة ملازمة للكلاب، ويزيد من الوصف فيشبه الحماية بين الكلب وابن عمرو ويضع لهما ميزانا بين قوله (يحامي = الكلب) و(تحامي = ابن عمرو)، وشتان بين سلبت عنه الصفة ومن التصقت به.ثم يشبه بيته أي عشيرته وعائلته بأنها تشبه البيت الشعري المكون من تفعيلات :

مستفعلن فاعلن فعولن * * مستفعلن فاعلن فعول

وهي بلا معنى إلا إن ملأها الف شاعر بما يجود به. وبيتك يا ابن عمرو " ليس فيه معنى " كالوزن العروضي المفرغ إلا من القاعدة.

إلا أنَّ أغلب صور ابن الرومي بسيطة في تركيب الألفاظ، وفي تركيب عناصر التشبيه ، وهو يُميط اللثام عما كانت تنطوي عليه نفسيته في الصورة من اهتمام بالجمال، دون فلسفة، ونزوع إلى البساطة في المواقف وفي النظر إلى الأشياء، دون تعقيد، فضلاً عن إيمانه بأثر الشعر في النفس، هذا من الناحية الفنية والشكلية، أما الناحية المتعلقة بالدلالة فنجد شعرَهُ فيها يتفاوتُ في أجوائه ومُعطياته النفسية وصوره وتشبيهاته، وإنْ كانتْ جميعاً تقوم على الوصف، لكن بما أن الأسلوب " يعد نتيجة لاختيار المؤلف من مختلف التحولات الاختيارية الممكنة " [1]، فابن الرومي يمثل ذلك خير تمثيل وتعرف له اتجاها معينا في تشكيله الصوريّ.

أما حال الصورة الذهنية المجرَّدة عنده، فيستعير للطرف المقابل بقية حال الصورة التشبيهية، فيقول:

ووغدٍ وهبتُ لهحُكْمَهُ	وأملتُ منك ودَموهوبِهِ
فكنتُ كعابِدِمنحوتِهِ	ومسترزقٍ رزق َمنصوبِهِ

فيشبه الوغد بالمعبود ونفسه بالعابد مستدركًا بحرف (الكاف)، وهو وغد (يمدح ويهجى حسب ما تريده الأحوال ! فيقول عن حاله :

ولو قد ألحَّ عليها لهجاءُ	جَرْجرَ من عضِّكَلُّوبِهِ
ولمَّا غدا كلُّ هذاالورى	وممدوحُهُ مثلُ مندوبِهِ

و إنَّ اهتمام ابن الرومي بالصورة التشبيهية بهذا القدر، يدلُّ على أنه شاعر من الطبقة الرفيعة، اتَّخذَ من الشعر أداة تعبيرٍ مهمة عن مشاعره وقضاياه الأساسية في الحياة .

---

[1] صلاح فضل : علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٨٧ .

أما الصورة الاستعارية، فهي وليدة الصورة التشبيهية؛ لأن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، والاستعارة أقرب لصنع العقل في ارتياد الواقع، والاستعارة هي أداة التجسيم والتشخيص، والتشخيص صفة حاجة الإنسان إلى ربطه بالطبيعة [1] و ربط مصطفى ناصف بين بلاغة الاستعارة و الخيال في الصورة الفنية بكون الاستعارة "صورة ذات صفات حسية، ومرجعها أن الصورة ذات الصفات الحسية تعبير عن تمثل خيالي [2]."

وإن هناك ربطا ما بين الصورة الاستعارية والتشبيه؛ ذلك أن الصورة الاستعارية هي صورة تتدرج من الصورتين : الإشارية، والتشبيهية، وهذه الصورة تغذي الحس قبل أن تغذي الفكر، فهي استعارة مِثْلِية : مبنية على أساس حلول حسي محل حسي آخر، أواستعارة تجسيدية : تعنى بتقديم المعنى في جسد شيئي، وهناك استعارة تشخيصية: وهدفها الإنسان، إذ تكسب المواد الجامدة إنسانية الإنسان وأفعاله. واستعارة تجسيمية : تسعى إلى إيصال المعنى المجرد مرتبة الإنسان في قدرته واقتداره. وإذا ما حولنا المعنى إلى جسم، ثم منحنا هذا الجسم حياة ونشاطا ومشاعر وأفكارا، كانت عمليتنا تتم في عقل ذي نفس صافية، ووعي أصيل، وتجربة خصبة وخيال واسع [3].

والاستعارة تتبع التشبيه في الأهمية، كما ترتبط أهمية الاستعارة بالمجاز الذي هو : أسلوب خاص في الإدراك، و به يتشكل المعنى نفسه، الذي لم يكن موجوداً من قبل.

وتضع الاستعارة شيئاً حسياً محل شيء آخر مثله، فيكون محور الاستعارة والصورة في الشعر هو تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية، والاستعارة الشعرية ليست مجرد تغيّر في المعنى. إنها تغيّر في طبيعة أو نمط المعنى، انتقال من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي.

---

[1]) مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ص١٢٩، وص١٣

[2]) استفدنا من ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، ومصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ص ١٣٨ .

[3]) اعتمد الباحث في تعريف أنواع الصور الاستعارية على عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص ١٦٧-١٧٢ .

إن لأي صورة بلاغية معنى ووظيفة في القصيدة بشكل عام، وليس من صنع الباحث هنا تتبع ذلك، بل توضيح الاستخدام لها من خلال أمثلة. أما النظر بشكل عام فهو حديث في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

و مثال ذلك صورة السيف، الذي رأيناه بكثرة في الصورة التشبيهية، ها هو موجود في الصورة الاستعارية، كما في التشبيه، يقول ابن الرومي:

لو تلفّفتَ في كساءالكسائي * * وتلبستَ فروة الفرّاءِ

فقد استعار الكساء من الكسائي، ونفاذه، واقتبس الفروة من الفراء .

والخيال يزيد الصورة الفنية تكثيفاً ، فيصنع أكبر الأثر في الاستعمالات الاستعارية. وقد يكرر ابن الرومي في صوره الاستعارية ، ولكنه لا يكرر اللفظة نفسها، فيكون الهجاء هو الصورة المقابلة للمدح، انظر قوله :

مدحتُ إلهاً جميلَ الثناءِ	مصدوقُهُ غيرُمكذوبِهِ
ألا يا فراسي خذها إليك	من ثاقب الحدّمشبوبِهِ
حليمٍ تَعَوَّذُ منجهلهِ	إذا ما حُصِبْ تَبِشُؤبوبِهِ

و المعنى : لما مدحته كانت هذه صفاته، فلما زالت عنه زال مدحي إياه!

وسنقف مع قصيدته التي مطلعها :

شاهدت في بعض ماشهدت مُسمعةً	كأنما يومُها يومان فيوم
تظلّ تلقي على من ضمّمجلسُها	قولا ثقيلا على الأسماع كاللوم
لها غناءٌ يثيبُ اللَّهُسامعَهُ	ضعفى ْ ثواب صلاة الليل والصوم

هذه صورة بلاغية قوية في مطلع لافت للسامع قبل القارئ،؛ لأنه يصنع تقابلات بين أربعة ألفاظ هي على الترتيب: مسمعة، ضمّ، مجلسها، غناء . والمعنى يأخذ بالمقابلة والتضاد فلا غناء جميل، ولا الليل كان أجمل ! بل ملل وغناء قبيح ومسمع فظّ !

فجعل من مقدمة القصيدة (المطلع) قصة تشبيب بامرأة – ليس كالتشبيب الذي نعرف – فالمرأة موجودة، ولكن وجودها هنا لغرض آخر وهو قوله في البيت التالي للصورة السابقة:

ظللتُ أشرب بالأرطال لاطرباً	عليه بل طلباً للسكروالنوم

وقد كان الخيال عند ابن عربي أعظم قوة خلقها الله" فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجودا من الخيال، فيه ظهرت القدرة الإلهية والاقتدار الإلهي... فهو أعظم شعائر الله... إن الخيال وإن كان من الطبيعة، فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيَّده الله من القوة الإلهية".

و قد جاء ذكر للخيال عند "حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) في حديثه عن المعاني الشعرية، التي جعلها تنحصر في معنيين هما:

الأول: التي يكون مقصد الكلام وأسلوب الشعر فيها يقتضيان ذكرها وبنية الكلام عليها، وقد سَّماها: "أوائل"، والثاني: "الثواني" التي لا يقتضي مقصد الكلام وأسلوب الشعر فيها بنية الكلام عليها: وقد سماها "ثوانٍ" [١] .

فالمعنى الثاني –عنده– هو المعروف الظاهر، أمَّا المعنى الأول فهو: الخفيّ، ويأتي عن طريق الخيال. وعلينا ألا ننسى إشارة حازم القرطاجني إلى ما يسميه:

"بالقوة المائزة": "التي بها يميز الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب"، والقوة الصانعة "التي تتولى العمل في ضمّ بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظمَّية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض والتدّرج من بعضها إلى بعض"[٢] .

و لقد قسم "كولردج" في العصر الحديث الخيال إلى خيالين: الأول هو: الخيال الذي يشترك فيه الناس جميعاً ، و الثاني هو: الخيال الفنيّ، وله عند" كولردج" وظيفة تحليل الأشياء أو التأليف بينها أو توحيدها والتسامي بها ليخرج من كل ذلك بخلق جديد. وهكذا فإن التعريف الذي وضعه "كولردج" للخيال، يعد الخيال، إمَّا أوليًا (Primary) أو ثانويا (Secondary)، فالخيال الأوليُّ –عنده– هو القوة الحيوية أو الأولية، التي تجعل الإدراك

---

[١] حازم القرطاجني، أبو الحسن منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م، ص ٢٣-٢٤.

[٢] نفسه، ص ٤٣.

الإنساني ممكناً. أما الخيال الثانوي فهو: صدى للخيال الأولي، غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية، وعمله أن: "يُحلل وينشر و يجزئ لكي يخلق من جديد"[٣].

والخيال الفني عند " كولدرج" هو الذي يخلق أدبا جديدا" ينكسر فيه الحاجز الذي يبدو عصّياً بين العقل والمادة، فيصبح الخارجي داخليا، والداخلي خارجياً، وتتحول الطبيعة إلى فكر، والفكر إلى طبيعة،

وهذا موطن السر في الفنون"

وممّ يتولد خيال الشاعر ؟

لعله يتولد من الذاكرة، فهل تحتفظ الذاكرة بكل الصور التي تراها، فتولدها لحظة طلب الخيال لها ؟ لا، " لا تحتفظ الذاكرة بكل ما يفد عليها من الأشياء وإنما تحتفظ فقط بما يستجيب لشحنتها العاطفية، كما لا تثار الصور داخل الذاكرة بكثافة ونماء إلا في موقف تجريبي يستدعيها "[٢]. ويمكن أن نعد كل ما ينفد من الذاكرة إلى سطح عقل الشاعر قابلا أن يرسمه صورة شعرية أخاذة ذات بعد قريب لها عنده ؛ فكل صورة خيالية عند ابن الرومي تقترب منه أكثر من غيرها، فبها يعيش الماضي، ويستذكر ما حلا له من أوقات، أو قد يستذكر ذكريات صعبة.. فكل ذلك يصلح أن يولد صورة خيالية. و يمكن عدّ الخيال عنصرا مهما من عناصر الصورة الحاضرة في فكر ابن الرومي، وتقوم الصورة الخيالية مقام خليط من العواطف والأفكار التي من الأهمية بمكان أن يُتم الشاعر على ضبطها عاطفيا. و هي نتاج الخيال كما قال محمد غنيمي هلال[٣] . اقرأ قول ابن الرومي:

يطولُ يومي إذا قُرِنْتُبه	كأنني صائمٌ ولمأصُم

فقد قرن طول اليوم بيوم الصيام. و المعنى : أنه في خياله وذاكرته يعد يوم الصيام من أطول الأيام .

و من الخيال الشعري ما ينسبه ابن الرومي إلى أشخاص معينين بالذات دون أن يسميهم –وكان لهم وجود فعلي– يُداخلها بعض عناصر الخيال، كما يقول:

---

[٣]كوليردج : سيرة أدبية " النظرية الرومانتيكية في الشعر"، ترجمة : عبد الحكيم حسان، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م، ص ٢٥١، مصطفى ناصف : الصورة الأدبية، ص ٢٧.

[٢] عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في النقد الشعري، ص ٩١ .

[٣]محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص ٣٨٨ بتصرف.

حضضتَ علـــى حطبـــي لنـــاري فلاتـــدعْ	لك الخيرُ تحذيري شرورَالمَحاطبِ
وأنكـــــرتَ إشـــــفاقي وليســـــبمانعي	طِلابي أن أبغـــي طـــلابَ المكاســـبِ

والمعنى : رسالة استهجان مع ما رافقها من رسالة الهجاء إلى من يدعي عليه التكسب..

فكثيراً ما تنسج المخيلة الشعرية الإبداعية أحداثاً وأموراً لم تحدث على الإطلاق، أو أنها قد تُنسب إلى أبطال وشخصيات خيالية فهي صفات وخصائص وأفعالٌ غريبة. وهـــذا الجانب المتخيل هو جزء من "الصنعة" الفنية التي يلجأ إليها الشـــاعر لاســـتكمال عناصـــر صورته الفنية، وهو ما سمّي بالخيال الابتكاريّ[1] .

ولكن صناعة الصورة الخيالية لا ينبغي أن تكون سبباً في التشكك في صدق وواقعية كل الأحداث التي يرد ذكرها في القصيدة، وإن كان هذا العنصر الخيالي يلقي ببعض ظلال الريبة والشك على مدى إمكانية الاعتماد على الصورة الخيالية كمصدر للمعلومـــات عـــن ماضي ابن الرومي أو مجتمعه و ما عايشه في عماه.

والصورة عند عبد القادر الرباعي هي ابنة للخيال الشعري ، إذ يقول : "والصـــورة ابنة للخيال الشعري الممتاز الذي يتألف – عند الشعراء – من قوى داخلية تفرق العناصـــر وتنشر المواد ثم تعيد ترتيبها وتركيبها لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فـــن جديـــد متحد منسجم " [2] .

كم أن علاقة الصورة بالخيال تبرز من خلال علاقة الصـــورة النفســـية بالخيـــال، فيصنع الشاعر الصورة النفسية هنا، من صورة ذاتية أو أخرى غير ذاتية .. كما في قـــول ابن الرومي:

ومن يلقَ ما لاقيتُ في كل مجتنىً	من الشوك يزهدْ في الثمارالأَطايبِ

فمناسبة القصيدة عظيمة، وهي لومه على تكسبه، لكنه يلم من يلومه .

فيقول في حضرة من يستمع:

أذاقتنيَ الأسفارُ ما كَرَّه الغِنَى	إليَّ وأغراني برفض المطالبِ

---

[1]أحمد أبو زيد :مقال الملاحم كتاريخ وثقافة، عالم الفكر، الكويت، مجلد (١٦) ع (١)، ابريل – مايو– يونيو، ١٩٨٥م، ص ١٣.

[2]عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص ١٤ .

فأصبحتُ في الإثراء أزهدَزاهدٍ	وإن كنت في الإثراء أرغبَ راغبِ
حريصاً جباناً أشتهي ثمأنتهي	بلَحْظي جناب الرزق لحظَ المراقبِ

إنه خيال مبدع، يصف أسفاره، وحياته، حتى صار بالإثراء (أزهد زاهدٍ). ثم انظر إليه يقول :

إلى اللَّه أشكو سخفَ دهريفإنه	يُعابثني مذ كنت غيرَ مُطائبِ

وعلى الرغم من اهتمام ابن الرومي بالصورة الذهنية المرتكزة إلى الخيال إلاَّ أنه لم ينسج عناصرها جميعاً من العناصر الذهنية المحض، فلم يجد الباحث –على حدّ ما استطاع – في شعره صورة ذهنية محضاً، تتألفُ عناصرها من المجرَّدات في الطرفين[1].

" و بذلك تكون القيمة الكبرى للصورة الشعرية المتولدة من الخيال، في أنها تعمل على تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة للكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود؛ المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون والمبنيّ بطريقة إيحائية مخصبة من حيث الشكل "[2].

و يعيد مصطفى ناصف التصوير الخيالي إلى النواحي البصرية و السمعية أكثر من الحواس الأخرى [3]، فتبدو الصورة الخيالية بصرية.

وقد يتخيل الشاعر حدثًا ويجري عليه قصة كاملة، مثل حدث (خان ابن الرومي) في قوله :

سقى الأرضَ من أجلي فأضحتْ مَزِلَّةً	تَمايَلُ صاحيها تمايُلَ شاربِ
لتعويقِ سيري أو دحوضِ مَطيَّتي	وإخصابِ مُزوَّرٍ عن المجدناكبِ
فملتُ إلى خانٍ مُرثِّبناؤُه	مميلَ غريقِ الثوب لهفانَ لاغِبِ
فلم ألقَ فيه مُستراحاً لمُتعَبٍ	ولا نُزُلاً أيانَ ذاك لساغِبِ
فما زلتُ في خوفٍ وجوعٍووحشةٍ	وفي سَهَرٍ يستغرقُ الليل واصبِ
يُؤرِّقني سَقْفٌ كأنِّيَتحته	من الوكفِ تحت لمُدْ جِنات الهواضبِ

---

[1] رأي قابل للمناقشة .

[2] عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام : ص ١٤ .

[3] مصطفى ناصف : الصورة الأدبية، ص ١٣٨ .

تـــــراهُ إذا مـــــا الطـــــينُ أثقلَمتنَـــــهُ	تَصِـــرُّ نواحيـــه صـــريرَ الجنـــادبِ
وكـــم خَـــانِ سَـــفْرٍ خَـــانَ فـــانقضّ فَـــوقهم	كما انقضَّ صقرُ الدجنِ فوق الأرانـــبِ
ولـــم أنـــسَ مـــا لاقيـــتُ أيـــامَ صـــحوِهِ	من الصّرِّ فيـــه والثلـــوج الأشـــاهبِ

و للخيال بعد نفسيّ، وآخر رمزيّ، نستشفه من خلال النظر بصورة كلية لمعطيات صـــورة الهجاء عند ابن الرومي، فهجاؤه إما :

- لعاذليه في إسرافه وغلوه.
- أو لأشخاص بعينهم .
- أو لحادثة يجري عليها من الخيال مجراه.

و أخيرا فقد كان شعر ابن الرومي يميل إلى التجديد في المعاني، وابتكـــار الصـــور الجديدة، والاعتماد على الخيال المجنح؛ وهذه إحدى روائعه الخيالية:

أصـــلـــــــعٌ يُكنـــــى بأبيالجَلَّحْـــــتِ	حَبَلَّـــقٌ كالـــمـــــــاعزالكَلْوَخْتِ
ذو هامـــــةٍ مثـــــلِ الصَّـــــفاة المـــــرتِ	تنصبُّ في مهـــوى جبـــينٍ صَـــلتِ
تبـــرقُ بالليـــــل بـــريـــــقَ الطِّسْـــتِ	صبّـــَحها اللَّـــهُ بـــفـــقدٍ سَـــخْتِ
ولحيـــةٍ مثـــــل غـــــــرابالحَمْتِ	كـــــأنها مدهونـــــةٌ بزفـــــتِ
ســـــــرَّحـــهـــا اللَّـــه لـــــــهب السَّـــلْتِ	تعرفُـــــهُ الأَنـــــباط بالبَـــذْنَقْتِ
وفـــــــارِس الأحراربالبـــــــــذَنَخْتِ	قضـــــى عليـــــه بقضـــــاءٍبَتِّ
مـــــن أكـــــلِ النـــــاسِ لخبزٍبَحْـــــتِ	يـــــلُتّهُ بـــــالريق أيَّلـــــتِ
أحســـبَ حُسَّـــــــاب بنـــينَ وبْخـــتِ	بـــأنَّه نحـــسٌ شـــقيٌّ البخـــتِ
يلقـــــــُط حَـــــبَّ الأدمِ المُنفـــــتِّ	لَقْطَ حمـــامٍ جـــاء مـــن جيرَفْـــتِ
كأنّمـــــــا يلقطـــــه بشَـــــقْتِ	يؤدي النـــدامى بعـــد طولالصـــمتِ
يـــذكـــــــر حمـــــدانَ عميـــــدَالبرتِ	معَـــبِّسُ الوجـــــه طويلُالســـكتِ
كأنمـــــــا عـــــضَّ علىجُلَّفـــــتِ	أثقـــلُ مـــن طلعـــةِ يومالســـبتِ
علـــــى ابـــــن كُتـــــّاب بَليـــــدٍهَبْتِ	مذبـــذب بـــين الجهـــاتِ الـــــستِ
ابـــــــــــنٌ كبنـــــــــــــتٍ وأخٌ كأخـــــــــــــتِ	

الرمز ودلالاته

إن في الصورة الرمزية رغبة تواقة لخلق أداة توصيل خاصة توحي وتعبير ولكن تتطلب عوناً من القارئ ذاته واجتهادا في البحث بين المعاني. إن لغة الرمز تستخدم اللغة المعروفة ولكنها تركبها بعلاقات جديدة في مدلولها، وكأنها لا تدل على المساحة المعروفة لها دلالياً من قبل، وهذا ما أدى فيما بعد إلى الخروج الواضح عن منطقية اللغة لكي تتميز بالإحساس الداخلي وأطوار الحلم. فمن حق الشاعر أن يصور ما يحس و يحلم به [١]. فتكون " الصورة الرمزية صورة لشيء أو لموقف " [٢].

وأما استخدام الصورة في المتشكل الرمزي فهذا شأن آخر وإن اتفق مع "الرمزية" في التعبير غير المباشر وتجاوز الوضوح القريب إلى الإيحاء وتطلب الجهد في القراءة والتأمل. لكن الاستفادة من الرمز في الشعر تعني تداولاً للكلمات في مدلولاتها الحقيقية، فيأخذها الشاعر من التاريخي، و الثقافة الدينية، أو التراث الشعبي، أو الحكم أو الأمثال ... ثم يربطها بأجزاء القصيدة لتكون جزءاً من التجربة الشعورية، ولعل الربط بين هذين الطرفين هو الذي ينتج الصورة الرمزية؛ فبين يدي الشاعر كلمات هي واضحة ومحددة المعالم لكنها في ترابطها وأبعادها تحمل رؤى وتنعقد فيها خيوط غنية في نسيجها [٣]. و " يكون الرمز شيئا ملموسا يوحي عن طريق تداعي المعاني إلى ملموس أو مجرد " [٤].

ثم إننا نبحث في الأشكال الفنية التي جسدت الصورة الرمزية ، فأين هي في شعر الهجاء عند ابن الرومي ؟ هل هي أبيات في قصيدة تشكل مقطعاً من هذه القصيدة والتجربة؟ وكيف كان ائتلافها وتداخلها مع الأجزاء الأخرى؟ أم هي تنويعات هنا أو هناك في قصائده؟ أم تمثل لمواقف له تختصر في أبيات تشكل خلفية أو أرضية للعمل الفني الفكري؟ هذا ما سيحاول الباحث أن يستجليه، بحول الله تعالى لكن مم يتشكل الرمز عند ابن الرومي؟

---

[١] استفاد الباحث من ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، ومجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٥٥٣ – ٥٥٤ .

[٢] المرجع السابق، ص ١٣٠ .

[٣] عز الدين إسماعيل : الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، مصر، ط(٧)، ١٩٧٨م، ص ٥٤– ٥٥ .

[٤] مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، ص ٥٥٢ .

إنه – بظني – من تلك الحادثات التي يرمز لها أو تصير من تركيز عدسة صورته عليها رمزا.. كقوله :

يـــَسيـــــــر إلـــــى مُـــــــمتاحهفيجودُهُ	ويكفي أخا الإمحـــال زَمَّالركائـــبِ
ومن يـــكُ مثـــلاً للحـــــيـــــــا فيعُلُـــوِّهِ	يكنْ مثلَهُ فـــي جـــودهِ بالمواهـــبِ
وإنَّ نِـــــفاري منـــــــه وهويُـــــــريغني	لَشيءٌ لرأي فيـــه غيـــرُ منـــاسبِ
وإن قعـــــودي عنـــــــهُ خيفـــــــةَ نكبـــــةٍ	لَلؤمُ مَهَـــزٍّ وانثـــناءُ مَضـــاربِ
أُقـــرُّ علـــــــــى نفســـي بعيـــبـــــــيلأنني	أرى الصدقَ يمحـــو بَيّناتالمعايـــبِ
لَؤُمْتُ لَعـــمـــر اللَّـــه فيـــــما أَتيـــتـــــــهُ	وإن كنتُ من قومٍ كرام المنـــاصِبِ
لهم حِلْـــمُ إنـــسٍ فـــي عَـــــــــرامة جِنّـــــةٍ	وبأسُ أُسودٍ في دهـــــاء ثـــعالبِ
يصـــــولون بالأيـــــدي إذا الحـــــربُ أَعملـــــتْ	سيوفَ سُريجٍ بعد أرماح زاعـــــبِ
ولا بـــد مـــن أن يَـــلـــــؤُم المـــــرءُ نازعـــاً	إلى الحَمَأ المســنونِ ضـــربةلازبِ
فقـــل لأبـــي العبـــــاس لُقِّـــــيـــــــتَوجهَهُ	وحَسْبُك مني تلك دعـــوةَ صـــاحبِ
أمَـــا حـــقٌّ حـــامي عِـــرض مثلـــك أنيُـــرى	له الرفـــدُ والتـــــرفيهُ أَوْجَبَواجـــبِ

ومن سمات الشخصية التي يذكرها ابن الرومي في هجائه أنها :

- تقترن بالوجه الآخر (المدح) من زاوية ما.
- ليست رمزية في اسمها إنما ترمز إلى حدثها.

ومن الشخصيات التي شكلت صورة رمزية في شعر ابن الرومي شخصية (عمرو)، فيذكره باسمه:

عليَّ لعمروٍ نعمةٌ بعدَنعمةٍ	لوالِده ليستْ بذات عقاربِ
وما عقربٌ أدهَى من البينإنه	له لَسْعةٌ بين الحشا والترائبِ

و من الصور الرمزية شخصية الأصلع، فيذكره بصفته:

أصلعٌ يُكنى بأبيالجَلَّحْتِ	حَبَلَّقٌ كالماعزالكَلْوَخْتِ

وله سمات يقف عندها :

ذو هامـــةٍ مثـــلِ الصَّـــفاة المـــرتِ	تنصـــبٌ فـــي مهـــوى جبـــينٍ صَـــلتِ
تبـــرقُ بالليـــل بريـــقَ الطِّسْـــتِ	صـــــبَّحها اللَّـــــهُ بقفـــــدٍ سَـــــخْتِ
ولحيـــةٍ مثـــل غـــراب الحَمْـــتِ	كأنهـــــــا مدهونـــــــةٌ بزفـــــــتِ

وكذلك الحال حينما يستدعي حدثًا معينًا، وهو يرمز إلى هنـــا أو هنـــاك مـــا يصور له حالا من الحاسدين والمنافسين له غير الشريفين كما يقول.فيبعث الرمز قصة مـــا يستدعيها ابن الرومي من مبعثها.

فيتغلغل المكان وعاءً رامزًا، خاصة حينما يُستلهم من طرف من يريد من مدحه أن يسلب كلّ ما له من مهجوه، دون العودة لإطار تاريخي معين:

يا صلعة لأبيحفص مجـــــردة كأن ساحتها مرآةفولاذ

ترن تحت الأكفالواقعـــــــات بها حتى ترن بهاأكناف بغداد

إنه يؤدي وظائف دلالية ورمزية، فالمكان وعاء الحدث وله مغزى يتخذ أبعاده من السياقات التي تعاقبت عليه من صنيعة الشاعر؛ ومن رمزية الشخصيات التي استدعاها؛ ومن قيمة الأحداث التاريخية والسياسية التي وقعت فيه، ومما صنعه بالمكان، مشحونا بالدوال، امتلأت الرمزيات فاقرأ قوله :

كـــأني أرى فـــيهنّ فُرســـانَ بُهمـــــــة	يليحـــون نحـــوي بالســـيوف القواضـــب
فأن قلت لي قـــد يُركَـــب الـــيّ مُطامياً	ودجلة عنـــد الـــيّم بعـــض المذانـــــب
فـــلا عـــذرَ فيهـــا لامـــرئ هابمثلهـــا	وفـــي اللجـــة الخضـــراء عـــذرٌ لهائـــب
فـــإنّ احتجـــاجي عنـــك ليســـبنائمٍ	وإن بيـــاني لـــيس عنـــي بـــعازبِ
لدجلـــةَ خَـــبٌّ لـــيس لليمِّ،إنـــــها	تَـــراءى بحلـــمٍ تحتـــه جهْـــلُ واثـــب
تطـــــامنُ حتـــى تطمئنَّقـــــــلوبُنا	وتغضب مـــن مـــزح الريـــاح الواعـــب
وأَجرافُهـــــا رهْـــــنٌ بكلِّخيانـــــةٍ	وغَدْرٍ ففيهـــا كُـــلُّ عَيْـــبٍ لِعائـــبِ
ترانـــا إذا هاجـــتْ بهـــا الـــرِّيحُ هَيْجـــةً	نُزَلـــزَلُ فـــي حَومـــاتـــــها بـــالقواربِ

وقد تتحول (الأحداث) إلى دوال رمزية تضيق الخناق على الشاعر، فيصبغها برؤاه المختلفةأو قد يتشكل الرمز من (فكرة) يستدعيها الشاعر، فيرمز لحال معينة تنتمي للشاعر، و لم يقلها صراحة، فيرمز لها باستدعائه لذلك الحدث، كما في قوله:

يقتر عيسى على نفسه * * وليس بباق ولا خالد

فلو يستطيعلتقتيره * * تنفس من منخـــــر واحد

فيريد أن يرمز لصورة بخل شديد، فاستدعى حدثًا عاديًا وأظهر احتمالا لـــم يخطـــر على بال صاحبه فلو استطاع لتنفس من مكان واحد.

وإن علاقة ابن الرومي بالأفكار تعني قدرته على تقديم " كل صورة مـــن الصـــور نفسها في شكل بلاغي تختاره لتحقيق وظيفتها في التعبير عن المعنى، أو الإيحاء بالانفعال والفكر الداخلي للصورة " [١].

ولعلنا إذا ما اعتبرنا منبع الصورة يكون من تصوّر المعاني لفكرة مجـــرّدة، فـــإن المعنى يكون تابعا لفكرة تُجسِّمُ الحقيقة من خلال أنواع من الصور، لتصوّر المعاني، ولعلنا بذلك المفهوم لتصوير المعنى فإننا نعتمد على نوعي الصورة : التقريريـــة دون تشـــبيه أو مجاز، أو الصورة التشبيهية، بالعلاقة بين حَدَّين وفيها تجسيم للمعنى[٢] .

ثم إن الأفكار الرمزية في الصورة الشعرية عند ابن الرومي ليست استنساخا للواقع، بل تتشكل انطلاقا من ما تمتلئ به ذاكرته من صور موجودة، وتشكل بشكل مســـبق ثقافـــة الشاعر. إن علاقة الصورة بالأفكار الرمزية هي ما يشكل الحدث الثقافي عند الشاعر ذاتيا، كما لا يمكن فصل ذات الشاعر ثقافيا عن التنظيم الاجتماعي لثقافـــة مجتمعـــه، ويـــدرس الباحث توليد صور الشاعر ذات الأفكار من خلال تعريفنا بذاته وحياتـــه وثقافتـــه وثقافـــة مجتمعه، فيستمد شاعرنا أفكاره من موردين هامين: أولهما ثقافته.. وثانيهما تجاربـــه، مـــع افتراض الباحث أن أفكار الصورة الشعرية عند ابن الرومي تدور في فلكين كبيرين هما : – الحرمان .

---

[١] د.عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، منشورات جامعة اليرموك، إربد – الأردن، ط(١)، ١٩٨٠م، ص١٦١ . واستفاد الباحث من ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون.

[٢] نصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ص١١-١٩.

– البؤس .

مع ما في هذين الفلكين من رؤى تتفرع عنهما، وتشكل بعدا لفكرة هنـــا أو هنـــاك، منها : فكرة الأمل والعمل ، والخير والشر، و الزمان و المكان، و الحياة والموت، والقناعة والطموح، إلى غير ذلك من الأفكار المتولدة التي سيحاول الباحث دراستها مستنيرًا بعلاقة الصورة الشعرية التي يقدمها ابن الرومي مع أفكار شعره. فقد تكون الفكرة عظيمة، ولكـــن ابن الرومي لا يقف عندها فيصورها، وقد يكون العكس، ويسهب ابن الرومي في تصويره.

إنَّ هذا الاهتمام من لدن الشاعر بالصورة على هذا النحو (المبالغ فيه في الفكرة) لا يعطيه الحق لأنه يكتب شعر هجاء فقط ! بل يدلُّ عل اتساع ذهنه واستجابته لغير العادي المألوف في الأساليب الشعرية، وبصيرة حادة مكَّنـــتْهُ مِن النظر في مناسبة الصورة للحال الموصوفة وجهة التخاطُب، حيث لجأ إلى رسم الصورة بالعناصر المحسوسة في موضع، ولم يلجأ إلى العناصر الذهنية المحض لعدم مناسبتها ولياقتها بهذا الموضع، بينما استكثر منها في موضع آخر ولكل مقام مقال.

إنَّ هذا الفعْل الشعري الذي يبدو وكأنه تقسيمٌ مِن لدن الشاعر للصورة على ما تُحقِّقُه من أغراض يرجوها الشاعر استناداً إلى بلاغتها وقوة معانيها، يدلُّ على تمكُّنه من أدواته الشعرية الذي وسمه بسمة الإبداع.

فيثير إحساسه الإبداعي ما في واقعه، فتولد صورة ذات فكرة من واقعه وهو قوله :

فالكلب واف وفيكغدر * * ففيك عن قدره سفول

وقد يحامي عنالمواشي * * وما تحامي ولا تصول

فصور وفاء الدنيا كلها ونصرتها بوفاء الكلب، وذكر الكلب وأراد الوفاء على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الحالية. وسلب فكرة الوفاء عن المهجو، فجعلها نابعـــة مـــن الكلب. والوفاء صورة من صور واقع الحياة العربية ومعرفتهم لكلب الرعيّ .

إنها وحدة من التناغم الواقعي، فابن الرومي لم يبدع صوره من خيال متميز، رغم رقة وصفه وهو يلامس الطبيعة، وإذا لم تستجب له يسرق منها ما يجعلها تستجيب :

وأنت من بيت أهلسوء * * قصتهم قصة تطول

و ثمة علاقة بين الرمز والبعد النفسي للصورة الفنية التي يشكلها ابن الرومي، فإنه إذا ما انتقل من الرمز والتلميح إلى المباشرة والتصريح، فإنه لا يستقيم معه هذا الانتقال إلا من خلال وضع الصورة الفنية التي يريد تشكيلها ضمن مدارها النفسي، كما يظهر ذلك جليا في غرض شعر الشكوى في شعره المرتبط بالهجاء. ومن أقوى العلاقات بين الرمز و الصورة النفسية تلك الصورة اللونية الرمزية التي تتخذ من البعد النفسي أرضية لتشكيلها، فترى الرمز اللوني حاضرا من خلال ما تحمله الصورة من اختزال لدلالات عميقة في التأمل والحياة و النظرة للمستقبل، كما يقول حسين شنوان : "" فلم يعد اللون ذلك المدرك الحسيّ الذي تستمتع به العين فحسب، بل تجاوزت آلة إدراك اللون إلى بواطن النفس "[1] .اقرأ قول ابن الرومي :

وتكوّنتَ من سوادِ أبي الأسو
دِ شخصاً ، يُكنى أبا السوداءِ
لأبى الله أن يعدّكَ أهل العل
مِ إلا من جملة الأغبياء

ومن الصور النفسية في شعر ابن الرومي تلك التي توحي بعماه، فقد كان العمى من أشد المراحل تعبًا تلك التي مرت عليه :

سأستُر نفسي أجادَاللئي	مُ أم ضنَّ عنّيبموهوبِهِ
فَحَظِّي وإن كنتُمغصوبَهُ	فَسِتْرِيَ لستُبمغصوبِهِ

فلعل الخطر الذي يتصوَّره ابن الرومي، يشكل أنماطا من الصِّراع لا تُحَرِّكها بواعث واضِحة وصورا مباشرة، إنما – ولا شك – في أنَّ ما نُسَميه مشهد استدعائه للمثل والحكمة، تلك التي أعان الشاعر عليها وظائف اجتماعية نفسية، لم يتخط الشاعر أزمته إلا من خلالها، وهو الشاعر الذي يلوذ بالشعر من ظلم ألّم به بعد سجنه، فيقول:

وريبُ الزمان غداً كائنٌ	وغالبُهُ مثلُ مُغلوبِهِ
فلا تهربنَّ إلى ذِلَّة	ذليلُ الزمانِ كمنكوبِهِ

[1] ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، وحسين شنوان : اللون في شعر ابن زيدون، ص ١٦ .

أمَـــا فـــي الزمـــان فتـــى ماجـــد	يـــــنفِّسُ كربـــــةَ مَكْرُوبِـــــهِ

و يريد بتلك الصورة أن يبعث ما في نفسه لسامعه فما يتصل ببعد نفسي عنـده قـد تترجمه الصورة في عبارة (أمَا في الزمان فتى ماجد).

و من الصور ذات البعد الرمزي ذي الدلالة النفسية تلك التي في معرض استدعائه لقصته مع الوغد :

ووغـــدٍ وهبـــتُ لهحُكْمَـــهُ	وأملـــــــتُ منكودَموهوبِـــــــهِ
فكنـــــتُ كعابِـــدِ منحوتِـــهِ	ومســـــــترزقٍ رزقَ منصـــــــوبِهِ

فانظر للحالة النفسية عنده وهو يصور كيف خدعه الوغد وكم هو البعد الرمزي ذي الدلالة الفكرية أن وغدًا يخدعك وأنت تثق به !

أما حالته النفسية وربط ذلك بالرمز فنراها في قصيدته المطولة :

دعِ اللَّومَ إن اللَّومَ عونُ النوائِبِ	ولا تتجاوز فيه حدَّ المُعاتِبِ

كيف صورها في قصيدة الهجاء وجعلها خليطًا من أمثال وحكم ومدح، ومما سنقف عنده تلك الرموز التي صنعها لنفسه ولمن يسنحق وسلبها عمن لا يستحق، وهو قوله:

ومـــا زال ضـــاحِي البَـــرِّ يضـــربُأهلَهُ	بســـوطَيْ عـــذابٍ جامـــدٍ بعـــد ذائـــبِ
فـــــإن فاتـــــه قَطْـــــرٌ وثلجفإنـــــه	رَهـــين بســـافٍ تـــارةً أو بحاصـــبِ
فـــذاك بـــلاءُ البـــرِّ عندِيَشـــاتياً	وكم لـــيَ مـــن صـــيفٍ بـــه ذي مثالـــبِ

وقوله :

فـــدعْ عنـــك ذكـــرَ البَـــرِّ إنيرأيتُـــهُ	لمـــن خـــاف هـــولَ البحـــر شَـــرَّالمَهاربِ
كِـــلا نُزُلَيْـــهِ صـــيفُ هُوشـــتاؤُهُ	خـــلافٌ لمـــا أهـــواهُ غيـــرُ مُصـــاقبِ
لُهاثٌ مُميتٌ تحـــت بيضـــاءَ سُـــخْنَةٍ	وَرِيٌّ مُفـــيـــتٌ تحـــت أسْحَـــمَصائبِ
يجفُّ إذا ما أصبح الرّيـــقُ عاصـــباً	ويُغـــدقُ لـــي والـــرّيق ليـــس بـــعاصبِ
ويمنع منّي المـــاءَ واللَّـــوحُ جاهـــدٌ	ويُغرِقنـــــي والـــــريُّ رَطْـــــبُ المحَالِـــــب

وقوله :

ومـــــا زال يَبغينـــــي الحتوفَمُوارِبـــــاً	يحـــوم علـــى قتلـــي وغيـــرَ مُـــوارِبِ
فطـــوراً يُغـــــاديني بلصِّمُصـــــــــلَّتٍ	وطـــــوراً يُمَسّـــــيني بورْدِالشَّـــــوارِبِ
إلى أنْ وقـــــــاني اللَّـــه محذورَشـــرّهِ	بعـــزتِهِ والله أَغلـــب غـــالـــــــــبِ
فأفـــــلـــــتُّ مـــــن ذُؤبانـــهِ وأُســـودِهِ	وحُرَّابِـــهِ إفـــلاتَ أَتـــوب تائـــــــــــبِ

وقوله :

ولم أتعلم قط من ذي ســباحة	سوى الغــوص، والمضــعوف غيرُمغالِــبِ
فأيسر إشفاقي من الماء أننـــي	أمرّ به في الكــوز مـــرَّ المجـــــــانب

ونصل إلى قوله :

فدعني من حكمِ الكتابةإنهُ	عدوٌ لحكم الشعر غيرُ مقارِبِ

فمن لا يملك الماء لا يعطيه، وليس للغواص إلا ما قد غاصه ولن يأخذ مـــن المـــاء شيء، وهنا نستطيع أن نحكم على الصورة الرمزية ذات البعد النفسي الفكري عنده بأنهـــا صورة فاعلة، تؤدي وظيفة فنية في القصيدة. ويمكن أن تكوّن نمط قصيدة في فنّ الرثاء .

الخاتمة وأهم النتائج:

خلص البحث إلى أنشعرنا العربي ثري بقيم إنسانية وحضارية لا حصر لها، ويقوم هذا البحث على دراسة الهجاء في العصر العباسي الثاني، متضمنة شعراؤنا الثلاثة البحتري وابن الرومي وابن المعتز، وأهم النتائج التي توصلت إليها يمكن رصد بعض منها:

(١)الشعر العربي في العصر العباسي معين لا ينضب ومادة خصبة للبحوث العلمية والدراسات الأدبية العميقة، ومازالت فيه كثير من المواضيع البكر التي لم يتناولها أحد بعد بالدراسة والبحث.

(٢) يعتبر الهجاء في فكر الإنسان العربي ووجدانه عميق الجذور في تراث الشعر العربي من العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العباسي .

(٣) الارتباط الوثيق بين الهجاء والأغراض الأخرى على مر العصور ولكن الذين تميزوا به من شعراء العصر العباسي مثل ابن الرومي وغيره من الشعراء.

(٤) نلاحظ في هجاء ابن الرومي أنه لا يكتفي بصورة واحدة لمهجّوه ، بل يتناول جوانب مختلفة ليخرج له صوراً عديدة تبرز عيوبه الشكليّة والخلقيّة والاخلاقية الاجتماعية.

(٥) إن ابن الرومي يتخذ أسلوب البحث المنطقي في المقارنة والاستنتاج والأدلة ،أما إذا تناولنا الهجاء عند البحتري لا يقف في صورة واحدة للرجل بل تناول هجاء المدينة والمرأة فنجد بعضه اخلاقي وبعضه في جاء في صورة كاركتورية ساخرة، وكذلك الهجاء عند ابن المعتز تعددت أغراضه وصوره وأشكاله .

(٦) أدى عنصر التأثير والتأثر دورا فاعلا في العصر العباسي بين الأمة العربية والأمم الأخرى، أو يمكن أن نطلق عليه التماس الحضاري بين الشعوب، فقد نقلت الأمم الأخرى من العرب علومهم وحضارتهم، ونقل العرب منهم بعض مظاهر السلوك والعادات والتقاليد.

(٧) لم يهتم العرب بسقوط بني أمية فقد استمرت اللغة العربية كلغة رسمية للدولة العباسية ، وكان الخلفاء العباسيون عرباً أقحاحاً من بني هاشم ، وكانوا يعتزون بنسبهم وكان أكثر الولاة والأمراء كانوا من العرب الخلص المقربين من بني العباس.

(٨) اتحدت السياسة مع الدين في العصر العباسي ، وحاول الخلفاء العباسيون تقريب الموالي إلا أنهم أخفقوا في تكوين وحدة سياسية متجانسة في دولتهم .

(٩) تجلت الوحدة العربية الإسلامية في كل مراحل العصر العباسي .

(١٠) يعد شعر الهجاء في العصر العباسي صدى للتحولات السياسية المهمة وقد أغدق الشعراء مدائحهم للقادة الأبطال الذين تحملوا مسؤولية التصدي للغزاة ألوانهم وأزمانهم .

(١١) بني شعراء الهجاء وعيهم الإنساني على معرفة تراث الأمة العربية وماضيها معرفة واعية ، وفهم دقيق للعوامل التاريخية التي شكلت نفسية الإنسان العربي .

(١٢) استطاعت اللغة العربية أن ترسم لنا صورا متحركة تنبض بالإيحاءات والدلالات الفكرية ،وفق شعراء الهجاء في اختيار الألفاظ الملائمة للجو النفسي فجاءت التعبيرات قوية الجرس ،متينة النسج ،رصينة الأسلوب جزلة العبارة ناتجة عن عاطفة صادقة ،وقد كانت هذه العاطفة مستوحاة من رافدين هما العلم والثقافة .

(١٣) إن الشاعر العباسي أحسن في اختيار البحر العروضي الذي يلائم غرض القصيدة ، يقوده إلي ذلك طبعه وملكته الإبداعية النابعة من بيئته .

(١٤) إتقان شعراء الهجاء في فلسفة العنصر الموسيقي توظيفا ينم عن براعة ومقدرة في تطويع هذه الملكة الإبداعية في قصائدهم .

(١٥) عدم النظر إلي الحياة العباسية بأنها جملة صراعات بل أنها حقبة حضارية بلغت فيها الحضارة الإسلامية ذروتها من الانجازات الأدبية والثقافية .

(١٦) هناك معجم شعري جديد تكوّن بالتدريج، عناصره مشتقة من لغة الحياة السائدة ،وتشمل الألفاظ الأعجمية وخصوصا فيما يتعلق بمظاهر الحضارة الشائعة آنذاك مثل الأطعمة والملابس والزهور، ومن الشعراء من أكثر من استخدام الألفاظ الفارسية على وجه الخصوص .كما دخلت في معجم الشعر العباسي مصطلحات فلسفية وكلامية ومنطقية وشعبية.

(١٧) لاحظ بعض الدارسين دوران قدر غير يسير من المعجم القرآني في أشعار العباسيين ، فقد كان حفظ القرآن ضرورة من ضرورات الإبداع والثقافة ، وليس من شك أنها تعبر عن شيوع ظاهرة التمسك بالدين .

(١٨) اشتد تيار البديع في هذا العصر، وأتى الشعراء بفنون متنوعة منه ، وهو ليس تيارا حديثا، ولكن كثير من الشعراء توغّلوا فيه .

(١٩) وهكذا نرى أن الهجاء في هذا العصر العباسي أصبح يمثل هجاء عقيدة يعتمد على الفكر ويتأثر بالحضارة والتيارات المختلفة التي تعددت .

فهرست المصادر والمراجع:

١) **ابن أبي يعلى:**ديوان علي بن الجهم ، المجمع العلمي العربي بدمشق ، (د . ت)

٢) **ابن طباطبا العلوي** :عيار الشعر ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية بيروت – ط ١ السنة (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م)

٣) **أبو بكر محمد بن يحي الصولي** : ديوان ابن المعتز مطبعة المعارف القاهرة السنة ١٩٤٥ م

٤) أبو **عبادة الوليد بن عبيد بن يحي:** ديوان البحتري دار المعارف القاهرة السنة ١٩٧٧ م

٥) **أحمد حسن الزيات** : تاريخ الأدب العربي ، الطبعة العاشرة - دارالمعرفة للطباعة والنشر والتوزيع السنة(١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م)

٦) **أنيس المقدسي** :أمراء الشعر العربي في العصر العباسي دار الملايين للكتب السنة مايو ٢٠٠٣ م

٧) **إيمان البقاعي:** أحـــلى ما قــيل في الهجاء دار الكتاب العربي " بيروت السنة ١٤٢٧ هـــ ٢٠٠٦ م

٨) **حسن عبدالعليم يوسف:** النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز

٩) **د طه حسين:** النـــثـــر والشعـــر دار المعارف بمصر السنة (د .ت)

دار يسري حسن إسماعيل للطباعة والنشر

١٠) **يحي شامي** : أروع ما قيل في الهجاء

دار الفكر العربي بيروت للطباعة والنشر
السنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م
السنة (د .ت)

١١) **محمد مندور** : الأدب وفنونه
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة الثالثة ،السنة(٢٠٠٥)م

١٢) **محمد سليمان براوي** : "نزعة العروبة في الشعر العباسي "
العصرين الأول والثاني رسالة دكتوراه
جامعة النيلين السنة ٢٠٠٣ م

١٣)**محمد صالح الشنقيطي** : الأدب العربي القديم " العصر العباسي والأندلس"
دار الأندلس للنشر
المجلد الثاني ، الطبعة الرابعة
السنة : (١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م)

١٤)**محمد عبد العزيز الكفراوي** : الشعر العربي بين الجمود والتطور،
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،
السنة (د ت)

١٥) **محمد عبد المنعم خفاجة**: الحياة الأدبية في العصر العباسي
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
السنة (٢٠٠٣ م)

١٦) **محمد غنيمي هلال** : النقد الأدبي الحديث
دار نهضة مصر للطباعة والنشر
السنة ١٩٩٦م

١٧) **محمد مصطفى هدّارة**: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري
دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة
السنة (١٩٦٣م

١٨) **عباس محمود العقّاد** :ابن الرومي حياته من شعره

المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت

(د .ت)

١٩) **عبد الأمير علي مهنا** : ديوان ابن الرومي

المجلد (الأول.....السادس)

دار مكتبة الهلال بيروت

السنة ١٤١١ هـ ١٩٩١ م

٢٠) **عبد الرحمن البرقوقي** :ديوان المتنبي

دار الكتاب العربي بيروت

السنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

٢١) **عبد الكريم الأشتر** : شعر دعبل بن على الخزاعي

دار المجمع العلمي العربي بدمشق

(د.ت)

٢٢) **دعبد الله التطاوي**: مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص

ومداخل مبدئية لقراءة المرحلة

الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية

السنة (١٤٢٧هـ مارس ٢٠٠٦ م)

الطبعة الثامنة

٢٣) **عبد الله الطيب**: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها

الطبعة العاشرة - الجزء الثاني

في الجرس الفظي

الخرطوم سنة ١٩٩١ م ١٤

٢٤) _____ : المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها،

الجزء الرابع (القسم الثاني)

في الأغراض والأساليب

٢٥) **عبده بدوي** : دراسات في النص الشعري (العصر العباسي) ،

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة جدة
السنة (د .ت)
الخرطوم سنة ١٩٩١ م

٢٦) **عزالدين إسماعيل :** الأدب وفنونه دراسة ونقد
دار الفكر العربي للطباعة والنشر
السنة(١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م)

٢٧) **فوزي عطوي :**ابن الرومي شاعر الغربة النفسية
دار الكتاب العربي – الجزء الأول
السنة(١٩٦٦م)

٢٨) **سراج الدين محمد :** الهجاء في الشعر العربي
دار الراتب الجامعية بيروت
(د .ت)

٢٩) **شقيق النقاش:** الحديث في الأدب العربي
دار المعارف بمصر
السنة (١٩٥٢) م

٣٠) **شوقي ضيف** :الفن ومذاهبه في الشعر العربي
الطبعة الثانية عشر - دار المعارف -
السنة (١٩٩٣)

٣١) _____ : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني،
الطبعة الثانية - دار المعارف
السنة (١٩٧٣)

٣٢) _____ فصول في الشعر ونقده
الطبعة الثالثة – دار المعارف
السنة ١٩٨٨ م

٣٣)**خليل مردم بك:**ابـــن الرومـــي،
الطبعة الأولى ، دار صادر بيروت
السنة(١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م)